SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

المؤتمر الدولي الثاني
لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)
حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية في العالم الإسلامي
أبحاث مُحكمة

(٢٥ - ٢٧ شباط/فبراير ٢٠١٣ - جامعة زايد - دبي)

SCR London's Second
International Conference on Social
Sciences & Humanities in the Islamic World
Research

(25 - 27 February, 2013 - Zayed University - Dubai)

المؤتمر الدولي الثاني

لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)

حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية في العالم الإسلامي

(أبحاث مُحكمة)

SCR LONDON
Social Consultancy & Research

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٣/٢/٤٩٣)
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ISBN) 978 - 9957- 481 - 08 - 7 (ردمك)

ONDON
esearch London

S.C.R. London is an organization that deals with social issues in the communities, our services are mainly to rise awareness regarding the problems at hand, this goes from as small as on personal level, Businesses to Government services.

The services we provide are:

- Mental Health Care on the personal level, and as a group.
- We provide Training for employees in all sectors of all ranks.
- Some of the programs we provide are: stress constancy, problem solving skills, client approach, care after burnout …
- Our consultancy leads to Research and a solution as a result.

We also organize International Academic Conferences around the globe. To bring together the researchers that can brainstorm and search for solutions regarding issues at hand.

Social Consultancy & Research LTD.

London, United Kingdom

Http://*scrlondon.com*

E-mails: *info@scrlondon.com*

Dr. Naser Elfadhly

Clinical Psychologist Diagnostic Assessment & Treatment

- Stress Management, Social Phobia, Agoraphobia & Panic Attacks Depression, Obsessive Compulsive Disoder, Seual Dyfunction, Eating Disorders.
- Anorexia-Dulimia, Psychosomatic Lilnesses, Schizophrenia, Family Problems.
- Marital Problems, Sleep Disorder, Anxeity, Post-Traumatic Street Disorder.
- Alcohol and Drug Dependance, Disorders Evident in Childhood.

E-mails: *Info@scrlondon.com - elfadhly@scrlondon.com*

Chairman of the Conference

Abdulmuhsen Ayedh Alqahtani

Educational Leadership and Policy Studies, PhD

Executive Director	Conference Secretary	Graphic design	Electronic Supervisor
Nabha Tarbosh	*Eman Salem Saeed Al Nahdi*	*Maisa Hashem khalaf*	*Muhannad Tobal*

SCR London's Second International Conference

On Social Sciences & Humanities in the Islamic World

(February, 2013)

المؤتمر الدولي الثاني لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)

حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية في العالم الإسلامي

(أبحاث مُحكمة)

(٢٥ - ٢٧ شباط/فبراير ٢٠١٣)

جامعة زايد - دبي

ONDON
esearch London

- أبحاث إسلامية وقانون
- أبحاث اجتماعية
- أبحاث إنسانية

كلمة افتتاح
رئيس مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين

يعتبر المؤتمر الدولي الثاني لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية معقلاً للفكر الإنساني وقاطرة للتقدم المعرفي في الأبحاث الإنسانية، والأبحاث الإسلامية والقانون والأبحاث الاجتماعية.

ويولي مركز البحوث والاستشارات الاجتماعية اهتماماً كبيراً ببناء نهضة المجتمعات العربية والإسلامية وتقدمها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية كافة، وتهتم بتحقيق رفاهية أبنائها وسعادتهم وتحسين مستوى حياتهم.

ويعنى المركز بجميع أنواع المعرفة وتطبيق تلك المعرفة، متخذة من البحث العلمي أسلوباً ووسيلةً ومنهجاً.

لذا فإن المؤتمر الدولي الثاني للمركز ينطلق للتركيز حول العلوم الاجتماعية في عالمنا الإسلامي، هذا الدين الذي يدعو إلى إعمال الفكر والتأمل، ويهدف إلى ما ينفعهم، وتولية الشباب المسؤوليات واستثمار طاقاتهم. لأن التجديد الحضاري المأمول لا يمكن أن يتحقق خارج إطار ذاتيتنا .. الثقافة الإسلامية.

فالأمم والحضارات تقدمت وتطورت بسبب اهتمامها بالبحث العلمي، ولأن العلوم الإنسانية والإسلامية والاجتماعية هي من العلوم التي ينصب اهتمام هذا المؤتمر عليها حرصاً منه على فتح آفاق واسعة لترسيخ التطور المجتمعي والحضاري، كي تنهض المجتمعات وتنتهج الشريعة الإسلامية، فهو نظامٌ سامٍ ومبتكر يعتمد على الأخلاق والفضيلة، ويقدّم للبشرية الأسس القويمة للحياة السعيدة.

فلولا الإبداعات البشرية ما كان للحياة أن تتطوراً وللحضارات أن تقوم وتتقدم وتصل إلى ما وصلت إليه في مجالات الحياة كافة، إلا أنّه من الملاحظ، أنَّ التقدم يفرز الحاجة للمزيد من الإبداعات التي تتطلبها طبيعة الحياة المعاصرة والبيئة المتغيرة.

فقد شهد العالم في الآونة الأخيرة في ظل العولمة تحولات في كافة المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والعلميّة، والتكنولوجية، لذلك ساهم علماء وأعلام كثر قدّموا كلَّ جهدهم للبحث والدراسة في ضوء هذه التحولات والتغيرات في عالمنا الإسلامي.

وفقكم الله وسدّد خطاكم،،،

د. ناصر الفضلي

ONDON
esearch London

كلمة افتتاح
رئيس المؤتمر الدولي الثاني
لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله الذي علم الإنسان بالقلم علمه ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلم البشرية الخير وعلى آلأه وصحبه ومن تبع هداهم.

أما بعد،،،

الأخوة والأخوات

يأتي المؤتمر الدولي الثاني لموضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية في العالم الإسلامي ليكمل ما ابتدأناه في المؤتمر الدولي الأول والذي عقد في رحاب جامعة لندن في المملكة المتحدة في مايو ٢٠١٢.

وكما لا يخفى أن هذا المؤتمر يهدف إلى أمر يتخطى إلقاء البحوث وأوراق العمل. فهو يأتي فرصة لالتقاء الباحثين بحيث تتلاقح أفكارهم وتتآلف أفئدتهم نحو تحقيق التكامل العلمي بين الباحثين للانعتاق من ربقة السياسات التي قيدت البحث العلمي برسوم وحدود قد أضرت بالبحث العلمي في عالمنا الإسلامي.

وأسأل الله التوفيق للجميع لما فيه خير الدين والدنيا،،،

د. عبد المحسن عايض القحطاني/ جامعة الكويت

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

المؤتمر الدولي الثاني

لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)

حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية في العالم الإسلامي

أبحاث إسلامية وقانون

٢٥ - ٢٧ فبراير/شباط ٢٠١٣

جامعة زايد - دبي

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

أبحاث إسلامية وقانون

١. الحوكمة الرشيدة من المنظور الإسلاميّ ٥
د. عقيل أبوبكر محمد غلبون

٢. موقف القانون الجنائي الليبي من إباحة المساس بحرمة المسكن
عن طريق التجسس السمعي (دراسة مقارنة مع القانون الجنائي المصري) ١٧
د. علي محمد علي اعنيبة

٣. دور الجاحظ في كشف الإسرائيليات ٢١
أ. حنان أحمد حبيب الهوني

٤. نحو صياغة إطار نظري لبناء مفهوم التفكير السنني وإحداث النقلة
المعرفية الابستمولوجية المنشودة ٢٩
د. عبد العزيز حدار

٥. الزكاة والتنمية الاقتصادية ٤٧
أ. عدوكة لخضر - د. دراجي عيسى - أ. محمد كربوش

٦. تحليل المفاهيم الأساسية التي يدور حولها الفكر الاقتصادي الإسلامي ٦٧
أ. زهرة بوقلي - أ. عبد النور باليمون -أ. عبيزة بن دحو - أ.عدوكة لخضر

٧. الحوالات: ماهيتها واستعمالاتها في الحضارة العربية الإسلامية ٨٥
د. ماهر عبد الغني دعوب

٨. آداب الطلاق من خلال سورة الطلاق دراسة موضوعية قرآنية ٩٥
د. نورة عبد الله عبد العزيز الورثان

٩. التعليم المستمر في مجتمع المعرفة: رؤية تأصيلية إسلامية في أسسه ومنظومته القيمية ١٠٣
د. طالب بن صالح حسن العطاس

١٠. استئجار الخادم ١٢٥
د. جيهان الطاهر محمد عبد الحليم

١١. دراسة تحليلية لموقف الفكر العربي الإسلامي من تعليم المرأة ١٣٥
د. عبد الرزاق جدوع محمد الجبوري

١٢. معالم الرعاية النبوية للموهوبين زيد بن ثابت - أنموذجاً - ١٥٥
د. أحلام محمود علي مطالقة

١٣. المسؤولية التقصيرية الناتجة عن أضرار شبكات الهاتف المحمول ١٧٧
د. نسرين سلمان حسن

١٤. ضمانات حماية المبادئ الإنسانية في الحروب:
(دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني) ١٨٧
د. دليلة براف

١٥. منهج التربية الإسلامية في تحقيق الضبط الاجتماعي ٢٠٣
د. محمد حبيب الله الشنقيطي

١٦. مصادر وسبل تمويل الخدمات التطوعية في الحج ٢١٩
د. حصة جمعان الهلالي الزهراني

١٧. التقنيات الحاسوبية ودورها في تطوير الدراسات القرآنية ٢٣٧
د. قتيبة فوزي جسام الراوي

١٨. تدخل الدولة في تحديد السعر في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي ٢٥٥
د. طحطاح علال

١٩. أخلاقيات القيادة الإدارية من منظور إسلامي ٢٧٥
د. أبوعجيلة حاجي أبوعجيلة حنيش - د.محمد راضي إبراهيم

٢٠. الهدي النبوي في التعامل مع الشباب ٢٨٧
د. أسماء خليفة الشبول

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

١- الحوكمة الرشيدة من المنظور الإسلاميّ

• د. عقيل أبوبكر محمد غلبون
Akeel Abubaker Mohamed Ghalboon

مقدمة

الحوكمة بمفهومها الحديث موجودة منذ صدر الدولة الإسلامية الذي أرسى أسسه وقواعده رسول الله ﷺ، ومن ساروا على هديه ونهجه، - فعلى سبيل المثال - وضع رسول الله ﷺ، أسس المعاملات الاقتصادية والمالية، والإدارية القائمة على القيم الإيمانية، والأخلاقية ومنها: الخشية من الله، واستشعار مراقبته، والإيمان بالمحاسبة الأخروية، والصدق، والأمانة، والتسامح، والقناعة والأخوة، والحب، وتحريم الربا، والغشّ، والاحتكار، والاكتناز، والاستغلال، والجشع، والغرر، والجهالة، والمقامرة، والمنابذة، والنجش، والعينة وكلُّ ما يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل.

تروي كُتب السيرة بعد أن فرغ رسول الله ﷺ، من بناء المسجد في المدينة أنَّه آخى بين المهاجرين والأنصار وأسّس السوق؛ لتكون أساسًا للمعاملات الاقتصادية-الإسلامية. ويعتبر فقه المعاملات هو الدستور الإسلاميّ، وهو شامل للقواعد الكلية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية، ولقد سار المسلمون على هذا الدستور في معاملاتهم التي انتشرت في جميع بقاع العالم، وطبقها كذلك غير المسلمين، وظلّ الحال على ذلك حتى جاء أعداء الإسلام إلى ديار المسلمين وبدّلوا نعمة الله كفرًا، وأحلّوا النظمّ الوضعية محلَّ النظام الإسلاميّ، - فعلى سبيل المثال - ألغوا نظام الاستثمار الإسلامي وأحلّوا محلّه النظام الربوي، وألغوا نظام زكاة المال وأحلّوا محلّه نظام الضرائب، وألغوا نظام التكافل الاجتماعي وأحلّوا محلّه نظام التأمين..إلخ.

• طالب دكتوراة بكلية القيادة والإدارة في جامعة العلوم الإسلامية الماليزية.
البريد الإلكتروني: *Ageel20072000@yahoo.com*

مفهوم الحوكمة في الشريعة

على الرغم من ارتباط ظهور نظام الحوكمة في العصر الحديث بالأزمات والانهيارات المالية، الناجمة أحيـاناً عن انحراف بعض عناصر الإدارة التنفيذية، ذلك الانحراف المتمثل في شيوع الإهمال والفساد، وانعدام الشفافية، وعدم الامتثال لقواعد الحوكمة الرشيدة؛ إلا أنَّ الحوكمة بوصفها منظومة أخلاقية قد عرفتها الحضارات القديمة، ومن أهمها الحضارة الإسلامية، حيث كانت لها تطبيقات متعددة.

لقد جاءت لفظ (حَكَمُ) وهو من أسماء الله الحسنى، ومعناه الذي يفصل بين مخلوقاته بما شاء ويفصل بين الحقّ والباطل لا راد لقضائه ولا معقب لحُكمه[١]، كما جاءت في النصوص القرآنية بالمعاني التالية:

١- **القضاء:** حيث يطلق الحكم ويراد به القضاء من ذلك قول الله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[٢] أي فاحكم يا محمد بين الناس بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم[٣] والحكم: هم القضاء، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾[٤]، أي إلى القضاة.

٢- **الحكمة:** وهو وضع الشيء المناسب في المكان المناسبة، كما دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٦]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)[٧].

---

(١) أبو الدهب، أشرف طه. ٢٠٠٢م، المعجم الإسلامي الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، القاهرة: دار الشرق، ط١، ص٢٣٠.

(٢) القرآن، المائدة [٥: ٤٨].

(٣) الرفاعي، محمد نسيب (د. ت) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ج١، ص٦٦٥.

(٤) القرآن، البقرة [٢: ١٨٨].

(٥) القرآن، ص [٣٨: ٢٠].

(٦) القرآن، البقرة [٢: ٢٦٩].

(٧) أخرجه البخاري في كتابه صحيح البخاري. باب بدء الوحي. رقم الحديث: ٧٣، ولفظه: أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)، خلاصة حكم المحدث: صحيح، وأخرجه مسلم في كتابه صحيح مسلم ، الصفحة أو الرقم ٨١٦: خلاصة حكم المحدث صحيح.

٣- الحَكَمُ: والحَكَم من نصَّبه القاضي للحُكم بين الناس ومحاولة الإصلاح بينهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّـهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[٨].

مبادئ الحوكمة الرشيدة من المنظور الإسلامي

إنَّ مبادئ حوكمة المؤسسات التي أتت بها منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، التي هي في أصلها أسس الإصلاح تُعد مطلبًا إسلاميًا في الأصل، فلا يستطيع أحد أنَّ ينكر أن التجربة الإسلامية تضمنت نموذجًا ساطعًا للحكم الرشيد ونظرية سياسية أسست له، ولها القدرة على التكرار متى توافرت شروطها[٩]. وجاءت الأنظمة والتشريعات بالحوكمة الرشيدة من أجل تنظيم وترتيب أمورها، ويعد حفظ الحقوق من أهداف الحوكمة الأساسية وغيرها من المبادئ النبيلة، ومما هو معلوم أنَّ الدين الإسلامي يدعم كل ما هو وسيلة إلى الخير شرط ألا تخالف الشرع، فإنَّ الغايات لا تبرر الوسائل، ويكاد يجمع الباحثون والكاتبون حول الحوكمة الرشيدة أنها تقوم على أربعة أسس رئيسة هي: **العدالة، وتحديد المسؤولية بدقّة والمساءلة والمحاسبة** وأخيرًا **الشفافية (الصدق، والأمانة)**. وإجمالاً، فإنَّ هذا المعنى للحوكمة يتفق مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية في حفاظها على المقاصد، فالمال يُعَدُّ أحد المقاصد الخمس التي يجب حفظها وحمايتها بكلِّ الطرق والسُّبل المشروعة، كما أننا لسنا في حاجة إلى التأكيد على موقف الإسلام من قيم العدالة، والصدق، والأمانة والحث عليها بشكل عام[١٠]، فكتاب الله وسنة رسوله هما بطبيعة الحال الركيزتان الأساسيتان لهذه النظرية وذلك بالتركيز على القيم والمبادئ العامة، والمنهج والمقاصد التي ينضبط بها الناس، ويستخرجون منها ما يصلح لأزمنتهم، وأحوالهم وظروفهم.

وأبرز هذه المبادئ الأساسية للحوكمة الرشيدة في الإسلام التي تخضع للقانون الشرعي الإسلامي ما يلي:

---

(٨) القرآن، النساء [٤: ٣٥].

(٩) ابن ثابت، علال وعبدي، نعيمة، ٢٠١٠ م، «**الحوكمة في المصارف الإسلامية**» (ورقة عمل)، اليوم الدراسي حول التمويل الإسلامي واقع وتحديات، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، ٠٩ ديسمبر، ص٩.

(١٠) مشعل، عبد الباري، (د. ت)، «**المعيرة والتنميط يحولان الهيئات الشرعية إلى جهات استشارية وتفسيرية**». **رقابة للاستشارات المالية الإسلامية**. ص٢. *http: //www. raqaba. co. uk*

١- العدل والمساواة في التعامل

تُعَدُّ العدالة من أهمّ الأسس التي تقوم العقود الشرعية عليها، وذلك ما نجده في آيات عديدة في القرآن الكريم منها قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّـهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّـهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّـهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[١١].

ومن أهمّ ما يميز النظم الإسلامية قيامها على العدل، والمساواة في التعامل بين الناس جميعًا مما يقوي الروابط بينهم، ويقضي على الظلم الذي هو أحد أهم الأسباب التي تلجئ إلى الفساد في الأرض. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[١٢]. حيث جعل الله الظلم من أشنع الأعمال التي يعاقب عليها بأشد العذاب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّـهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[١٣].

ولقد جاء الإسلام ليكون دين الإنسانية؛ لأنه اتجه بدعوته الكريمة إلى جميع الأمم والشعوب يدعوهم بدعوة واحدة تقوم على مبادئ الحقّ، والعدل، والمساواة بين الأفراد، واحترام حقوق الناس وإعطاء كلّ ذي حقٍّ حقَّه، لذلك كان الأساس في اطمئنان الأفراد الذين تتكون منهم الجماعات الإنسانية؛ لأنهم يشعرون أنهم سواء في جميع الحقوق والواجبات[١٤]، فحينما تحدث علماء السياسة الشرعية عن صلاح العمران، أو ما يعبر عنه الآن بالتنمية البشرية أرجعوه لفشو العدل بين الناس، وهو ما يساهم في الشعور بالاطمئنان ويدفع للانصراف للعمل، وبذل الجهد بجدية وإتقان، وبذل النصيحة والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دون الخوف من الحاكم، أو المدير في المؤسسة[١٥].

---

(١١) القرآن، النساء [٤: ١٣٥].

(١٢) القرآن النساء [٤: ٥٨].

(١٣) القرآن إبراهيم [١٤: ٢٤].

(١٤) حميش، عبد الحق أحمد. ٢٠٠٣ م. «**مكافحة الفساد من منظور إسلامي**» (ورقة عمل)، المؤتمر الدولي لمكافحة الفساد، الرياض، ٦-٨ أكتوبر، ص٢٥.

(١٥) بن ثابت، علال وعبدي نعيمة، ٢٠١٠م، «**الحوكمة في المصارف الإسلامية**»، ص٩.

الإسلام بطبيعته ومبادئه جاء لإنقاذ الإنسانية من تيه الاضطراب، والفوضى، والفساد الإداري، والمالي وحماية حقوق المساهمين في الشركات، وأصحاب المصلحة؛ لأنه قائم على أساس من العدل والمساواة، لا فضل مدير على موظف ولا مسؤول عن غيره إلا بالتقوى[١٦].

٢- الشـــــورى

لا يمكن للحاكم في المنظور الإسلامي أن يستكمل صفة العدل، وأن يجعلها خصلة يتصف بها نظام حكمه كلّه، إلا إذا كان قائمًا على أساس الشورى، فالإنسان مهما اتصف بصفات الكمال تفوته جوانب أســـاسية من مدارك العدل لا يـدركها إلا برأي غيره، وهـذا ما ينطبق أيضًا على الوحدات الجزئية من مؤسسات أيًا كان نوعها، فالتشاور وأخذ آراء جميع الأطراف التي لها تأثير على المؤسسة يُساهم في إحداث جو من التعاون والتفاهم يعمل على حل المشكلات بطرق ودية تُساهم في إرضاء جميع الأطراف ذات المصلحة[١٧].

وقد اشترط الله سبحانه وتعالى صلاح المؤمنين بالتزامهم بالشورى، يقول الله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّـهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١٨]. بالإضافة إلى ذلك لم يكن أحد على وجه الأرض أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ، والذين جاءوا في ظل الشورى بأقوالهم وأفعالهم، حتى إننا نحكم على الفترة القصيرة من حكمهم، بأنها النموذج الرائع الذي حقق أهداف الإسلام الفاضلة، والذي غدا موضع الاقتداء والتمجيد، والدليل على واقعية الإسلام وإمكانية الاهتداء به في قيادة الحضارة الإنسانية[١٩].

---

(١٦) حميش، عبد الحق أحمد، ٢٠٠٣م، «**مكافحة الفساد من منظور إسلامي**»، ص٢٥.

(١٧) بن ثابت، علال وعبدي، نعيمة، ٢٠١٠م، «**الحوكمة في المصارف الإسلامية**»، ص١٠.

(١٨) القرآن، الشورى [٤٢: ٣٦- ٣٧- ٣٨].

(١٩) عبد الحميد، محسن. ١٩٨٩م. **الإسلام والتنمية الاجتماعية**. جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع. ط١. ص٤٤.

يقول الصّديق ﷺ: «ألا إن أقواكم عندي ضعيف حتى آخُذَ الحقَّ منهُ وأضعفكم عندي قوي حتى آخذ الحقَّ له». هذا المعنى وغيره من المعاني التي حولت تلك الحقوق إلى الواقع كرره بقية الخلفاء الراشدين مثل عمر، وعثمان، وعليّ، وعمر بن عبد العزيز ﷺ أجمعين.

٣- الرقـابـــة

الرقابة التي تُعَدُّ شكلاً من أشكال الحوكمة، ومن المنظور الإسلامي أقوى رقابة هي أن يراقب الإنسان نفسه، وأقوى مساءلة هي أن تتمَّ مساءلة الإنسان بواسطة ضميره، ولكن على الإنسان أن لا يغفل الأشياء الأخرى، والإنسان بتكوينه الروحي والمادي يحتاج لآليتين، رقابة غيره ورقابة الذات[٢٠]، وتبدأ الرقابة من الرقابة الذاتية بالدرجة الأولى، وتحيط بالسلوك من مستوى الهاجس، ثم الكلمة، ثم الفعل، فعلى الهاجس يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٢١]. وعلى مستوى الكلمة، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٢٢]. وعلى مستوى الفعل، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٢٣]. وقد عزَّزَ القرآن الكريم هذه الأنواع الثلاثة من الرقابة بثلاثة أنواع أخرى هي: رقابة تنفيذية، ورقابة تشريعية، ورقابة قضائية، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، على مستوى الخلفاء الراشدين مثل قول أبي بكر ﷺ: «إذا رأيتم فيَّ اعوجاجًا فقوموني». وممارسة النبي ﷺ، للرقابة الإدارية التي تعتبر شكلاً من أشكال الحوكمة، ومن ذلك حديث ابن اللتبية، وفيه أنَّ النبي ﷺ، استعمله على صدقات قومه من الأزد، فلما جاء حاسبه، فقال: هذا لكم وهذا أهدي إليّ، فقال النبي ﷺ: فهلا جلست في بيت أمك وأبيك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا، ثم قام النبي ﷺ، فخطب في الناس فقال: «فإني استعمل الرجل منكم على العمل فيما ولآني الله فيأتيني فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت إليّ أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن

(٢٠) أبو كريم، أحمد فتحي. ٢٠٠٩ م، الشفافية والقيادة في الإدارة، ط١، ص٧٦.
(٢١) القرآن ق [٥٠: ١٦].
(٢٢) القرآن ق [٥٠: ١٨].
(٢٣) القرآن الزلزلة [٩٩: ٧. ٨].

كان صادقًا»[٢٤] فها هو النبي ﷺ، قد حاسب ابن اللتبية، مع أنَّه مؤتمن على الصدقات وأوضح في الحديث أنَّ قبول الهدايا في حقّ العمال لا يجوز، وأنه لو لم يكن عاملاً لما أُهدي إليه شيء[٢٥]، أما فيما يخصّ أفعال الصحابة ومن ذلك ما روي أنه لما قدم معاذ بن جبل، على أبي بكر رضي الله عنه، من اليمن، قال له أبو بكر رضي الله عنه: ارفع حسابك، فقال: أحسابان، حساب من الله، وحساب منكم، والله لا ألي لكم عملاً أبدًا، فها هو أبو بكر رضي الله عنه، يطلب من معاذ رضي الله عنه، أن يقدم حسابه، وهذا شكل من أشكال الرقابة المالية والإدارية والتي تُعَدُّ بدورها شكلاً من أشكال الحوكمة، إلى جانب ذلك فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يراقب أداء الولاة الذين يعينهم دون أن يشعروا عن طريق إرسال شخص مجهول إلى كلِّ ولاية؛ ليراقب أعمال وتصرفات الوالي الذي تم تعيينه، وليكتب له تقريرًا يواجهه به عندما يجتمع به في موسم الحج كلّ عام، وكان هذا الاجتماع بمثابة مؤتمر سنوي، وهو من أهمِّ وسائل التدريب والتطوير للقيادات الإدارية حيث يتبادل فيه الأمراء والعملاء الرأي في كلِّ ما يقابلهم من معضلات في مناطقهم[٢٦].

٤- الشفافية والنزاهة

الشفافية والنزاهة في جزء منها، أو جزء من تعريفها هي المقدرة على الأداء بأمانة، مع احترام الذات واحترام الآخرين، وذلك بالابتعاد عن أكل أموال الناس بالطرق غير الشرعية كالغش، والتدليس، والرشوة، ومن النصوص الناهية عن ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[٢٧]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن

(٢٤) أخرجه البخاري في كتابه صحيح البخاري، باب بدء الوحي، رقم الحديث (٦٩٧٩) خلاصة حكم المحدث: صحيح، وأخرجه مسلم في كتابه صحيح مسلم، باب تحريم هدايا العمل، رقم الحديث (١٨٣٢)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، خلاصة حكم المحدث صحيح.

(٢٥) الصلاحين، عبد المجيد، ٢٠٠٩م، «**الحوكمة في المؤسسات المالية الإسلامية**»، (ورقة عمل)، مؤتمر الخدمات المالية الإسلامية الثاني، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، ص٦.

(٢٦) النداوي، مريم مصطفى، ٢٠٠٤م، العلاقة بين خصائص القيادة الجماعية العراقية وإدارة الأزمات دراسة ميدانية لعينة من بعض الجماعات في المنطقة الشمالية، ص٤٦.

(٢٧) القرآن الكريم، الأحزاب (٣٣: ٧٢).

تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[٢٨]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢٩]. وقوله ﷺ: (من غشَّنا فليس منا)[٣٠]. فهذه النصوص وغيرها كثير، تُحرم كلّ أشكال الكسب الحرام، وتوجب أن يكون الكسب مباحًا، وأن لا يتوصل إليه بطريق محرم، ولا شك أن الحوكمة تحقق مقصد هذه النصوص وتعتبر إحدى الآليات المطلوبة؛ لتحقيق تلك المقاصد، ولذلك فإنَّ هذه النصوص وغيرها دالَّة على وجوب الاحتكام إلى أي آلية أو وسيلة تحقق تلك المقاصد، وعلى رأس تلك الآليات الحوكمة بمبادئها ومعاييرها المفضية إلى الشفافية والنزاهة[٣١].

٥- الوفاء بالعقود

تظهر أسس نظام الحوكمة في الحضارة الإسلامية ومعالمه من خلال الأسس التي تقوم عليها العقود وفقًا للشريعة الإسلامية السمحة، والعقد هو الارتباط والالتزام بسلوك معَّين، وفي حدود اتفاق الطرفين على موضوع معَّين فيه مصلحتهما، وتتوفر فيه أركان العقد؛ وأمر الله سبحانه وتعالى بالوفاء بالعقود؛ لأنَّ من طبيعة الإسلام الوفاء، ومن واجب المسلم أن يفي بما عاهد عليه.

إنَّ أساس العقد الثابت في الإسلام هو هذه الآية الكريمة البليغة المختصرة المفيدة قال تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٣٢] يعني: أوفوا بالعهود التي عاهدتموها ربَّكم، والعقود التي عاقدتموها إياه، وأوجبتم بها على أنفسكم حقوقًا، وألزمتم أنفسكم بها لله فروضًا، فأتمُّوها بالوفاء والكمال والتمام منكم لله بما ألزمكم بها، ولمن عاقدتموه منكم، بما أوجبتموه له بها على أنفسكم، ولا تنكُثُوها فتنقضوها بعد توكيدها[٣٣]، إن هذه الآية شملت الرقابة الإلهية، والرقابة القانونية الوضعية، ورقابة الضمير والخوف من الله، ورقابة تطبيق القانون. قال

(٢٨) القرآن، النساء [٤: ٢٩].

(٢٩) القرآن، البقرة [٢: ١٨٨].

(٣٠) أخرجه البوصيري في كتابه إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، رقم الحديث ٢٩٣/٣، المحقق دار المشكاة للبحث العلمي، وأخرجه السيوطي في كتاب الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، الحديث رقم (٨٨٧٩) حكم المحدث إسناده صحيح.

(٣١) الصلاحين، عبد المجيد. ٢٠٠٩م، «الحوكمة في المؤسسات المالية الإسلامية»، ص ٨.

(٣٢) القرآن، المائدة [٥: ١].

(٣٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ٢٠٠٠م، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، ج٩، ص٤٩٩.

الرسول ﷺ: «لا تبع ما ليس عندك»[٣٤] أي: لا تتعاقد، ومحلّ العقد غير موجود. قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّـهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّـهُ وَاللَّـهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣٥]. حيث يجب أن تقوم العقود على أسس العدالة، والمسؤولية، والمساءلة، والشفافية، فالعدالة تُعَدُّ من أهمّ الأسس التي تقوم عليها العقود في الشريعة الإسلامية، وهذا ما نجده في العديد من آيات القرآن الكريم منها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّـهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[٣٦] تعني أنه تعالى يأمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة[٣٧]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[٣٨] والقوَّام صيغة مبالغة، أي: كونوا في كلّ أحوالكم قائمين بالقسط الذي هو العدل في حقوق الله وحقوق عباده، فالقسط في حقوق الله أن لا يستعان بنعمه على معصيته، بل تصرف في طاعته[٣٩]، كما تشترط القواعد الشرعية تحديد المسؤولية المقررة على كلّ فريق بدقّة، والحثّ على أدائها بكلّ صدق وأمانة، بحيث تتمّ مسآلة كلّ فريق عن أداء التزامه، ومدى الوفاء به، ومحاسبة من يخلّ بالأداء بالتزامه بالجزاء سواء الإداري أو القضائي، والجزاء من الله عزّ وجلّ[٤٠]، وألزمت الشريعة الإسلامية كلّ فريق بتقديم البيانات الكافية بما يسبغ على محلّ التعاقد شفافية كاملة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٤١] يقول: وقضى أن زنوا أيضا إذا وزنتم لهم بالميزان المستقيم، وهو العدل الذي لا اعوجاج فيه، ولا دَغَل، ولا خديعة[٤٢]. بذلك تكون الشريعة الإسلامية السمحة قد أرست أسس الشفافية في التعامل بمنتهى الصدق والأمانة والدقة، وهذه هي أسس وأصول الحوكمة.

---

(٣٤) أخرجه النووي في كتابه المجموع شرح المهذب، باب ما نهي عنه من بيع الضرر وغيره، رقم الحديث (٢٥٩/٩) خلاصة حكم المحدث صحيح.

(٣٥) القرآن، البقرة [٢: ٢٨٢].

(٣٦) القرآن، النحل [١٦: ٩٠].

(٣٧) ابن كثير، الإمام الحافظ عماد الدين، ١٩٩٩م، تفسير القرآن العظيم، ط٢، ج٤، ص٥٩٥.

(٣٨) القرآن، النساء [٤: ١٣٥].

(٣٩) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، ٢٠٠٠م، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ج١، ص٢٠٨.

(٤٠) سيتيتية، عدنان على. ٢٠١٠م، «**الحوكمة نظام للإدارة الرشيدة**»، جريدة **الشرق** القطرية، ١٩أغسطس، *http: //www. al-sharq. com/*

(٤١) القرآن، الإسراء [١٧: ٣٥].

(٤٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ٢٠٠٠م، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، ج١٧، ص٤٤٥.

٦- المساءلة

تُعَدُّ المساءلة من المبادئ الأساسية للحوكمة الرشيدة، وهناك شواهد عظيمة لقادة عظماء في الدين الإسلامي قبلوا المساءلة، ويسألون أيضًا تابعيهم[٤٣]، نأخذ مثلاً سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عندما وقف على المنبر وقال: عباد الله اسمعوا وأطيعوا، وقف أحد المصلين وقال له: والله لا نسمع، ولا نطع حتى نعرف كيف ميزت نفسك علينا، قال له: بِمَ يا عبدالله؟ قال: بما عليك من حُلتين وعلينا من حُلة، قال: أين عبدالله بن عمر (ابنه)؟ وقام عبدالله بن عمر، فقال: هذه الحلة كانت لي وأعطيتها لأبي، فأجاب سيدنا عمر: كما تعلمون إنني رجل طويل، وتفضل عليَّ عبدالله بن عمر بهذا، فقال الرجل: الآن نسمع ونطيع، وهذا نموذج رفيع للقيادة التي تقبل المساءلة.

فسيدنا عمر بن الخطاب - على سبيل المثال - لم يكن يحاسب نفسه فقط، بل كان يحاسب معاونيه أيضًا؛ فلقد كان أبو موسى الأشعري من القيادات والصحابة الأجلاء المتقدمين في الإسلام. سمع عمر أنَّ أبا موسى الأشعري بعد أن عَّينه عاملاً على الكوفة قد تغيرت أموره وأحواله إلى غير ما كانت عليه، فكتب له محاسبًا ومسائلاً: أنه قد نما إليَّ أنك قد أصبحت تتكئ في مجلسك، فقد تغير لك ولأهل بيتك شيء في المطعم والملبس، فلا تكن يا عبدالله كالبهيمة التي نزلت مرتعًا خصبًا فلم يكن لها هم سوى السماد، فهنا لم يترك عمر ﷺ ذلك الرجل الصحابي الجليل المتقدم على الكوفة، وذلك لأنه أحس أن هناك فسادًا؛ لذلك وجب علينا أن نبرز القيادات التي تقبل المساءلة سواءً أكانوا قيادات سياسية، أم قيادات إدارية، ونكتب عنها ونقدمها بوصفها نموذجًا يمكن أن تكون قدوة، وأن نعرض أيضًا التجارب المتميزة، خاصة في العالم الإسلامي.

ومن التطبيقات العملية لنظام الحوكمة في الحضارة الإسلامية بوصفها أسلوبًا للإدارة الرشيدة، تلك القصة الشهيرة للخليفة العادل عمر بن عبد العزيز عندما التقى رسولاً من أحد ولاته، وأوقد شمعة من مال المسلمين عندما تحدث بالأمور العامة، ثم أطفأ تلك الشمعة، وأوقد شمعة أخرى من ماله الخاص عندما تحدث مع ذلك الرسول عن شؤونه الخاصّة[٤٤].

---

(٤٣) أبو كريم، أحمد فتحي، ٢٠٠٩م، **الشفافية والقيادة في الإدارة**، ط١، ص٧٣.

(٤٤) ستيتية، عدنان علي، ٢٠١٠م، «**الحوكمة نظام للإدارة الرشيدة**»، ص٦.

٧- المسؤولية

إنَّ المسؤولية لها دور كبير في تعزيز الحوكمة الرشيدة داخل المنظمات، ويركز الإسلام على دور المسؤولية في بناء المجتمع وتطوره، فالفرد الذي لا يستطيع أن يتحمل القيام بالعمل الملقى عليه حتمًا لا يستطيع تحمل المسؤولية، ويجب مراعاة ذلك فقد يكون غير مستطيع، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٤٥] أي: لا يكلف أحدًا فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه، ورأفته بهم، وإحسانه إليهم[٤٦].

كذلك الالتزامات المترتبة على التصرفات الصادرة عن الموظف في حدود الوظيفة بوصفها ضوابط شرعية، لتحكم مسيرة السلوك الوظيفي في إطاره الشرعي داخل تلك الحدود الوظيفية، ضمانًا لتحقيق المصالح المتعلقة بالوظيفة، وأنَّ المدير المسلم يحسُّ بثقل المسؤولية وهو يقوم بممارسة واجباته الوظيفية؛ لأنه يدرك أنَّه يقع تحت مسؤوليتين: مسؤولية صغرى ومسؤولية كبرى، فالصغرى هي المحاسبة على التقصير في العمل من قبل جهات أعلى منه، والكبرى هي أمام الله وهذه تمكن المدير من النجاة من المسؤولية الصغرى إذا التزم بالمسؤولية الكبرى[٤٧].

قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[٤٨] أي: قفوهم حتى يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا[٤٩].

أخيرًا يمكن القول بأن مقاييس وشروط الحوكمة التي أصبحت تدعو إليها المؤسسات الدولية، تحققت في التاريخ الإسلامي على مستوى التجربة والنظرية السياسية.

نستنتج من ذلك أنَّ الحوكمة شيء ضروري توافره في كلّ مؤسسة سواءً كانت خاصّة أو عامّة تستهدف الوضوح والشفافية في تعاملاتها، ويكاد وجودها محتمًا في مؤسسات المجتمع الإسلامي بصفة عامة، وذلك لارتباطها بالشريعة الإسلامية وقواعدها التي تحثنا على الصدق والأمانة في كل تعاملاتنا سواء المالية أوغيرها. ورغم كلّ هذا فلا يزال التساؤل مطروحًا إلى أي مدى تُعَدُّ الحوكمة الرشيدة ضرورية، وهل وجودها يحمي هذه المؤسسات من أي مشكلات أو أزمات تمرُّ على عالمنا كالأزمة الراهنة

---

(٤٥) القرآن، البقرة [٢: ٢٨٦].

(٤٦) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ١٩٩٤م، الجامع لأحكام القرآن، ط٣، ج١، ص٧٣٧.

(٤٧) العلياني، سعيد بن سهلان، ١٤٢٩هـ، «**ممارسات القيم الإدارية الإسلامية لدى مديري مدارس التعليم العام بمحافظة بلقرن من وجهة نظر المعلمين**»، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم القرى، ص٢٨.

(٤٨) القرآن، الصافات [٣٧: ٢٤].

(٤٩) ابن كثير، الإمام الحافظ عماد الدين، ١٩٩٩م، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، ج٨، ص٩.

التي أودت بحياة الكثير من هذه المؤسسات، وقد يكون غياب عنصر الحوكمة – هو – السبب؟

ولعل ما ذكر سابقًا يجيب عن بعض هذه التساؤلات ويطرح أهمية الحوكمة في تطوير الإدارة في المجتمعات الإسلامية، ودفعها إلى الأمام بكلِّ شفافية وأمانة.

المراجع والمصادر

١) القرآن الكريم.

٢) الحديث الشريف.

٣) ابن ثابت، علال وعبدي، نعيمة. ٢٠١٠ م، «الحوكمة في المصارف الإسلامية». (ورقة عمل)، **اليوم الدراسي حول التمويل الإسلامي واقع وتحديات**، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، ٠٩ ديسمبر، ص٩.

٤) ابن كثير، الإمام الحافظ عماد الدين، ١٩٩٩م، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢/ ج ٤، ٦، ٧، ٨.

٥) أبو الدهب، أشرف طه، ٢٠٠٢م، **المعجم الإسلامي الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية**، القاهرة: دار الشرق، ط١.

٦) أبوكريم، أحمد فتحي، ٢٠٠٩م، **الشفافية والقيادة في الإدارة**، عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ط١.

٧) ابن ثابت، علال وعبدي، نعيمة، ٢٠١٠ م، «**الحوكمة في المصارف الإسلامية**»، (ورقة عمل)، **اليوم الدراسي حول التمويل الإسلامي واقع وتحديات**، جامعة عمار ثليجي، ٠٩ ديسمبر.

٨) حميش، عبد الحق أحمد، ٢٠٠٣ م، «**مكافحة الفساد من منظور إسلامي**»، (ورقة عمل)، **المؤتمر الدولي لمكافحة الفساد**. الرياض، ٦-٨ أكتوبر.

٩) الرفاعي، محمد نسيب (د. ت) **تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير**، ج١.

١٠) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، ٢٠٠٠م، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ج١.

١١) سيتيتية، عدنان على، ٢٠١٠م، «**الحوكمة نظام للإدارة الرشيدة**»، جريدة **الشرق القطرية**، ١٩أغسطس، *http: //www. al-sharq. com/*

١٢) الصلاحين، عبد المجيد. ٢٠٠٩م، «**الحوكمة في المؤسسات المالية الإسلامية**»، (ورقة عمل)، **مؤتمر الخدمات المالية الإسلامية الثاني**، أكاديمية الدراسات العليا طرابلس.

١٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ٢٠٠٠م، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة للنشر، ط١، ج٨، ج٩، ج١٠، ج١٧، ج٢٣، ج٢٤.

١٤) عبد الحميد، محسن، ١٩٨٩م، **الإسلام والتنمية الاجتماعية**، جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط١.

١٥) العلياني، سعيد بن سهلان، ١٤٢٩هـ، «**ممارسات القيم الإدارية الإسلامية لدى مديري مدارس التعليم العام بمحافظة بلقرن من وجهة نظر المعلمين**»، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم القرى.

١٦) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، ١٩٩٤م، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ج١.

١٧) مشعل، عبد الباري، (د. ت)، «**المعيرة والتنميط يحولان الهيئات الشرعية إلى جهات استشارية وتفسيرية**»، **رقابة للاستشارات المالية الإسلامية**، ص٢، *http: //www. raqaba. co. uk*.

١٨) النداوي، مريم مصطفى، ٢٠٠٤ م، **العلاقة بين خصائص القيادة الجماعية العراقية وإدارة الأزمات دراسة ميدانية لعينة من بعض الجماعات في المنطقة الشمالية**، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة الموصل.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

٢- موقف القانون الجنائي الليبي من إباحة المساس بحرمة المسكن عن طريق التجسس السمعي

دراسة مقارنة مع القانون الجنائي المصري

• د. علي محمد علي اعنيبة

المشرع قد يضحى أحيانًا ببعض عناصر الحق في الحياة الخاصة لتحقيق أكبر قدر من العدالة، فقد يكون في ضبط الرسائل أو مراقبة المحادثات أو تسجيلها دليل على وقوع إحدى الجرائم أو نسبتها للمتهم.

لكن التجريم المطلق لهذه الأفعال قد يكون من شأنه إعاقة السلطات في البحث عن الحقيقة، ومن ثم يتعذر عليه الكشف عن الجرائم وضبط المجرمين وإنزال العقاب بحقهم، وفي ضوء ذلك يحاول المشرع إقامة نوع من التوازن بين مصلحتين، مصلحة المجتمع المتمثلة في إقامة العدالة وضبط الجاني وكشف الحقيقة، ومصلحة الأفراد في حرمة حياتهم الخاصة، ولن يأتي ذلك إلا بتخويل هذه السلطات الحق في سلوك مختلف السبل بغية الكشف عن الحقيقة إذا ما تعذر عليها الوصول إليها في إطار الاحترام المطلق لحرمة الحياة الخاصة للأفراد، خاصة بعد تسليح بعض الجناة بالوسائل العلمية الحديثة في مجال ارتكاب الجريمة، والتي قد يكون من الصعب الكشف عنها دون لجوء السلطات إلى مثل هذا التعدي على حق من سمح لنفسه بالتعدي على حقوق الغير إذا كان من شأن صيانة هذه الحقوق ضياع حقوق المجني عليهم.

• طالب دكتوراة في كلية الشريعة والقانون جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، عضو هيئة تدريس بجامعة مصراتة - ليبيا. البريد الإلكتروني: *ali_aneba@yahoo.com*

فالمكالمات الهاتفية تتضمن أدق أسرار الناس وخباياهم، ففيها يبدأ المتحدث إلى غيره في الحديث معه بحرية ويكشف له أسراره ويبسط له أفكاره دون حرج أو خوف من تنصت الغير معتقدًا أنه في سرية تامة عن الآخرين، لهذا كان التنصت على المكالمات الهاتفية كشفًا صريحًا لستار السرية وحجاب الكتمان الذي يستتر به المتحدثان خلاله. ومن هنا أثير التساؤل الآتي هل يجوز من أجل محاربة الجريمة والقبض على المجرمين تسور سياج السرية وخرق حجاب الخصوصية؟

إن الإجابة عن هذا التساؤل تكمن بجواز ذلك، فالتنصت أصبح ضرورة اجتماعية يتعلق بمصلحة وحقوق المجتمع في ضرورة شعور أفراده بالأمن وحماية حرياتهم، فكيف يسمح لمجرم بالاستفادة من الهاتف لارتكاب جرائمه ولا يسمح للدولة أو السلطة المختصة بمراقبة الهاتف مع كون هذا الإجراء كما أكد البعض من رجال الأمن من الأسلحة الفعالة التي تساعد على إجهاض الكثير من المشروعات الإجرامية أو التعرف على المساهمين فيها عن طريق التنصت على محادثات العصابات الإجرامية.

وعلى ضوء ذلك سنتناول في ورقتنا هذه موقف القانون الجنائي الليبي والمصري من هذه الإباحة، وهل أعطى كل من المشرعين لهذه الإباحة ضمانات قانونية لا تتعارض مع حرمة المسكن أم أن بهما نقص يحتاج إلى تعديل لكي تكون أكثر ضمانة في حياته، حيث أن الهدف الذي يسعى إليه المشرع الجنائي لتحقيقه من وراء تجريمه لانتهاك حرمة المسكن ليس حماية الملكية أو حماية المكان وإنما حماية الحرية الفردية للشخص داخل مسكنه.

Abstract

The Situation of the Libyan Criminal Law of legalizing violation the sanctity of house by overhearing. A Comparative Study with the Egyptian Criminal law.

Legislator sometimes might sacrifice some of right components in private life for achieving maximum justice, so watching out for messages and letters or overhearing conversation and recording them might be an evidence of a crime and attribute it to the defendant, but criminalizing these actions completely may deter authorities from searching the truth and then it would be impossible to reveal crimes, arrest criminals and then punish them. Therefore, legislator tries to establish a kind of balance between two interests. The first one is the society interest that represented in making justice, arresting offender and revealing truth. The second is the individuals' interest that represented in the sanctity of their private lives. Therefore, the authorities must have access to many various ways in order to reveal truth if it is impossible to access it trough the utter respect of the inviolability of individuals' private lives especially after a new technology have been used by some offenders to commit crimes which may be difficult to uncover unless the authorities have access to this infringement of people's right who allow themselves to violate the right of others if the preservation of these rights involves waste of victims rights. Phone calls include the most important people's secrets. People talk to each other through phones freely about their secrets and thoughts without fear of being tapped by others thinking they talk in top secret. So, eavesdropping on phone calls is considered an overt exposure of secrecy and confidentiality under which the two callers are talking freely. Hence, there is a question. Is it possible to climb the wall of secrecy and penetrate the curtain of privacy for the sake of fighting crime and arresting criminals? The answer is yes, it is. Eavesdropping on phone calls became a social necessity related to the interest and rights of society so that people feel safe and secure. How is it allowed to a criminal to take advantage of phones to commit their crimes whereas not allowed to

the government to eavesdrop on phone calls? Some of security officers maintained that overhearing on phone calls is one of the active methods which help abort a lot of crimes and know those who take part in them through eavesdropping on phone calls of the criminal gangs.

Therefore, we are going to talk in this paper about the situation of Libyan and Egyptian criminal law of this legalization and we are going to see if both legislators gave this legalization legal guarantees which do not interfere with the sanctity of home or they have deficiency that needs to be mended to be more guaranty in life because the objective with which the legislator criminalizes the violation of home sanctity is not to protect property or place but to protect the individual freedom inside house.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

٣- دور الجاحظ في كشف الإسرائيليات

• أ. حنان أحمد حبيب الهوني

مقدمة

الإسرائيليات مصطلح في التراث الإسلامي، المقصود به نمط الأفكار والتفسيرات والحكايات، بعضها من الثقافة اليهودية والآخر من الثقافة المسيحية، التي تحمل سمة الخرافة، لذلك أطلق هذا المصطلح على كل فكر دخيل، وبخاصة ما فيه مبالغة ودس وتخريف، ولو كان مرويًا من غير إسرائيليين، أو متعلقًا بقصص غير إسرائيلي وفيها كثير من الأغراب والخيال والمبالغة، حول قصص وشخصيات ليست واردة في أسفار أهل الكتاب».[١]

ومن البيّن أن الدين الإسلامي دين توحيد، يدعو إلى إعمال الفكر والتأمل بعيدًا عن الخرافات والأساطير، والإيمان بالله تعالى هو القاعدة الفكرية التي تبنى عليها جميع الأفكار عن الحياة، والقرآن الكريم كتاب هدى ورحمة وإخبار عن كل حكمة، وتعريف كل سيئة وحسنة، قال تعالى: ﴿الم ۞ ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

• طالبة دكتوراة، تخصص فلسفة إسلامية، في جامعة عبد الملك الساعدي، تطوان/المملكة المغربية.
البريد الإلكتروني: hanan habib200822@yahoo.com

وقد تنبه الجاحظ مبكرًا إلى دور الإسرائيليات في تشويه الإسلام ومبادئه بإدخال الخرافات فيه، وبتوظيف تلك الخرافات لتكون هي الوسيلة لتسريب الأفكار والعقائد المخالفة للدين الإسلامي، وقد أدرك الجاحظ بداية التحريف والزيادات التي لحقت بالنصرانية واليهودية على حد السواء بقوله للنصارى: «**ولسنا نسألكم عن سيرة النصارى اليوم ولكننا نسألكم عن دين موسى وحكم التوراة، وحكم صاحب الزبور، ومازالوا عندكم إلى أن أنكروا ربوبية المسيح**»[٣].

مساعي الجاحظ في كشف الاسرائيليات في الفكر الإسلامي

يرى الجاحظ أن ما يدعيه كلاً من النصارى واليهود أن التوراة والأنجيل اللذان يدينان بهما هما الدين الحق وهما كلام الله تعالى لأنبيائه، قولاً يحمل في طياته أباطيل تزييف اليهود والنصارى، وذلك لما لحق التوراة والأنجيل من تزييف وزيادات نسبوها لله ﷻ تعالى عن ذلك -علوًا كبيرًا-، ويرى الجاحظ أن أصحاب الإسرائيليات قد عمدوا إلى انتهاج العديد من السبل والتي عن طريقها يسهل الوصول والتأثير في عقيدة وعقل ووجدان المسلمين، ومن هذه السبل:

أولاً - تحريف تفاسير الآ يات القرآنية بإدخال الطابع الأسطوري والاستعانة بمظاهر التجسيم لكي يسهل نافذ تلك التفسيرات إلى الجهلة والعوام، وضعاف العقول، ومثال ذلك قول الجاحظ: «وقد قال الناس في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾[٤]، **فزعم أناس أن رؤوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن، لها منظر كريه، والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير، وقالوا ما تعني إلا رؤوس شياطين معروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم، فقال أهل الطعن والخلاف:**

كيف يجوز أن يُضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه، ولا وصف لما صورته في كتاب ناطق، أو خبر صادق، ومخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة، والتفزيع منها، وعلى أنه لو كان شيء هائل شنيع، قد عاينوه أو صوره لهم واصف صدوق بيده، وأكثر الناس لم يعاينوا حملة القرآن من السلمين»[٥]، ورد الجاحظ على مزاعم أولئك العوام والجهلة بأصول التفسير مبينًا أنه وإن لم يرى الشيطان بالعين، ولم يصور أحدًا من الصادقين الهيئة التي تكون عليها رؤوس الشياطين، إلا أن إجماع المسلمين والعرب في لغتهم الفصيحة ومن خلال الأمثال التي يضربونها للدلالة على القبح بقولهم أقبح من الشيطان، دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح، وأنه لم يجسد في هيئة وصورة، والكتاب إنما نزل على هؤلاء الذي ثبت في طبائعهم بغاية التثبت[٦]. وكذلك من الإسرائيليات التي تحمل الطابع الأسطوري في تحريف تفسير آيات القرآن الكريم بغرض تشويهه، والمساس بالمبادئ السامية التي يحملها، والتي تنبه الجاحظ لها وأدركها بقوة عقله ونفاذ بصيرته مبينًا الزيف والأباطيل التي تحملها في ثنايا التفسير والتي دخلت الفكر الإسلامي وتناقلها الناقلون بدون تصفح ولا تثبت، ما يتعلق بقصة هاروت وماروت حيث زعموا «**أن جرهمًا كان من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم، وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه في السماء أهبطه إلى الأرض في صورة رجل، وفي طبيعته كما صنع بهاروت وماروت حين كان من شأنهما وشأن الزهرة، وهي أناهيد، ما كان فلما عصى الله تعالى بعض الملائكة وأهبطه إلى الأرض في صورة رجل تزوج أم جرهم، فولدت له جرهمًا، وبذلك جعلوا سهيلاً عشارًا مسخ بخمسًا، وجعلوا الزهرة امرأة بغيًا مسخت بخمس أيضًا**»[٧]، يتضح من ذلك الآتي:

١ – محاولة هذه الإسرائيلية الطعن في تنزيه الملائكة باستغلال عاطفة العوام، بمثل تلك التشبيهات والتجسيمات والتي من السهل أن تؤثر فيهم.

٢ – القاعدة الإيمانية القوية والعقلية الواعية بمثل تلك الأمور التي يتمتع بها الجاحظ، والتي بموجبها حاول الجاحظ كشف تلك الإسرائيليات وبيان أنه لا أصل لها في القرآن الكريم ولا السنة الشريفة.

وكذلك مما حاول الجاحظ أن يثبته أن تلك الروايات الباطلة ليس من خرافات الجاهلية، وإنما أخذ عن أهل الكتاب استشهاده بأبيات لشاعر نصراني هو عدي بن زيد، حيث وصف الجاحظ بأنه نصرانيًا ديانًا وترجمانًا، وصاحب كتب وكان من دهاة أهل ذلك الدهر، وقد ذكر عدى شأن آدم عليه السلام ومعصيته، وكيف أغواه، وكيف دخل في الحية وأن الحية كانت في صورة جمل، فمسخها الله عقوبة لها، حين طاوعت عدوه على وليه»[٨]، وكذلك قال الجاحظ في رواية عن كعب الأحبار أنه قال: مكتوب في التوراة أن حواء عند ذلك عوقبت بعشر خصال، وأن آدم لما أطاع حواء وعصى ربه عوقب بعشر خصال، وأن الحية التي دخل فيها إبليس عوقبت أيضًا بعشر خصال.. وقد توصل الجاحظ من خلال بحثه فيما يروى عن التوراة بأنه كثيرًا مما يحكي عن كعب أنه قال: مكتوب في التوراة أنه إنما قال: نجد في الكتب، وهو إنما يعني كتب الأنبياء والذي يتوارثونه من كتب سليمان، وما في كتبهم من كتب إشعياء»[٩]، ويتضح ممن سبق الآتي:

١- إطلاع الجاحظ على ترجمات للتوراة والإنجيل من خلال المترجمين الذين عاصرهم وقد سبق وتمّ التنويه عليهم في موضع سابق، وتحديدًا عدي بن زيد، بما يخص النصرانية، أما اليهودية فكان ذلك عن طريق كعب الأحبار، مما يثبت ذلك سبق الكشف لترجمات التوراة والإنجيل والإطلاع عليها من قبل المسلمين للجاحظ، وأن هناك فعلاً من أطلع على تلك الترجمات وعاينها.

٢- تنبه الجاحظ إلى أن تلك الإسرائيليات لم تكن موجودة في التوراة والإنجيل وإنما كانت نتاج للتحريف والزيادات والأباطيل التي نسبت إلى تلك الكتب، وكذلك إلى أن تلك الخرافات التي يتداولها الأعراب لم تكن من خرافات الجاهلية وإنما كانت من قبل الإسرائيليات التي تسربت إلى العرب المسلمين، أي لا علاقة لتلك الإسرائيليات بالموروث الثقافي العربي.

٣- يشير الجاحظ «إلى أن أصل تلك التفسيرات الخرافية من أن اليونان والفرس والديانات الوثنية في أهل الكتاب اليهود والنصارى، ومن ثم عمل اليهود على تسريبها للعقيدة الإسلامية بشكل أو بآخر بقصد النيل من الإسلام والمسلمين»[١٠]

٤- كذلك من السبل التي تسربت عن طريقها الإسرائيليات الأحاديث الشريفة، حيث عمدوا إلى تحريف الأحاديث ودسها بالخرافات للنيل من النبي ﷺ، وقد ذكر الجاحظ نماذج لتلك الأحاديث الموضوعة والتي لا أساس لها من الصحة، وكذلك المزاعم والأباطيل على الأنبياء.

ثالثًا - الكهنة والعرافين

أشار الجاحظ إلى دور الكهنة والعرافين في تسريب الإسرائيليات للإسلام، حيث كانت الكهانة والعرافة والاستعانة بالجن لمعرفة الأمور الغيبية، من الأمور السائدة في عصر الجاحظ بين العوام وبين بعض الخاصة، حيث كان بعض الخلفاء يستعينون بالعرافين لمعرفة ما سيجري، مثال ذلك ما ذكره الجاحظ من الحجاج أنه لما حضرته الوفاة، فسأل المنجم هل ترى ملكًا يموت؟ قال: نعم ولست به أرى ملكًا يموت أسمه كليب، وأنت اسمك الحجاج، قال: فأوالله كليب أمي سمتني به وأنا صبي، فمات الحجاج واستخلف على الخراج

يزيد بن أبي مسلم»[١١]، وهذه حادثة من كثير كان يروى في عصر الجاحظ، وقد ذكر الجاحظ أسماء العديد ممن ادعوا الكهانة، وهي أعلى مرتبة من العرافة، وكذلك أسماء العديد من العرافين.

ويرى الجاحظ أن ما يذيعيه هؤلاء ليس من جنس العيافة، والزجر والحظوظ، والنظر في أسرار الكسف، وفي مواضع قرض الفأر، وفي الخيلان في الجسد، وفي النظر في الأكتاف، والقضاء بالنجوم، والعلاج بالفكر، مما يشير ذلك إلى مظاهر الشعوذة والدجالة التي كانت سائدة في العصر العباسي، بل هو من جنس أدعاه مسيلمة الكذاب وغيره من المتنبئين، من الأكاذيب التي رووها وروجوا لنشرها بين الناس»[١٢]، ويقول الجاحظ «**أن اليهود تقول للمتنبئ معه روح بلعر بوث، ويريدون بذلك شيطانًا، فإذا كان نبيًا قالوا: روحه روح القدس، وروحه روح الله، أما النصارى فيقولون للمتنبئ: معه روح دكالا، ومعه روح سيفرت، ويقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[١٣]، يعني القرآن**»[١٤].

رابعًا – الخرافات والقصص

حيث كانت الخرافات التي يرويها القصاصون والأعراب من أهم المسارب للإسرائيليات لما كانت تحويه تلك الخرافات من تفسيرات مرتبطة بالحياة اليومية للناس، وكانت تلك الخرافات تجد طريقها بين العوام والجهلة، وقد ذكرها الجاحظ في أكثر من موضع في كتابه الحيوان[١٥].

ويرى الجاحظ أن الرواة لتلك الخرافات والمزاعم والأباطيل مما ساعدهم في نشر ذلك، وأغراهم به، ومد لهم فيه، أنهم ليس يلقون بمثل هذه الأخبار «إلا إعرابيًا مثلهم أو غبيًا لم يأخذ نفسه قط، ولتمييز ما يوجب التكذيب والتصديق أو الشك ولم يسلك سبيل التوقف

والتثبت في هذه الأجناس قط، وأما أن يلقوا رواية شعر، أو صاحب خبر، فالرواية عندهم كلما كان الإعرابي أكذب في شعره كان أظرف عندهم، وصارت روايته أغلب ومضاحيك حديثه أكثر، فلذلك صار بعضهم يدعي رؤية الغول، أو قتلها، أو مرافقتها أو تزويجها، وآخر يزعم أنه رافق في مفازة نمرًا فكان يطاعمه ويؤاكله»[١٦]، وكان الجاحظ يلقي باللائمة على من يؤمن بتلك الروايات والتفاسير من المسلمين بقوله: «**ولم أعب الرواية وإنما عبت الإيمان بها، والتوكيد لمعانيها، فما أكثر من يروي هذا الضرب على التعجب منه، وعلى أن يجعل الرواية سببًا لتعريف الناس حق ذلك من باطلة، إلا أن كل من لم يكن متكلمًا حاذقًا، وكان عند العلماء قدوة وإمامًا فما أقرب إفساده المتعمد لإفسادهم**»[١٧]، ويتضح من ذلك الآتي:

أولاً- وجود الأعراب والجهلة ساعد على توفير بيئة خصبة لنمو وازدهار مثل تلك الخرافات، وضمان استمرار بقائها.

ثانيًا- يرى الجاحظ أن وجود تلك الخرافات والأساطير الدخيلة على الإسلام، لا يعني الأخذ بها، جعل تلك المهمة قصرًا على المتكلمين الذين لا يكاد الجاحظ يغفل عن دورهم في إنقاذ المجتمع الإسلامي من تلك الإسرائيليات وتخليص تراثه العريق والأصيل منها، وبيان أنه لا أصل لتلك الإسرائيليات في الكتاب والسنة الشريفة.

الهوامش

١- رمزي نعناعة، **الإسرائيليات وأثرها في التفسير**، بيروت: دار الضياء، دمشق: دار القلم، ١٩٧٠ ص٧٣.

٢- القرآن الكريم، سورة البقرة: ١-٢.

٣- التوراة كلمة عبرية مشتقة من الارامية تعني الهداية والارشاد، وهي الكتاب المقدس عند اليهود، وتشتمل على التعاليم والأحكام الدينية وعلى قواعد السلوك بين الناس. انظر حميد: فوزي محمد«**عالم الأديان**» مرجع سابق ص ٣٧٦. صاحب الزبور هو سيدنا داوود عليه السلام، حيث ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وآتينا داوود زبورا﴾ سورة النساء: ١٦٣. وبعد الزبور أو المزامير كما وردت في التوراة أعظم الأسفار الشعرية في العهد القديم. أنظر حميد: فوزي محمد «**عالم الأديان**» مرجع سابق ص ٣ - ٣٨٢.

٤- القرآن الكريم، **سورة الصافات**: ٦٤.

٥- الجاحظ عمرو بن بحر «**الحيوان**» تح: يحي الشامي مج١. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ج٤، ط٣، ١٩٩٧، ص ١٤٩.

٦- المصدر السابق، ج ٤، ص. ٤٢٧.

٧- المصدر السابق.

٨- المصدر السابق، ج١، ص ١٠٣-١٠٤.

٩- المصدر السابق، ص ٧٢.

١٠- المصدر السابق، ص ٧٣. أنظر أيضًا رد الجاحظ على الدهريين، والصابئة والمجوس والهراطقة.

١١- الجاحظ، كتاب الحيوان، مرجع سبق ذكره، ج١، ص ١٧٨.

١٢- المصدر السابق.

١٣- القرآن الكريم، **سورة الشورى**: ٥٢.

١٤- الجاحظ، كتاب الحيوان، ج١، ص. ١٧٨.

١٥- المصدر السابق.

١٦- المصدر السابق.

١٧- المصدر السابق.

قائمة المراجع

- القــرآن الكـريم
- الجاحظ، **الحيوان**، ج١.
- حميد: فوزي محمد، **عالم الأديان**.
- رمزي نعناعة، **الإسرائيليات وأثرها في التفسير**، بيروت: دار الضياء، دمشق: دار القلم، ١٩٧٠.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

٤- نحو صياغة إطار نظري لبناء مفهوم التفكير السنني وإحداث النقلة المعرفية الابستمولوجية المنشودة

• د. عبد العزيز حدار

ملخص

يعد موضوع السنن الإلهية من بين أهم الموضوعات التي أثارها المفكرون المسلمون مع مطلع القرن الماضي، وقد ذهب الكثير منهم إلى أن العقل المسلم قد تعطل بسبب عجزه عن الوعي بالسنن والتعامل معها، فهمًا وتسخيرًا. بعبارة أخرى افتقاره للتفكير السنني، وهو الأمر الذي أثر على جميع مجالات الحياة وكرس التخلف وساهم بشكل واسع في تفاقم المشكلات بجميع أشكالها. نحاول من خلال هذه المداخلة التطرق إلى مفهوم السنن النفسية الاجتماعية والطبيعية (الإلهية) وعلاقتها بالسنة النبوية والقانون العلمي والسنن الخارقة، كما نستعرض بعض من خصائص هذه السنن وأشكالها ومصادرها، قبل أن نطرح تعريفًا لمفهوم التفكير السنني ومنطلقاته التصورية. هذه العناصر التي تم تناولها، ولو بطريقة مقتضبة مختصرة حسبما يقتضيه سياق الملتقى، من شأنها أن تساهم في إثراء الإطار النظري لمفهوم التفكير السنني، بغية الوصول في نهاية المطاف إلى تحديد هذا المفهوم، وإحداث النقلة الابستمولوجية المعرفية المنشودة.

• أستاذ باحث ومحاضر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة سعد دحلب/ البليدة/ الجزائر، البريد الإلكتروني: *heddarazziz@yahoo. fr*.

Topic of the intervention

Towards the formulation of a theoretical framework to build the concept of divine laws thinking and make the desired cognitive epistemic shift

Abstrac

The subject of the divine laws is considered one of the most important issues raised by Muslim thinkers with the beginning of the last century. They believe that the Muslim mind crashed because of its inability to perceive the divine laws and deal with them – understand and exploit -, in other words, its lack of divine laws thinking. Which impacted negatively on all areas of life and devoted underdevelopment and contributed extensively in the aggravation of all forms of problems.

The purpose of this intervention is to address the psycho-social and natural divine laws concept in its relation to the sunaah of the prophet Mohammed (m. p. b. u. h) and the scientific and extraordinary laws, as we review some of the characteristics of these laws, forms and sources, before a definition of the concept of “divine laws thinking" and its conceptual bases is put forward. The elements that have been briefly dealt with, as required by the context of the Forum, would contribute to the enrichment of the theoretical framework of the “divine laws thinking", in order to determine the concept, and make the cognitive epistemic shift desired.

تمهيد

قبل التطرق إلى مفهوم السنن النفسية الاجتماعية والطبيعية (الإلهية) يجدر بنا أن نقدم تعريفا لكلمة «السنة» في اللغة، وفي الاصطلاح الشرعي من خلال التعاريف الواردة في أدبيات الفكر الإسلامي، لنحاول بعد ذلك تناول مفهوم السنن الإلهية. قبل أن نقترح تعريفًا للتفكير السنني وتقديم منطلقاته التصورية العقدية.

١- تعريف السنة:

- السنة في اللغة:

لقد جاء في لسان العرب لابن منظور أن السنة في اللغة تعني السيرة، حسنة كانت أو قبيحة (ابن منظور، ١٩٩٢ مجلد ١٣، ص ٨٩). وعرفها ابن الأثير في النهاية بالطريقة والسير. وقال الإمام الرازي في تفسيره: «والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع» (في: زيدان عبد الكريم، ١٩٩٦، ص ١٣). أما ابن تيمية فقد عرف السنة بأنها: «العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعله بنظيره الأول» (ابن تيمية، ٢٠٠٤، ص ٦٩). بينما جاء في تفسير المنار لرشيد رضا أن: «السنن جمع سنة، وهي الطريقة المعبدة والسيرة المتبعة أو المثال المتبع» (رضا محمد رشيد، بدون سنة، ص ١٤٠، ج٤).

- السنة في الاصطلاح الشرعي:

السنة: هي: «ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها» (السباعي مصطفى، ١٩٨٢، ص ٤٧) وهي تعني سيرة رسول الله ﷺ في مجملها سواء أكانت قولية والمتمثلة في الأحاديث النبوية في مختلف المقاصد والمواقف والمناسبات، أو كانت سنة فعلية وهي أفعاله وكيفية أدائها كفريضة الصلاة والحج وغيرهما، أو سنة تقريرية وهي ما أقر صحابته عليه وأكدوه من أقوال وأفعال بسكوته وعدم إنكاره أو بموافقته أو إظهار استحسانه.

- السنة في الفكر:

لقد وردت عدة التعاريف حاولت أن تحدد معنى السنة وتعطى مفهومًا عامًا لها،

إذ عرفها عبد الكريم زيدان «بالقانون العام الذي يحكم أفعال البشر وسلوكهم» (زيدان عبد الكريم، ١٩٩٦، ص ١٤). أما عند عمر عبيد حسنة فهي: «القوانين المطردة الثابتة التي تحكم حركة الحياة والأحياء وتحكم حركة التاريخ وتتحكم بالدورات الحضارية» (حسنة عمر عبيد، ١٩٩١، ص ١٩) ولا يبتعد كثيرًا المفهوم الذي أعطاه فؤاد أبو حطب للسنة في عموميته للتعاريف السابقة، إذا اعتبر سنة الله هي ما جرى به نظامه في خلقه (أبو حطب فؤاد، ١٩٨٩، ص ٢٢٢). وتكاد كل هذه التعاريف تتفق على أن السنن هي مجموع القوانين الثابتة المطردة التي تنظم حركة الإنسان والمجتمع والتاريخ والأحياء والكون. وإذ تمت المحاولة للتدقيق في هذه التعاريف انطلاقًا من المفهوم الاصطلاحي للقوانين العلمية، فإن هذه الأخيرة تعبر من جهة أخرى -على حد تعريف مونتسكيو- في دلالاتها الواسعة عن تلك العلاقات الضرورية التي تنظم طبيعة الأشياء. ومن هذا المعنى، فكل الكائنات تتمتع بقوانينها (Montesquieu in thines et lempereur, 1975, P 559) كما أنها تعبر من جهة أخرى عن العلاقات الكمية الثابتة نسبيًا التي يمكن التعبير عنها على صورة توابع رياضية وكذلك الوقائع العامة أو العلاقات الترتيبية والتحليلات البنيوية. فهذا التعريف الأخير قد يبدو أكثر دقة وشمولية في تحديد مفهوم السنة، نظرًا لشموله على كافة حالات القوانين ولصياغته التحليلية الدقيقة، إذ تكون السنة أو القانون في شكل علاقات كمية ثابتة نسبيًا يمكن توضيحها وإبرازها في علاقات رياضية، أو أنها تتجلى في شكل وقائع عامة ناجزة في صيغة لكل س، ع باعتبار س وع ظاهرتين، وذلك في قوله تعالى ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد: ٣٨) في بيان سنة الأجل أو الدورة الزمنية التي تحكم مجمل الظواهر الاجتماعية والكونية، ومع أنه ليست هناك في الصيغة الأخيرة علاقات سببية شرطية، لكنها تعبر عن علاقات عامة ناجزة طبيعية تتكرر عبر الزمان والمكان. فسنة الأجل أو الموت هي قضية حتمية طبيعية ترتبط بالأحياء. ونفس الأمر ينطبق على السنن ذات التحليلات النبوية فهي ليست تعبر عن علاقة سببية بالمعنى الدقيق لكلمة «سبب» أو «علة»، وإنما هناك بنية من الظواهر المتكررة التي تمثل شكلاً من أشكال السنة. والواقع أنه على الرغم من التعريف السابق ذكره للقوانين قد أعطى صورة أكثر شمولية للحالات التي يمكن أن تتجلى فيها السنن، إلا أن هذا التعريف

أو مفهوم القانون العلمي لا يتطابق مع مفهوم السنة الإلهية، باعتبار أن هذه الأخيرة تتصف بالثبات والكمال المطلقين، فيما يتسم القانون العلمي بالثبات النسبي وقابلية التغيير. ولمزيد من التوضيح سيقدم لاحقًا الفرق بين السنة الإلهية والقانون العلمي.

٢- السنة الإلهية والسنة النبوية

يقصد بالسنة الإلهية هي القوانين المطردة الثابتة التي تحكم حركة الحياة والأحياء، وتحكم حركة التاريخ (حسنة عمر عبيد، ١٩٩١، ص ١٩) أما السنة النبوية فتعرف باعتبار كونها مصدرًا تشريعيًا على أنها: أقوال الرسول ﷺ، وأفعاله وتقريراته (الأشقر عمر سليمان، ١٩٩٠، ص ٤٨). فالأولى هي قانون الله الذي ينظم الذات والمجتمع والطبيعة والثانية هي منهج حياة يقتدي به المسلم.

من الواضح أن الإنسان الذي يعارض ويتحدى السنن الإلهية ولا يوظفها، فإن النتيجة هي الإخفاق والفشل والخسارة، مثلما الذي لا يلتزم السنة النبوية باعتبارها شارحة للقرآن ولسائر الشعائر التعبدية المفروضة ونموذجًا للسلوكيات السوية فإنه يلقى ذات النتيجة والعواقب. فالسنن الإلهية والسنة النبوية يعملان على تحقيق ذات الهدف وهي تنظيم حياة الإنسان والمجتمع وفق للنظام الكلي الذي أقراه الله في الطبيعة والذات الإنسانية. ومن هذا المنطلق فإن السنة النبوية هي إجراءات عملية للتوافق مع سنن الله الناجزة وذات الاتجاه الطبيعي، وتوظيف للسنن الشرطية وهي تمثل قطاعًا واسعًا من السنن الإلهية. وهذا ما يلاحظ المتتبع لسيرة النبي، أنه كان حريصًا على تسخير السنن الإلهية ومسايرتها والتطابق معها. لذلك كما يذهب مجوري التهامي فإن سنة الرسول ﷺ لا تغني عن سنة الله، وكذلك سنة الله لا تغني عن سنة الرسول ﷺ... كل منهما مكملة للأخرى، حيث لم يرد عن الرسول ﷺ أنه خالف سنة من سنن الله وأقر على ذلك (مجوري التهامي، ٢٠٠١، ص ٥٦). فالنبي كان منسجمًا في كل سلوكياته وحركاته مع السنن الإلهية حتى يكون نموذجًا بشريًا مثاليًا للإنسانية في تعاملها مع السنن النفسية الاجتماعية والطبيعية، للقيام بمهام العبادة والاستخلاف.

٣- السنة الإلهية والقانون العلمي

إنه من الصعوبة بمكان تقديم تعريف شامل واف ودقيق لسنة الله، وإن كنا قد حاولنا إعطاء مفهوم عام تقريبي لهذه الكلمة، من خلال التعريفات المختلفة فيما سبق ذلك. لأن مفهوم السنة يختلف عن مفهوم القانون العلمي لأسباب عدة، ولعل الوقوف على الفرق الموجود بين هذين المفهومين قد يقرب إلى الأذهان فهم كلمة «سنة». إذا كانت الحواس هي أحد الوسائل الأساسية في اكتشاف المعرفة تتميز بالقصور وقابلية الخطأ، فمن الطبيعي أن ينعكس ذلك على عمل العقل الذي هو الآخر يكتنفه القصور. فالعقل كما يقول راجح عبد الحميد في عالم الشهادة له سيادة بما جعل الله له من طاقات ولكنه محدود وعاجز عن معرفة كنه الأشياء وحقيقتها النهائية (الكردي راجح عبد الحميد، ١٩٩٥، ص ٦٥٤). ومن ثمة فإن ما يمكن أن يتوصل الإنسان إليه من معرفة علمية هو ما اصطلح على تسميته بالقانون العلمي أو القوانين العلمية. وهذه الأخيرة يمكن اعتبارها على «أنها صيغ يعبر بها العلماء على هذه السنن في حدود الممكن. وهي في جوهرها بني معرفية بشرية قابلة للتطوير والتحسين والتعديل، ولو أن بعضها على درجة من الثبوت النسبي» (أبو حطب فؤاد، ١٩٨٩، ص ٢٢٣). لهذا فإن الانتقادات التي تتعرض لها القوانين والنظريات العلمية كل يوم تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الأخيرة لا تعبر بصدق عن سنن الله ولا تتطابق معها أيما تطابق، فهي ليست في مستوى تمثيل النظام المطلق الذي أقامه الخالق ﷻ في هذا الكون، بل تبقى تحتفظ بنوع من الثبات النسبي يجعلها عرضة للنقد والنقض وقابلية التعديل. لذلك يرى ياسين خليل أن القانون يتحول إلى فرضية في كل مرة يواجه فيها حالة أو حادثة وإيجاد تعليل لها «فالقانون فرضية تواجه في كل مرة مشكلة. وإن متانته أو عدمها تتوقف دائمًا على قدرته في حل المشكلة» (خليل ياسين، ١٩٧٤، ص ٢١٧) وهذا يعني أن للقانون الطبيعي صفة الاحتمالية وأنه لا يتمتع باليقين التام (العلاف مشهد سعدي، ١٩٩١، ص ١٣) وإذا لم يتمكن هذا القانون من التعليل السليم للظواهر والحوادث أو الحالات والتنبؤ بحدوث ظواهر ووقائع في المستقبل، فإنه يفتقد متانته وثقته، حينها يعدل هذا القانون أو يستبدل بآخر أكثر كفاءة منه، وهذا ما يحدث من تغييرات وتعديلات على القوانين والنظريات العلمية على مدار تاريخ العلم والمعرفة.

وإذا رجعنا إلى تعريف القوانين العلمية نجدها تتميز بما يلي:

أولاً: إن أي قانون لا بد أن يعكس الروابط الجوهرية بين الظواهر... ذلك لأن القانون بمثابة علاقة وبالتحديد علاقة جوهرية بين الأشياء.

ثانيًا: لا يعبر القانون عن علاقة فردية، بل عن علاقة كلية، فالقانون هو أحد أشكال الشمول.

ثالثًا: يعبر القانون على علاقة ثابتة مستقرة بين الظواهر وهي محددة ثابتة نسبيًا. (القصير أحمد، ١٩٨٥، ص ١٤). أما بالنسبة للمفكر أولمو Ullmo (١٩٦٩) فإن القانون الطبيعي هو تعبير رياضي للصدق الدائم والقاطع لعلاقة متكررة تمت ملاحظتها في الظواهر الطبيعية. (Ullmo. 1969. P53) وقد أكد ماخ Mach على أن قانون الطبيعة ليس سوى قاعدة للكشف عن جميع التنبؤات الفردية. وعرف أوزوالد Ostwald القوانين بأنها نماذج تنبئية predictive patterns تأخذ الشكل التالي: إذا تم تجريب (أ) لتوقعنا حدوث (ب)، ورأى كارناب في القوانين الطبيعة أنمها تأكيدات ذات مضمون عام. وأعطى بريثويت الوصف التالي: «ما نطلق عليه اسم القوانين الطبيعية هو في الحقيقة وسائل تصورية conceptual devices عن طريقها نستطيع أن نبني معرفتنا الامبريقية، وأن نتنبأ بالمستقبل». (في: نفادي السيد، ٢٠٠٦، ص١٦٧) ويمكن أن نستنتج أن القانون ليس علاقة ثابتة بشكل مطلق، لكنه في ذات الوقت يعبر عن سنة مطلقة. ثابتة مطردة صارمة لا تتغير ولا تتبدل. وإنما الذي يتغير هو الإدراك البشري المتزايد بهذه السنة. باعتبار أن القانون العلمي هو تعبير وإدراك بشري جزئي نسبي لمطلقية السنة الإلهية. وهكذا فإن القانون العلمي هو تعبير جزئي عن السنة ولا يصل إلى حد معرفة كنهها وأبعادها الكاملة وماهيتها، فهي مطلقة. وإنما المسألة في التطور العلمي هو الاقتراب المتدرج في اكتشـــاف ما لم يتكشف بعد من السنن أو اكتشاف سنن أخرى وقوانين أخرى مرتبطة بالقوانين السابقة. إذن فالقانون العلمي نسبي قابل للتعديل والتحسين عكس السنة الإلهية التي تتميز بالثبات والإطراد المطلقين والإحاطة الكاملة، حيث لا تقبل التغيير ولا التبديل. مصداقًا لقوله تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ

تَحْوِيلًا﴾(فاطر: ٣٤-٣٥).

وهذا الأمر ينطلق على جميع القوانين العلمية أيًا كان نوعها سواء تلك المتعلقة بالعلوم الدقيقة مثل القوانين الفيزيائية أو تلك الخاصة بما يسمى بالعلوم الإنسانية أي تلك التي تتعلق بالنفس والمجتمع.

٤- السنن الجارية والسنن الخارقة

إن الكون وما احتواه من مخلوقات وكائنات يخضع إلى سنن صارمة لا تتبدل ولا تتغير، كما أرادها الله ﷻ فهي سنن جارية على الكون والأحياء، تتصف بالثبات والاطراد. ولذلك ليس في مقدور أحد – أيًا كان – تبديل هذه السنن أو توقيف عملها وتعطيلها. ويؤكد هذه الحقيقة أحمد كنعان بقوله: «إن خالق السنن ومقدرها هو الله ﷻ، فهو سبحانه الذي قدر أسبابها، وهو الذي يقدر نتائجها، وما صفة الثبات في السنن وارتباط نتائجها بأسبابها إلا بقدر من الله ﷻ، ومن ثم فليس في استطاعة أحد من الخلق أن يخرق سنة من السنن أو يبدل فيها، فهذا لا يكون إلا بمشيئة الله وحده متى شاء وكيف شاء» (كنعان أحمد محمد، ١٩٩٠، ص ٩٦). ويعني هذا الكلام أن هذه السنن والنواميس التي تتصف بالاطراد والثبات، وتعمل باستمرارية، ليست صماء تتحرك بصفة آلية على الإطلاق، وإنما الله المقدر لها قادر على تعطيلها وخرقها متى شاءت قدرته وحكمته. فهو سبحانه ليس خاضعًا لها، مادام هو مبدعها. لذلك فقد عرفت البشرية عبر تاريخها الطويل عمل هذه السنن وجريانها، مثلما عرفت اختراقًا لهذه السنن وتعطيلها في فترات معينة ولظروف خاصة ولحكم مختلفة نجهل الكثير منها. فالفرد حينما يحقق الأسباب الكافية لتجسيد نتيجة معينة، فإن هذه النتيجة قد لا تتحقق بصورة آلية في بعض الأحيان وتناقض بذلك حتمية ارتباط الأسباب بنتائجها. غير أن مثل هذه الوقائع ليست سوى حالات استثنائية أراد لها الله تعالى أن تحدث على هذا النحو، لحكم وأسباب لا نعلمها. وقد يكون ذلك لإقرار حقيقة غلبة الخالق في تدبير شؤون الحياة والكون ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(التكوير: ٢٨). «فالأسباب التي تعارف عليها الناس – كما يقول سيد قطب في الظلال – قد تتبعها آثارها وقد لا تتبعها، والمقدمات التي يراها الناس حتمية

قد تعقبها نتائجها وقد لا تعقبها، ذلك أنه ليست الأسباب والمقدمات هي التي تنشئ الآثار والنتائج، وإنما هي الإدارة الطليقة التي تنشئ الآثار والنتائج كما تنشئ الأسباب والمقدمات سواء» (قطب سيد، ١٩٨٢، ص ١٣. ج١). والشيء المؤكد أن حكمة الله قد شاءت أن يجعل السنن الجارية هي القاعدة التي يسير عليها حركة ونظام الكون والحياة البشرية حتى يحتفظا بتوازنهما، «فالأصل في كل ما يحدث في العالم أن يكون جاريًا على نظام الأسباب والمسببات وسنن الله التي دلّ عليها العلم وأخبرنا الوحي بأنه لا تغيير فيها ولا تبديل لها ولا تحويل» (رضا محمد رشيد، ١٩٨٩، ص ٢٢٧). إلا أن الإرادة الربانية تعمل في ظروف خاصة وحالات معينة على خرق تلك السنن والنواميس، كدليل على طلاقة قدرة الله من كل إلزام أو قيد، فهو خالقها ومقدرها، وهي تحت رهن إشارته لن تحيد عنها أبدا ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٩)

ولقد وقعت هذه الاستثناءات السننية تاريخيًا في أشكال أربع، أشار إليها أحمد كنعان في دراسته «أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الحق» وهي: المعجزة، الإرهاص، السحر، والكرامة.

- المعجزة

هي «كل أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة عند تحدي المفكرين له، على وجه يبين صدق دعواه» (البوطي محمد رمضان، ١٩٩١، ص ٢١٤). كما يعرفها سعيد حوى بالأمر الخارق الذي يظهره الله على يد الرسول أو النبي، وهي علامة على الرسالة، لأنها تخرج عن عالم الأسباب كلها، بحيث يعجز الإنسان كإنسان أن يأتي بها، وذلك أن قدرة الإنسان محدودة ضمن قوانين الكون وقدرة الله هي المطلقة (حوى سعيد، ١٩٩٠، ص ١٢).

هذا التعريف يوضح أن المعجزة هي خرق للسنن الجارية، وقد خصّ بها الله تعالى الرسل لإثبات صدق دعوتهم والرسالة التي يحملونها لأقوامهم، وتأتي المعجزة لتحدي مكذبي الرسل والأنبياء، أو كما عرفها محمد متولي الشعراوي بأنها خرق لنواميس الكون أو القوانين الكون، يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسله ليدل على منهجه ويثبتهم به، ويؤكد للناس أنهم رسله تؤيدهم السماء وتنصرهم، (الشعراوي محمد متولي، ١٩٩٠، ص ٥، ج١).

لهذا رافقت المعجزات الرسل والأنبياء للدلالة على صدق دعوتهم، إنها شهادات غير مشكوك في مصدرها، لأنها تفوق قدرة البشر في الإتيـان بمثلها، فهي خوارق لسنن الكون لا يمكن أن يجريها إلا خالق الكون.

- السحر

عرف فخر الدين الرازي السحر شرعًا بأنه كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجرى التمويه والخداع (في: بالي، ١٤١٢هـ، ص ٨). وقد عدد بعض العلماء أنواع السحر فذكروا منها: التمائم، الشعوذة، تسخير الجن، استخدام الأدوية والأحجبة وغير ذلك، من الأساليب التي يستعملها السحرة. وقد ذهب ابن خلدون في مقدمته إلى حد تسميته بعلم السحر (ابن خلدون، ١٩٨٩، ص ٤٩٦). غير أن ما يهمنا في بحثنا، هو أن السحر الذي قد يظهر وكأنه خرم وخرق للنواميس الجارية في الكون والحياة، ليس سوى خداع للإدراك والبصر، وقد أكد القصص القرآني من خلال قصة موسى عليه السلام هذه الحقيقة إذ أبطل الله مفعول سحر سحرة فرعون من تخيل وإيهام وتمويه لدى الحاضرين بواسطة عصى موسى، الشيء الذي أدرك معه هؤلاء السحرة الفرق بين الخداع السحري الذي يمارسونه والمعجزة النبوية التي خرقت سنن الكون وكشفت هذا الخداع.

- الإرهاص

يعرف أحمد محمد كنعان الإرهاص بحدوث أمر خارق للعادة، يدل على بعثة نبي قبل بعثته (كنعان أحمد محمد، ١٩٩٠، ص ٩٩) هذه الأمور التي لا تجري وفق السنن الجارية تسبق بعثة الأنبياء، فهي مقدمات تدل على قرب زمانهم. من هذا الوجه تشبه إلى حد كبير المعجزة باختراقها لنواميس الكون والحياة، غير أنه يقصد من ورائها إثبات رسالة أو صدق دعوة نبي، بل قد تستهدف جريانها إعدادًا للأنبياء والرسل إلى تحمل وظيفتهم الرسالية المستقبلية.

ومن الإرهاصات التي سبقت بعثة محمد رسول الله ﷺ حادثة تشق صدره الشريف، وإرهاص آخر واكب طفولته وهو تلك البركات التي ظهرت لمرضعته حليمة السعدية خلال السنوات التي تكفلت به وهو رضيع، حيث اندفقت عليها الخيرات والرزق. وقد تكررت هذه

الإرهاصات في حياة الرسول الكريم في الكثير من المرات.

- الكرامة

هناك نوع آخر من السنن الخارقة والذي يتمثل في الكرامة. ويعرفها علماء التوحيد بأنها أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها. يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشر بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد أو لم يعلم. (الأشقر عمر سليمان، بدون سنة، ص ١٥٤) هذه الكرمات يخص بها الله أولياءه والصالحين، تكريمًا لهم على صلاحهم.

وقد ذكر القرآن الكريم مثل هذه الكرمات التي خص بها الله تعالى مريم فقد كان توجد عندها فاكهة في غير فصلها والكثير من الرزق ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧) وكذلك ما حدث لأصحاب الكهف الذي ناموا ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعًا.

٥- معاني السنن في القرآن

بعد عرض المصطلحات التي استعملها القرآن الكريم لوصف السنن، يمكن تصنيف بعض من معانيها، كما جاءت في النص القرآني في أربعة مجموعات:

- **المجموعة الأولى**: أشارت إلى تقيد وانضباط الذات الإنسانية والمجتمع للسنن، بصفة عامة، والتنبيه إلى هذه القضية.
- **المجموعة الثانية**: تقديم أدلة على تقيد الذات الإنسانية والمجتمع بالسنن من خلال نماذج فردية ومجتمعية (من أنبياء وأقوامهم).
- **المجموعة الثالثة**: تمثلت في الآيات التي تدعو إلى الاستدلال العقلي والاستقراء في دراسة الذات والمجتمع والتاريخ للكشف عن السنن.
- **المجموعة الرابعة**: العرض المباشر للكثير من السنن من خلال الآيات القرآنية

(أنظر الجدول رقم (١) الخاص بمعاني السنن)

جدول رقم (١) يبين مجموع تصنيفات المعاني المباشرة للسنن في القرآن الكريم

المجموعات	المضامين	أمثلة من الآيات	
		الفرد	المجتمع
١-	التنبيه إلى وجود السنن	*﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم وما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى﴾ (الروم/٨) *﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (فصلت: ٥٣)	*﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (فاطر: ٤٣)
٢-	تقديم أدلة على وجودها وعملها من خلال بيان نماذج فردية ومجتمعية	*﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصحية، ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (العنكبوت ٣٦-٤٠)	*﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا أليما﴾(الفرقان ٣٧) *﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ (الأعراف ١٧٦) *﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعد﴾ (الكهف ٥٩)
٣-	الحث على الاستدلال العقلي والاستقراء في دراسة الفرد المجتمع والتاريخ للكشف عنها.	*﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات ٢١)	*﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (آل عمران ١٣٧) *﴿ألم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم﴾ (محمد١٠)
٤-	عرض للسنن الأساسية الكلية	*﴿من يؤمن بالله يهدى قلبه﴾ (التغابن/١١) *﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد/٣٨) *﴿ونفس ما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ (الشمس /٧-١٠)	*﴿إن الله لا يغيروا ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد/١١) *﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم... ﴾ (المائدة/٦٦) *﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾(الأعراف/٩٦)

٥-٣: أشكال السنن

تتخذ السنن النفسية الاجتماعية ثلاثة أشكال، وهي:

٥-٣-١: الشكل الأول: تطرح السنة على شكل علاقة شرطية، حيث تربط بين حادثتين أو مجموعتين من الحوادث الطبيعية والنفسية الاجتماعية وتؤكد العلاقة الموضوعية بين الشرط والجزاء، وأنه متى ما تحقق الشرط تحقق الجزاء. ويعني هذا الشكل أن النتيجة مرتبطة بحدوث شروطها ومقدماتها وأسبابها. إذ يتحقق القانون، إذ ما تحققت شروطه، وتحدث الظاهرة بحدوث مسبباتها بشكل آلي، فهناك شرط يلزمه جزاء أو نتيجة. فعلى سبيل المثال المعادن تتمدد بالحرارة، والماء يغلي بدرجة معينة من الحرارة. فقانون تمدد المعادن أو قانون غليان الماء، يعتبران من القوانين الشرطية. وهذا في مجال السنن والقوانين الطبيعية. أما في مجال السنن النفسية الاجتماعية، فنجد على سبيل المثال سنة التغيير التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١). فالتغيير الأول «ما بقوم» مشروط بالتغيير الثاني «ما بأنفسهم» فهناك علاقة مشروطة بين التغيير الاجتماعي والتغيير النفسي الداخلي لكل فرد.

٥-٣-٢: الشكل الثاني: تتخذ السنن شكل قضية الفعلية الناجزة المحققة. وهذا الشكل أيضا نجد له أمثلة وشواهد في القوانين الطبيعية والكونية، مثلاً: ظاهرة الكسوف فهي ظاهرة كونية وجودية ناجزة وليست قضية شرطية. ولذلك لا يملك الإنسان اتجاه هذه القضية أن يغير من ظروفها وأن يعدل من شروطها، فهي حتمية فهذا الشكل من القوانين والسنن صارم ناجز يتحقق فوق إرادة الإنسان، وليس له أي قدرة على توقيفه أو معارضته أو تعطيلها كسنة الموت أو سنة الابتلاء.

ففي سنة الموت التي تعد قانونًا صارمًا نافذًا ناجزًا لا يمكن للإنسان أن يعطله أو يؤجل تحققه أو يعارضه أو يتحداه. يقول الله تعالى في محكم تنزيله:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (العنكبوت: ٥٧).

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (يونس: ٤٩).

وفي سنة الابتلاء يقول عز من قائل:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك: ٢).

﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحج: ٥-٦).

٥-٣-٣: الشكل الثالث: يتخذ هذا الشكل صورة الاتجاه الطبيعي أو ما يمكن تسميته بالسنن البنائية، فهي لا تكون على صورة قانون صارم ناجز لا يقبل التحدي بصفة مطلقة. لكن السنة ذات الاتجاه الطبيعي، كما تأبى التحدي من قبل الإنسان بهذه الطريقة، بل هناك اتجاهات موضوعية في حياة الانسان والمجتمع، لكن مع شيء من المرونة بحيث أنها تقبل التحدي ولو على شوط قصير، وإن لم تقبل التحدي على شوط طويل... فمثلاً هناك في تركيب الإنسان وتكوينه اتجاهًا موضوعيًا لا تشريعيًا إلى إقامة علاقة الزواج بين الذكر والأنثى، فالخروج عن هذه السنة ممكن في مدى زمني قصير، لكن تحدي هذه السنة يؤدي إلى أن يقهر المتحدي على المدى الطويل. فالسنن ذات الاتجاه الطبيعي تأبى التحدي والمعارضة على المدى الزمني البعيد. فيمكن للإنسان أن يتحدى هذه السنن لكن في آخر المطاف تغالبه هذه السنن.

٦. خصائص السنن

تتمتع السنن بصفة عامة والسنن النفسية الاجتماعية بعدة خصائص أو مبادئ تشكل معالم لفهمها وإدراكها واكتشافها والتعامل معها، ولعل من بين أهم هذه الخصائص ما يلي:

٦-١: ربانية الخلق

لاشك أن أهم خاصية من خصائص السنن هي أنها ربانية الخلق، أي أنها خاضعة لإرادة الله، فهو الذي أوجدها وخلقها وحدد مجال عملها وخصائصها ومكوناتها وأبعادها. لذلك جاء ذكرها في القرآن الكريم في الكثير من المواضع مقترنة بلفظ جل جلاله (سنة الله، كلمات الله..).

٦-٢: الثبات

تتصف السنن النفسية الاجتماعية بصفة الثبات والديمومة والاستمرارية التي تعطيها قدرة الحدوث والعمل على مر الأزمنة، وتأخذ صفة الثبات وجهين:

٦-٢-١: **الوجه الأول:** إنها سنن لا تتبدل، ويعني ذلك أنه لا يطرأ عليها تغيير جذري، إذ ليس هناك حذف أو تنحية أو نسخ لسنة موجودة من ضمن هذه السنن، وليس هناك كذلك أي تغيير كلي في منظومة السنن التي تحكم الحياة النفسية والاجتماعية. فمثالاً قانون الجاذبية ثابت منذ خلق السماوات والأرض، فلم يعطل هذا القانون أو يحذف ليستبدل بقانون آخر، رغم أن الإنسان قد استطاع أن يكتشف قوانين أخرى فيزيائية مكنته من التخلص من الجاذبية وفق شروط معنية.

٦-٢-٢: **الوجه الثاني:** إنها سنن لا تتحول، أي لا يمسها أي تغيير جزئي أو تعديل طفيفا كان أم كبيرًا، فالتحويل ليس بالتبديل، فهو يعني الإبقاء على السنة وإدخال تعديل على بعض من شروطها أو خصائصها ومميزاتها أو نتائجها أو موانع حدوثها.

فليس هناك أي خلل أو تعديل جزئي أو تغيير في التسلسل الزمني للنمو وطبيعته ومراحله، بل إن سنة النمو لدى الإنسان ثابتة منذ خلقه (ضعف، قوة، ضعف) ولم يحدث أن تغير هذا التسلسل أو انعكس اتجاهه.

٦-٣: الإطراد

إطرادية السنة بمعنى حدوثها المتتابع وتكرار آثارها على الوتيرة نفسها، كلما توفرت شروطها وانتفت الموانع التي تحول دون تحقيقها (كنعان أحمد محمد. ١٩٩٠. ص ٧٦).

والإطراد ما يسير على وجه ثابت أو ما يخضـــــع للقاعدة بإطراد، أي باستمرار، أو ما يحدث في تتال.

٦-٤: العمومية

يقصد بالعمومية أن هذه السنن والقوانين تنطبق على الجميع، أي ليس هناك استثناءات، فكل الأفراد يخضعون إلى هذه القوانين والسنن، وكل المجتمعات والثقافات تتحكم فيها هذه النواميس. فسنة الله فاعلة عامة شاملة. ويقول عبد الكريم زيدان في هذا الشأن: «سنة الله تعالى ثابتة ومطردة وعامة غير مقتصرة على فرد دون فرد ولا على قوم دون قوم». (زيدان عبد الكريم، ١٩٩٦، ص ١٥)

٦-٥: النسقية

إن حدوث ظاهرة من الظواهر يؤثر بالضرورة في ظواهر لاحقة وهي قبل ذلك كانت محل تأثير من ظواهر سابقة، وكان هناك سلسلة من الوقائع الإنسانية مترابطة الحلقات

مؤثر كل حلقة في الأخرى، لذلك قد يستحيل حدوث ظاهرة نفسية أو اجتماعية. فمعزل هذه السنن المحركة لهذه الوقائع مستحيل واقعيًا وصعب عقليًا، دراسة، وفهمًا، وتجريبًا، لأنها مترابطة ببعضها البعض دون وجود فاصل بينهما، إلا من حيث مستوى أو شدة التأثير والتأثر. وهي أقرب في نظام شامل، وحركتها أشبه بما يحدث في نظام الطبيعة الذي يتميز «بعلاقات علية ضرورية ثابتة تجعل كل حدث من أحداثه نتيجة ضرورية (معلولا) لما سبق ومقدمة شرطية (علة) لما سيلحق أوضاع الكون في أي لحظة محصلة للوضع السابق، تبعًا لقوانين ثابتة (الخولي طريف يمنى، ٢٠٠٠، ص ١٠٦). إن صفة الارتباطية التي تتميز بها السنن الإنسانية يجعلها تشكل وحدة مترابطة أو نسقًا سننيًا إنسانيًا واحد تتفاعل بداخله مختلف السنن والعناصر.

٦-٦: قابلية الفهم

من مميزات وخصائص السنن أنها قابلة للفهم والملاحظة والاستكشاف، وهو ما يعني قابلية الكثير منها للتحكم والضبط والتوظيف والتسخير، فالإنسان قادر على فهمها والتعرف عليها وإدراكها، وبالتالي التعامل معها حسب شكلها. وتاريخ التطور التكنولوجي يثبت هذه الخاصية في «العلوم الدقيقة» وهذا ما يتفق مع مسلمة الطبيعة القابلة للفهم التي تعد من بين المسلمات والافتراضات العلمية التي يقوم عليها البحث العلمي حيث تشير هذه المسلمة إلى أن الظواهر الطبيعية وأحداثها قابلة للفهم والاستفسار، بمعنى أن الطبيعة غير معقدة أو غامضة لدرجة أنه يستحيل معه فهمها أو استيعابها. (زيتون حسن. ١٩٨١. ص ٢٣)

٦-٧: قابلية التسخير

لعل من بين أهم خصائص السنن هي أنها تتمتع بقابلية التسخير والاستخدام والتوظيف. ونقصد بالدرجة الأولى السنن الشرطية. فالتطبيقات العلمية والمنجزات التكنولوجية هي دليل على هذه القابلية التي تتميز بها القوانين الطبيعية. ومثلما هو الشأن في هذه القوانين، فإن السنن النفسية الاجتماعية في شكلها الشرطي يتمتع بذات الخاصية حتى ذهب الكثير من المنظرين والمفكرين إلى تسمية تطبيقات القوانين النفسية الاجتماعية بالتكنولوجية الاجتماعية أو الهندسة الاجتماعية.

٧- مصادر السنن

إن معرفة واكتشاف السنن للتعامل معها وتوظيفها، يتطلب الرجوع إلى مصادر المعرفة في الإسلام التي تتمثل في الوحي، أي القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم العقل

والتجربة أو الحس. لهذا يمكن القول أن مصادر معرفة السنن تتحدد في هذه العناصر:

١- القرآن الكريم

٢- السنة النبوية

٣- الدراسات الإنسانية العلمية

التفكير السنني تعريفه ومنطلقاته

لم يتوفر لنا تعريف لهذا المصطلح في أدبيات الفكر الإسلامي المعاصر سوى على ما ذهب إليه **ماجد عرسان الكيلاني** على أن التفكير السنني هو التفكير الذي يشدد عليه القرآن... وهو الذي يعتبر أن الكون والاجتماع البشري، تسيره سنن - أي قوانين - إلهية معينة، وأن التعايش مع عناصر الكون، والنجاح في مجرى الاجتماع البشري، إنما يعتمد أن على موافقة هذه السنن والقوانين في ميادين الحياة المختلفة... لتحقيق المقصدين النهائيين للتربية الإسلامية وهما: بقاء النوع البشري ورقيه خلال أطوار النشأة والحياة والمصير (الكيلاني ماجد عرسان، ١٩٩١، ص ٦٤)، وهذا التعريف يقترب مما أشار إليه عبد العلي الجسماني بأن التفكير يمكن الإنسان من فهم قوانين الطبيعة كما تتجلى لبصره وبصيرته، ويمكنه من وعي واقع المجتمع، وبالتالي يتيح للإنسان كيفية الإفادة، من فهمه لهذه لقوانين، من الطبيعة والمجتمع (الجسماني عبد العلي، ١٩٩٨، ص ٥٨).

من جهتنا نحاول أن نقدم تعريفًا للتفكير السنني، هو أقرب إلى مجال السيكولوجية والإجرائية، وذلك بمحاولة تحليل عناصر هذا المفهوم بشيء من التفصيل في ما يلحق من هذا الفصل، ومن هنا يأتي تعريفنا للتفكير السنني على النحو التالي:

التعريف

التفكير السنني هو نشاط ذهني وتوجه معرفي نفسي عملي في إدراك وفهم والتعامل مع الوجود الإنساني والطبيعي القائمين والمنضبطين بالسنن - أي القوانين - الإلهية، وتناولهما بالبحث والاستقصاء، قصد التسخير والمسايرة والانطباق، وفق ما تقتضيه أشكال السنن، وبناء على منطلقات عقائدية وتصورية، أهمها الوحدانية والخلافة، وموجهات إدراكية، ومكونات معرفية نفسية عملية، بعيدًا عن الإسناد السببي اللا سنني، الخوارقي، الخرافي، الاعتباطي والجبري.

المنطلقات التصورية العقدية للتفكير السنني

تشكل هذه المنطلقات التصورية العقدية الإطار المرجعي للتفكير السنني، فهي تعتبر منظومة قيمية العقدية توجه تفكير المسلم حيث تمنحه الرؤية الصحيحة لحقائق الوجود وكلياته، وذلك استنادًا إلى مصدر معرفي رباني. ومن ثم فإن معالم التوجه والبحث واضحة في ذهن المسلم ومجالات تفكيره محددة، فلا يتيه ولا يضطرب، مادامت التصورات حول قضايا الإنسان والكون والحياة واضحة، ويمكن أن نحدد أهم هذه المنطلقات كالتالي:

١- الوحدانية

٢- الخلافة

أ - التكريم

ب- حرية الإرادة، بعد حرية العقيدة *بعد حرية الفكر، بعد حرية الفعل والسلوك

ج - وجوب التفكير

د- كلية التوكل

هـ- المسؤولية الأخلاقية

٣- سننية الخلق وغائيته

٤- معيارية الوحي.

ومهما يكن من أمر، فإننا حاولنا أن نطرح بعض الأفكار التي نرجو أن تتبلور من خلال النقاش من أجل صياغة إطار نظري لبناء مفهوم التفكير السنني حيث يحتاج هذا الأخير إلى الكثير من الجهود الجماعية لتحديده وبلورته وأجرأته، ذلك لأننا نعتقد أنه من بين أسباب تخلف المسلمين، عطالة العقل المسلم، ومشكلة هذا العقل الأساسية هي افتقاره للوعي بوجود السنن والتعامل معها وانطباعه بالرؤية اللا سننية الاعتباطية، بمعنى آخر عجزه عن التفكير السنني وما ترتب عن هذا الفقدان والعجز من مشكلات معرفية ونفسية واجتماعية وعلمية واقتصادية وسياسية وحضارية. وعليه يحتاج الأمر إلى إحداث نقلة معرفية وابستمولوجية في بنيتنا الذهنية من خلال التفكير السنني.

ملاحظة: لقد عمدنا إلى اختصار هذه المداخلة قدر الإمكان، فهي بحث مطول (رسالة دكتوراه) يتضمن الكثير من العناصر والتفاصيل. (لم نذكرها كأسباب تخلف الوعي السنني، أشكال التفكير السائدة: التفكير الوضعي، التفكير الجبري اللاهوتي، التفكير الخرافي الاعتباطي، التفكير الهجين).

٥- الزكاة والتنمية الاقتصادية

• أ. عدوكة لخضر
•• د. عيسى دراجي
••• أ. محمد كربوش

من الحقائق الثابتة والعقائد الراسخة البعيدة كل البعد عن الأغاليط والأضاليل أن الإسلام نظام روحي ومادي ومتكافل وقائم على مبادئ قيمة وحكيمة، تعود إليها كل القواعد والكليات، وسائر التفاصيل والجزئيان. ولمّا كان الإسلام نظاماً شاملاً، وحضارة وافية، وثقافة سامية فإنه لا يمكن أن يهمل النظام المالي والاقتصادي الذي لا تتم حياة الأفراد إلاَّ به، والاقتصاد جزء من حياة الناس ذات الجوانب المتعددة والإسلام يكفل بعضه بعضا ويكمل بعضه بعضا، فهو حين يذكر ناحية اقتصادية مثلاً يفترض وجود النواحي الأخرى التي تحكم علاقات الأفراد كأعضاء في مجتمع لا يتفرق ولا يتبعض أي أنه يفرض النواحي القانونية والاجتماعية والسياسية وبدون هذا الافتراض يظهر الاقتصاد الإسلامي ناقصا ومتأخراً عن مستوى الاقتصاد الوافي، فمثلاً في كتاب الله التنويع في أساليب الترغيب في النفقة في سبيل الله بينما حياة الإسلام لا تقوم على الصدقات والتبرعات وإنما تقوم على الكدح والسعي لطلب الرزق، وتيسير العمل لكل قادر وتوزيع العمل بين فئات المجتمع «**من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله، ومن سأل وعنده أربعون درهماً فقد ألحف**»،

• أ. **عدوكة لخضر**: أستاذ محاضر جامعة معسكر/الجزائر. البريد الإلكتروني: *ladouka@gmail.com*
•• د. **عيسى دراجي**: أستاذ محاضر جامعة خميس مليانة/الجزائر.
البريد الإلكتروني: *dahhmane@yahoo.fr , aissa.derradji@yahoo.com*
••• أ. **محمد كربوش**: أستاذ مساعد جامعة معسكر/الجزائر.
البريد الإلكتروني: *mkerbouche8@gmail.com, kerbouche81@gmail.com*

والإلحاف مذموم والتعفف محمود كما قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾ وبذلك يتبين للبصير أنه لا محل ولا مجال لساقط الهمة ولا لضعيف النفس الذي يريد أن يكون عالة على الناس.

فمن أسس ومقتضيات الانطلاقة التنموية الشاملة يبرز الجانب التمويلي لها كحجر الأساس في كل بناء لا يكتمل إلاّ به، إذ تعتبر وسائل التمويل لهذه التنمية بالنسبة للأمم حجر عثرة في سبيل بلوغ الأهداف المنشودة، لذا يجب البحث عن مصادر تمويلية تتسم بالدوام والاستقرار ومتعددة بتعدد الإمكانيات فبينما يشكل الإقراض والمعونات الخارجية أهم مخاطر الاستقلال المالي والاقتصادي وتكريسه للتبعية الخارجية فيكون عبئا ثقيلا على كاهل الدولة نتيجة خضوعها للعديد من الشروط لا تتوقف في غالبية الأحيان على الجانب الاقتصادي أو المالي بل تتعدى ذلك لتمس بسيادة الدولة وبالتدخل في شؤونها، تعد الزكاة واحدة من أنجح وسائل تحقيق العدالة الاجتماعية لارتكازها أساساً على الحد من الفوارق الاجتماعية السائدة عن طريق إعادة توزيع للمداخيل والثروات بين أفراد المجتمع إضافة إلى كونها أداة لمعالجة مختلف الظواهر الاقتصادية العامة مثل التضخم والركود والاكتناز.

وقد كانت الزكاة على مرِّ العصور أشبه ما تكون بسفينة الإنقاذ من آفة الفقر والعوز، والمسلمون اليوم أشد ما يكونون احتياجاً لهذه الفريضة؛ فقد عضهم الفقر بنابه، ونهشهم الجوع بمخالبه، على الرغم من وجود الأموال والثروات وعلى رأسها النفط، ولكن لا توجد أيدي أمينة على هذه المقدرات، فكانت النتيجة أنهم مدوا أيديهم إلى أعدائهم ليطعموهم من جوع؛ فكانت النتيجة أن زادت التبعية وبقي الفقر على حاله. والزكاة اليوم ما زالت مؤهلة للقيام بذات الدور الذي قامت به سابقاً.

وتهدف هذه الدراسة إلى:

١- بيان جانب من جوانب فريضة الزكاة وفق المقاصد العليا لهذا الركن العظيم من أركان الإسلام.

٢- توضيح دور الزكاة في تمويل التنمية الاقتصادية.

٣- المساهمة في النهوض بالمجتمعات الإسلامية من خلال نظام الزكاة.

لتحقيق هذا الهدف نحاول الإجابة عن الإشكالية الآتية:

هل للزكاة دور في تمويل التنمية الاقتصادية؟

ويمكن أن تتفرع من هذه الإشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

١- ما هي الزكاة وما حكمها؟

٢- ما هي التنمية الاقتصادية وما مفهومها بالمنظور الإسلامي؟

٣- ما هو دور الزكاة في توزيع الثروة ومحاربة الفقر؟

٤- ما هو دور الزكاة في تشجيع الاستثمار؟

٥- ماهو أثر الزكاة على الاستهلاك والإنتاج والادخار؟

٦- ما هو دور الزكاة في التقليل من نسبة البطالة؟

٧- ما هي الصيغ التمويلية الفعالة لاستثمار أموال الزكاة؟

ولتحقيق هدف هذه الورقة البحثية نحاول التطرق إلى العناصر التالية:

- ماهية الزكاة وحكمها.
- مفهوم التنمية الاقتصادية وسنركز على مفهومها بمنظور إسلامي.

- دور الزكاة كأداة من أدوات السياسة المالية في التأثير على التنمية الاقتصادية وسنتناول في هذا المحور أثر الزكاة على بعض المتغيرات الاقتصادية والدور التمويلي للزكاة ومختلف الصيغ التمويلية لأموال الزكاة.

١- ماهية الزكاة وحكمها

١-١: تعريف الزكاة

تعرف الزكاة من جانبين: من جانب اللغة ومن جانب الشرع.

الزكاة في اللغة: مأخوذة من الزكاء والنماء والزيادة وسميت بذلك لأنها تنمي المال وتطهره ومن معانيها في اللغة الطهارة أو الطهر والتطهير والصلاح وهو الزيادة في الخير ولهذا سمي المقدار المخرج من المال زكاة لأنه سبب يرجى به الزكاء والطهارة والصلاح وتتمثل هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

الزكاة في الشرع: اختلفت عبارات الفقهاء وتنوعت أساليبهم في تعريفها ولكنها لم تختلف في المعنى. فسنحاول في هذا المبحث أن نعرف الزكاة عند المذاهب الأربعة:

- **الزكاة عند الحنفية:** «تمليك جزء مخصوص من مال مخصوص لشخص مخصوص لله تعالى».
- **الزكاة عند المالكية:** «إخراج جزء مخصوص من مال مخصوص بلغ نصابا لمستحقه ان تم الملك والحول».
- **الزكاة عند الشافعية:** «اسم لأخذ شيء مخصوص من مال مخصوص على أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة».
- **الزكاة عند الحنابلة:** «حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص».

---

(١) (سورة التوبة: ١٠٣).

سنأخذ التعريف الأخير ونحاول تبيان محترزاته:

- **حق واجب:** معناه المقدار الواجب إخراجه من المال أو الزكاة – في كل خمس من الإبل شاة –.
- **مال مخصوص:** معناه الأموال التي تجب فيها الزكاة كالنقدين، عروض التجارة، بهيمة الأنعام والزروع والثمار وغيرها.
- **طائفة مخصوصة:** المراد أهل الزكاة الثمانية الذين ذكرهم الله ﷻ وهم الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل.
- **وقت مخصوص:** اشتراط حولان، فالحول هو مرور سنة كاملة على هذا المال وذلك فيما يشترط فيه الحول، والأموال في ذلك تنقسم إلى قسمين: أموال يشترط فيها الحول كعروض التجارة والنقدين، وبهيمة الأنعام. وأموال لا يشترط فيها الحول كالزروع والثمار.

ونرى أنه من الضروري في هذا المبحث التطرق للحكمة من مشروعية الزكاة والتي يمكن تلخيصها في العناصر التالية[٢]:

- الزكاة قربة لله وطاعة له وخضوعا لأمره جلا وعلا. فهذه العبادة تعود النفس على العطاء والبذل والسخاء والأنفاق في وجوه الخير وفيها أيضا أبعاد النفس عن البخل والشح.
- تكون الزكاة سببا رادعا ومانعا وزاجرا من ارتكاب الجريمة، وهذه الجرائم يكون سببها الفقر.
- الزكاة تخفف من الطبقية في المجتمع، ففيها يظهر التكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى.

(٢) فتح الباري ٤/٢٦٢، معالم السنن للخطابي ٢/ ٨زاد المعاد لابن القيم ١/١٨١.

ويمكننا أن نستنتج من حكمة مشروعية الزكاة النتائج التالية:

- تنمية المال وتثميره في الدنيا والآخرة.
- تطهير نفس المزكي من البخل وتعويده الكرم والجود.
- تطهير نفس الفقير من الحقد والغل والعداوة.
- تعلق المزكي بربه وليس بالمال.

١- ٢: حكم الزكاة

الزكاة أصل من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده وقد دل على ذلك كل من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

❖ **الأدلة من القرآن الكريم:** فرض الله الزكاة في القرآن الكريم وقد جاءت قرينة بالصلاة في أكثر من ثمانين موضعا. والآيات الدالة على فرضيتها جاءت بأساليب متنوعة.

- **أسلوب الأمر:** ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٣]
- **أسلوب الثناء:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۞﴾[٤]
- **أسلوب التحذير:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[٥]

---

(٣) (سورة البقرة: ٤٣).

(٤) (سورة المؤمنون: ١-٤).

(٥) (سورة التوبة: ٣٤-٣٥).

❖**الأدلة من السنة:** جاءت أحاديث صحيحة تبين فرضية الزكاة سنذكر في هذه الورقة البحثية حديثين فقط:

- حديث بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان».[٦]

- حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور أن جبريل عليه السلام جاء وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ «تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان» [٧].

❖ **الإجماع:** أجمعت الأمة على فرضية ووجوب الزكاة وأن من جحدها كفر ويجب قتال مانعيها.

❖ **المعقول:** إن أداء الزكاة أمر معقول من عدة أبواب:

- من باب إعانة الضعيف وإغاثة اللهيف وإقدار العاجز وتقويته.
- من باب تطهير نفس المزكي من أجناس الذنوب وتزكي أخلاقه.
- من باب شكر نعمة الله.

ولأداء الزكاة شروط يمكن إجمالها في التالي: الإسلام، التكليف، الحرية، تمام الملك، النصاب، الحول والنية.

١- مفهوم التنمية الاقتصادية:

لا يوجد تعريف متفق عليه لتنمية الاقتصادية، فهناك تعريفات متعددة ومن جوانب مختلفة بحسب النظام الاقتصادي السائد. فهناك البعض من يعرف التنمية الاقتصادية

(٦) رواه البخاري في كتاب الإيمان.

(٧) رواه مسلم في كتاب الإيمان.

على أنها «مجموعة إجراءات وسياسات وتدابير متعمدة تتمثل في تغيير بنيان وهيكل الاقتصاد القومي بهدف زيادة سريعة ودائمة في متوسط دخل الفرد الحقيقي عبر فترة ممتدة من الزمن، بحيث يستفيد منها الغالبية العظمى من الأفراد[٨]».

وهناك من يعرفها على أنها «العملية التي يحدث من خلالها تغير شامل ومتواصل مصحوب بزيادة في متوسط دخل الفرد، مع تحسن في توزيع الدخل لصالح الطبقات الفقيرة، وتحسن في نوعية الحياة، وتغير هيكلي في الإنتاج».[٩]

أما الأمم المتحدة فتعرفها على أنها «عبارة عن مجموعة من الوسائل والطرق التي تستخدم بقصد توحيد جهود الأهالي مع السلطات العامة من أجل تحسين مستوى الحياة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات القومية والمحلية وإخراج هذه المجتمعات من عزلتها لتشارك ايجابياً في الحياة القومية، ولتسهم في نقدم البلاد[١٠]».

فالتنمية الاقتصادية تهدف إلى:

- زيادة الدخل الحقيقي وبالتالي تحسين معيشة المواطنين.
- توفير فرص عمل للمواطنين.
- توفير السلع والخدمات المطلوبة لإشباع حاجات المواطنين وتحسين المستوي الصحي والتعليمي والثقافي.
- تقليل الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين طبقات المجتمع.
- تحسين وضع ميزان المدفوعات.
- تسديد الديون أولاً بأول وسد عجز الميزانية العمومية السنوية.

---

(٨) لطفي، د. علي: **التنمية الاقتصادية**، القاهرة، مكتبة عين شمس.

(٩) عطية، د. عبد القادر محمد عبد القادر: **اتجاهات حديثة في التنمية**، الإسكندرية: الدار الجامعية ٢٠٠٠.

(١٠) عبد، د. حسن: **دراسات في التنمية والتخطيط**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

- تحقيق الأمن القومي للدولة والاستقرار الهادف والذي من خلاله يتم الارتقاء بالمجتمعات.

أما مفهوم التنمية بمنظور إسلامي فتعني عمارة البلاد لقوله سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[١١].

ومن هنا كانت عمارة الأرض فريضة دينية من حيث أنها أمر من الله واجب التنفيذ، على المستخلفين أن يتخذوا التدابير اللازمة لتحقيقه والقيام به على الوجه الأمثل، إلا أن الجهد الإنمائي في الإسلام لا يقتصر على إعمار الأرض وما بها من مخلوقات سخرها الله لخدمة البشر وإنما يمتد ليحقق أسس التوزيع العادل لهذا النمو المادي.

فالتنمية في الإسلام هي عمارة البلاد من خلال تحقيق التقدم الاقتصادي وتوفير عدالة التوزيع، ويتمثل ذلك في الوصول بالمستويات الإنتاجية والتوزيعية إلى تحقيق مستوى الكفاية لكل فرد يضمه المجتمع الإسلامي[١٢]. فهي تعني كذلك، تحقيق الانسان درجات متزايدة من السيطرة على الموارد المتاحة في الكون والتي سخرها الله ﷻ لخدمة الانسان وذلك لتحقيق تمام الكفاية وهو ما يتناسب مع متوسط المعيشة السائد في المجتمع المسلم[١٣].

إن الإسلام قد ربط التنمية بالعبادة من خلال تركيزه على ثلاثة مبادئ مهمة وهي:

- الاستخدام الأمثل للموارد والبيئة والطبيعة التي وهبها الله تعالى للإنسان وسخرها له.
- الالتزام بأولويات تنمية الإنتاج، والتي تقوم على توفير الاحتياجات الضرورية

---

(١١) (سورة هود، جزء من الآية: ٦١).

(١٢) نعمت عبد اللطيف مشهور – الزكاة وتمويل التنمية – (أبحاث ندوة: **إسهام الفكر الإسلامي في الاقتصاد المعاصر**) القاهرة ١٩٩٢،

(١٣) إربد، دار الأمل ،٢٠٠٥الباطينة، د. وآخرون، **مدخل للنظرية الاقتصادية من منظور إسلامي**– ط١.

الدينية، والمعيشية، لجميع أفراد المجتمع دون إسراف أو تقتير، قبل توجيه الموارد لإنتاج غيرها من السلع.

- إن تنمية ثروة المجتمع وسيلة لتحقيق طاعة الله، ورفاهية المجتمع وعدالة التوزيع بين أفراد المجتمع.

ومن هنا يتبين الربط المباشر لعملية التنمية بالعبادة، والمستمد من قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[١٤] إذا ما ربط ذلك بالهدف النهائي لهذه النشأة والاستعمار، والمتجسد في قوله تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١٥].

ونخلص من ذلك إلى القول أن مفهوم التنمية الاقتصادية في الإسلام، مفهوم شامل نواحي التعمير في الحياة كافة، تبدأ بتنمية الإنسان ذاتياً، وذلك بتربيته دينياً وبدنياً وروحياً وخلقياً، ليقوم بالدور المنوط به إسلامياً، ومن خلال ذلك تنشأ عملية تعمير الأرض، الموضع الذي يعيش فيه الإنسان اقتصادياً، واجتماعياً، وسياسياً..إلخ، لتتحقق له الحياة الطيبة التي ينشدها، ويستطيع في ضوئها أن يحقق الغاية العظمى، وهي إفراد العبادة لله وتحسينها. كما أن التنمية الإسلامية، هي تنمية شاملة، لأنها تتضمن جميع الاحتياجات البشرية من مأكل وملبس، ومسكن، ونقل، وتعليم، وتطبيب، وترفيه، وحق العمل، وحرية التعبير، وممارسة الشعائر الدينية.. إلخ، بحيث لا تقتصر على إشباع بعض الضروريات، أو الحاجات دون الأخرى.

ولذلك فقد ارتبط مفهوم التنمية في الإسلام بالقيم والأخلاق الفاضلة، وأصبح تحقيق التنمية مطلباً جماعياً وفردياً وحكومياً، يسهم فيه كل فرد من أفراد المجتمع.

للتنمية الاقتصادية في الإسلام أهداف، يمكن أن نجملها اختصاراً في هدفين:

---

(١٤) (سورة هود: ٦١).

(١٥) (سورة الذاريات: ٥٦).

- هدف اقتصادي مرحلي يتمثل في استخدام الموارد الطبيعية لتحقيق الرخاء الاقتصادي للفرد والجماعة.
- هدف إنساني، وهو الهدف النهائي ويتمثل في استخدام ثمار التقدم الاقتصادي، لنشر المبادئ والقيم الإنسانية الرفيعة متمثلة في السلام والعدل والمعرفة الكاملة بالله ﷻ.

ولتحقيق هذه الأهداف، ترتكز عملية التنمية الاقتصادية في الإسلام على مرتكزين أساسيين هما:

☒ مرتكز العقيدة الإسلامية، والتي ينبع منها إقامة أكبر قدر من العمران، والتقدم الاقتصادي والاجتماعي على ظهر الأرض. ذلك لأن العقيدة الإسلامية ترسم للإنسان دوره في الحياة ومسؤوليته تجاهها، ثم تأمره أمراً صريحاً بأن ينهض بكل ما يحقق له الرخاء الاقتصادي والاجتماعي.

☒ مرتكز الإرادة المجتمعية «الجماعية» وإنماء الشخصية الجماعية للمجتمع المسلم، والتي تستند إلى القيم الاجتماعية الإسلامية.

٣- دور الزكاة كأداة من أدوات السياسة المالية في التأثير على التنمية الاقتصادية

إن الزكاة من أهم أدوات السياسة المالية بل هي الأساس في التضام المالي الإسلامي، ومن خلال عملية تحصيل الزكاة وإنفاقها نجد أن الزكاة تعتبر كأداة ذات كفاءة عالية في المساهمة أو التأثير على أهداف المجتمع وبالتالي تلعب دوراً كبيراً في التنمية الاقتصادية. وتعد مصارف الزكاة وتنوعها لدليل ساطع على فاعلية الزكاة في المساهمة والتأثير على النشاط الاقتصادي. سنحاول في هذا المبحث تبيان أولاً أثر الزكاة على بعض المتغيرات الاقتصادية ثم نتطرق إلى الدور التمويلي لزكاة والصيغ التمويلية لها.

٣- ١: أثر الزكاة على أهم المتغيرات الاقتصادية

أ- أثر الزكاة على الاستهلاك:

تعتبر الزكاة مدفوعات تحويلية من الأغنياء للفقراء، حيث دلت جملة من النصوص على ذلك، من بينها وصية الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل، لما ابتعثه إلى اليمن حيث قال له: (**اخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم**)[١٦] والمعلوم أن الفقراء ذو ميل حدى عال للاستهلاك وأن الأغنياء ذو ميل حدى منخفض للاستهلاك وعليه فإن الزكاة تعمل على زيادة الطلب الاستهلاكي لأنها تؤخذ من الفئات ذات الميل الحدى المنخفض للاستهلاك وتعطى للفئات ذات الميل الحدى المرتفع للاستهلاك وهذه الزيادة في الاستهلاك تنعكس على العرض حيث يتحرك لسد الفجوة فى الإنتاج.

ب- أثر الزكاة على الإنتاج:

تعمل الزكاة على إحداث توازن بين الإنتاج والاستهلاك. حيث أن توفير المال في يد الفقير وتمكينه من سد احتياجاته يعني تقوية الطلب على الاستهلاك وهذا مايؤدي بالمنتجين لزيادة إنتاجهم لتلبية الطلب المتزايد وبالتالي تستمر دورة الإنتاج ولا تتكدس السلع في المخازن وهكذا تمكننا الزكاة من معالجة مشكلة الركود الاقتصادي.

وباعتبار أن الزكاة وسيلة من وسائل محاربة كنز المال وتعطيله من شأنها أن تحفز الأغنياء للبحث عن مشاريع ومجالات استثمارية أكثر إنتاجية. وإذا ما وزعت الزكاة وفق مبدأ الإغناء فإن هذا سينتج عنه تحويل الفقراء العاطلين إلى أغنياء منتجين.

---

(١٦) صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٥٩.

ج- أثر الزكاة على الادخار

ستناول هذا الأثر من وجهتين: آثار غير مباشرة وآثار مباشرة.

الوجه الأول: آثار غير مباشرة

إن تمويل الخدمات العلمية والتعليمية والصحية المخصصة للفقراء والمساكين من حصيلة الزكاة تؤدي إلى تحسين أداء قوة العمل ورفع كفاءتها العملية والعلمية وتؤدي كذلك إلى زيادة القدرات الإنتاجية فى النشاط الاقتصادي وتعبئة المدخرات ورفع معدلاتها.

الوجه الثاني: آثار مباشرة

الادخار ينقسم إلى قسمين، ادخار عام وادخار خاص. والدولة الحديثة درجت على استخدام الضرائب لإحداث الادخار العام بما يمكنها من اتخاذ القرار المناسب في تخصيص الموارد الاقتصادية بين الاستخدامات المختلفة. فالضريبة تمثل اقتطاعاً جبرياً يؤخذ من الأشخاص ويحول للدولة لتقوم الدولة باستخدام حصيلته لتمويل إنفاقها الذي يحقق مصالح المجتمع كمشروعات البنية التحتية والخدمات الصحية والتعليمية والأمنية والدفاعية. ولا شك في أن الزكاة لها مساهمتها في بناء البنية التحتية للاقتصاد من خلال مصرف في سبيل الله أي المصالح العامة للمسلمين بحيث هذه المصالح يمكن أن تشمل العديد من مشروعات التنمية والمتمثلة في شق الطرق وتعبيدها وبناء الجسور والمدارس والمستشفيات. يساهم كذلك مصرف ابن السبيل في تعبيد الطرق وخطوط المواصلات والتي تعد من الهياكل الأساسية للمجتمع والتي يتوقف عليها نجاح أي استثمار. وتقترن التنمية بالاستقرار السياسي والأمني ولذلك خصص جزء من تحصيل الزكاة إلى مصرف في سبيل الله ومصرف المؤلفة قلوبهم لما لهما دوراً فعالاً في دعم الجانب السياسي والأمني وهذا من أجل الحفاظ على سلامة الدولة وأمنها.

د- أثر الزكاة على الاستثمار

للزكاة آثار مباشرة وآثار غير مباشرة في التحفيز على الاستثمار وزيادته نتناولها في نقطتين:

أولاً: الأثر المباشر في التحفيز على الاستثمار: نوجز هذه الآثار المباشرة فيما يلي:

- إن تحصيل الزكاة من أصحابها من شأنه دفع هؤلاء وتحفيزهم إلى استثمار أموالهم حتى لا تأكلها الصدقة. مصداقاً لقول رسول الله ﷺ من تولى يتيماً وله مال فليتجر به حتى لا تأكله الصدقة.
- إخراج الزكاة يمنع تعطيل المال ويحارب اكتنازه حيث تحفز رؤوس الأموال للبحث عن مجالات استثمارية إنتاجية لتنمية هذه الأموال.
- حرص المسلم لتأدية هذه الفريضة من أجل الثواب والأجر وهذا ما يجعله يجتهد في العمل والكد من أجل زيادة ثروته وبالتالي تكون حصيلة الزكاة وفيرة.

ثانياً: الأثر الغير المباشر في تحفيز على الاستثمار: إن الآثار الغير مباشرة تأتي نتيجة إنفاق الزكاة على مجالات الضمان الاجتماعي والمرافق والخدمات العامة والجانب الأمني.

☒ إن توجيه الزكاة لمجال الضمان الاجتماعي له آثار على التنمية الاقتصادية نوجزها فيما يلي:

- يساهم الضمان الاجتماعي في تحقيق التشغيل الكامل حيث أن مبدأ الضمان الاجتماعي يقوم على إعطاء أصحاب الحرف والمهارات من المستحقين لنفقات الضمان الاجتماعي ما يمكنهم من مزاولة حرفهم.
- مما لا شك فيه إن زيادة التشغيل لها مساهمتها في عملية التنمية

حيث أن اتباع هذه السياسة تؤدي إلى إمداد المجتمع بوحدات إنتاجية تساهم في رفع الدخل القومي والتنمية الاقتصادية.

- يساهم الضمان الاجتماعي في زيادة الدخل القومي عن طريق زيادة الميل الحدي للاستهلاك في المجتمع. حيث أن الميل الحدي للاستهلاك المرتفع يساعد على إحداث زيادات متتالية في الدخل القومي لوجود العلاقة الطردية ما بين المعدل الحدي للاستهلاك والدخل القومي.
- إن زيادة معدل الاستهلاك في المجتمع تعني زيادة الطلب الكلي الفعال وهذا ما يشجع المنتجين على زيادة إنتاجهم لمقابلة الزيادات في الطلب الكلي عن طريق توسيع مشاريعهم.

☒ إن الإنفاق على المرافق التعليمية والصحية يعد استثماراً لرأس المال البشري والذي يعتبر ضرورياً لكل تنمية اقتصادية. وكما نعلم أن الإنسان هو صانع التنمية ولذا وجب الاهتمام به من الجانب البدني والفكري.

☒ إن تخصيص جزء من حصيلة موارد الزكاة نحو النشاط العسكري مصرف (في سبيل الله) وفي مصرف المؤلفة قلوبهم يساهم في الاستقرار السياسي والأمني والذي يعتبر مهما جداً في عملية التنمية وجلب الاستثمارات.

ومن خلال الآثار التحفيزية المباشرة والغير مباشرة لزكاة على الاستثمار يمكننا استنتاج أثر الزكاة على زيادة الاستثمار في العناصر التالية:

- إن تحصيل الزكاة من أصحابها من شأنه دفع هؤلاء وتحفيزهم على الاستثمار حتى لا تأكلها الصدقة.
- ان إنفاق الفقراء إلى الزكاة في تلبية احتياجاتهم سيؤدي إلى زيادة الاستهلاك والذي بدوره سيدفع المنتجين لتوسيع مشروعاتهم من أجل سد هذا الطلب.

- من أفضل الطرق لتشجيع الاستثمار وهو توزيع الزكاة وفقاً لمبدأ الاغناء.
- الزكاة تخفف الطبقية وتمنع تركز الثروة في يد فئة قليلة وبقاء رأس المال مرهون في يد قلة من المجتمع والتي تتحكم في استثماره بدون منافسة. فالزكاة تجعل المال في أيدي معضم الناس وهذا ما يؤدي إلى المنافسة الاستثمارية إلى المشروعات الأكثر إنتاجية ومحاربة الاحتكار.

هـ- أثر الزكاة في محاربة البطالة

البطالة مشكلة متعددة الأطراف لها آثار وخيمة على الفرد والمجتمع فهي كالسرطان يهدد كيان المجتمع وللحد منها فقد حث الإسلام على العمل. فالإسلام يوجب على الإنسان القادر العمل ويشجعه على ذلك، لأن العمل هو أساس اكتساب الرزق. فإذا ما عجز بعضهم عن الكسب كان لهم الحق في الزكاة. فالزكاة ليست مجرد سد جوعة الفقير أو إقالة عثرته بكمية قليلة من النقود، وإنما وظيفتها الصحيحة تمكين الفقير من إغناء نفسه بنفسه، بحيث يكون له مصدر دخل ثابت يغنيه عن طلب المساعدة من غيره. فتساهم الزكاة لعلاج مشكلة البطالة من خلال توفير مستلزمات العمل من آلات ومعدات وخامات للعمل حتى ينحولوا إلى طاقة انتاجية وكذلك الانفاق على البرامج التدريبية لشباب العاطل لتأهله للعمل في ضوء احتياجات سوق العمل.

و- أثر الزكاة في توزيع الدخل والثروة

الإسلام يكره أن يكون المال دولة بين الاغنياء ويبقى الفقير بدون مال ولذلك جاء التوجيه القرآني بالقاعدة الاقتصادية العظيمة لقول الله تعالى ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ فهذه الآية قد أرست للإسلام نضامه الاقتصادي الذي يرتكز على مبدأ الإغناء للجميع وتحقيق السيولة للكل.

وتعمل الزكاة كأداة لإعادة التوزيع فى النظام الإسلامي ولضمان استمراريتها والدقة فى تنفيذها جعلها الله تعالى أحد الأركان التى يقوم عليها الدين، حتى لا تترك للقرارات الاقتصادية أو الظروف الاجتماعية أو الأهواء الشخصية وهي بهذا تتميز

بالاستمرارية وعدم الانقطاع لأنها حق ثابت فى المال يجب إخراجه عند استيفاء شروطه. وهذا التوزيع يعمل على توسيع قاعدة الملكية والاستهلاك والانتاج وهذا يتطلب زيادة الطلب على عناصر الإنتاج وتشغيلها فإذا ما ارتفع الدخل القومي فإنه سيزيد من حصيلة الزكاة. وبالتالي يتحقق توزيع أكثر وأشمل. ويحصل ذلك عندما يتم اقتطاع من دخل الغني وثروته وتوزيع هذا الاقتطاع على المستحقين وبذلك نضيف إلى ذمتهم المالية. وإعادة التوزيع تخفف الهوة بين الغني والفقير وتساهم بصورة مباشرة في التنمية الاقتصادية.

والزكاة تستهدف أساساً معالجة مشكلة الفقر في المجتمع فالرسول ﷺ عندما ابتعث معاذ رضي الله عنه إلى اليمن قال له: (**أخبرهم بأن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**)[١٧].

من خلال هذا الحديث يمكن القول إن من أهم أغراض الزكاة توزيع الدخل برد جزء من مال الغني على الفقير ولشدة ارتباط الزكاة بمهمة توزيع الدخل عرفها بعض الاقتصادين الدارسين لعلم الزكاة بأنها أداة اقتصادية دائمة لاعادة توزيع الدخل[١٨].

٢-٣: الدور التمويلي للزكاة والصيغ التمويلية لها

أ- الدور التمويلي للزكاة

تلعب الزكاة دوراً حيوياً في إنعاش الاقتصاد وتحقيق التنمية وذلك نتيجة لثلاث عوامل أساسية ومترابطة: محاربة الاكتناز، تشجيع الاستثمار وتشجيع الانفاق. فالزكاة تعتبر أداة مالية فاعلة تساهم في تحقيق أهداف كثيرة للمجتمع إلا أن دورها لا يقتصر على هذا الجانب فقط بل لها مساهمات في تمويل بعض مشروعات الدولة الداخلة في ميزانية الدولة.

(١٧) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، ج ٢، ص ١٥٩.

(١٨) عبد القادر نظريات التمويل الإسلامي.

وتمول الزكاة التنمية بطريقتين: تمويل مباشر وتمويل غير مباشر.

☒ **من الجانب المباشر:** تعمل الزكاة على تمويل النواحي الإنتاجية للعملية الإنمائية عن طريق توفير الأدوات الإنتاجية وتمويل الاستثمارات وبناء الهياكل الأساسية، والتطوير العلمي للإنتاج كماً وكيفاً وتمويل صناعات عسكرية واستراتيجية تكون لها شأنها في دفع العملية الإنمائية بقوة في الطريق الصحيح كما تسهم الزكاة من خلال مصارفها في توفير جو الثقة والأمان اللازم لبدء العملية الإنمائية والذي يعتبر من الشروط الأساسية لاستمرارها ونجاحها.

تؤدي الزكاة دورها في توفير الموارد الإنتاجية اللازمة لتنفيذ العملية الإنمائية:

- من خلال المصرف الأول الخاص بالفقراء والمساكين.
- من خلال إنفاق سهم «في سبيل الله» الذي يسهم في تمويل رأس المال الاجتماعي الثابت.
- من خلال سهم «بن السبيل» الذي يسهم في توفير البنية الأساسية.
- من خلال سهم «في سبيل الله» الذي يسهم في إنشاء صناعات حربية متعددة لإعداد القوة.
- من خلال سهم المؤلفة قلوبهم الذي يسهم في تأمين استقرار الاقتصاد وتوفير الأمن.
- من خلال سهم «الغارمين» الذي يسهم في كسب الثقة ويشجع أصحاب رؤوس الأموال على بذلها في قروض حسنة لمن يقدمون على إقامة المشروعات النافعة للأمة.
- من خلال سهم «في الرقاب» الذي يسهم في تحرير قوة عاملة حيث يؤدي تحريرها إلى تفجير إمكاناتها الابتكارية وطاقاتها الإنتاجية.
- تسهم في تمويل تنمية راس المال البشري الذي هو محرك وهدف العملية الإنمائية.
- تسهم الزكاة في إعادة توزيع الدخول من أجل تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية والتي تؤدي بالتالي إلى الإسراع بالتنمية وعدم تعطيلها.

☒ **من الجانب الغير المباشر:** تقوم الزكاة بتوفير الموارد المالية اللازمة لتحقيق التنمية من خلال محاربتها الفعلية للاكتناز ومن خلال عمل مضاعف الزكاة.

ويمكن تلخيص أهمية الدور التمويلي للزكاة في النقاط التالية:

- تعد الزكاة تنظيم رباني للمال.
- وفرة حصيلة الزكاة مما يجعلها أداة مهمة في دورها التمويلي ومما يساعد على هذه الوفرة:
  - سعر الزكاة حيث أنها تصل في بعض الثروات إلى ٢٠٪ ولا تقل عن ٢٪.
  - وعاء الزكاة يشمل كافة أنواع المال.
  - تكرار جمع حصيلة الزكاة كل عام.
- تساهم الزكاة في تغطية نفقات جانب مهم من نفقات الدولة وخاصة المتعلقة بنفقات الضمان الاجتماعي.
- تعد الزكاة أهم إيراد للدولة في عصر الخلافة الإسلامية.

ب- الصيغ التمويلية لزكاة

هناك مجموعة من الصيغ التمويلية للزكاة مستمدة من الفقه الإسلامي نوجزها فيما يلي:

- **التمويل عن طريق التأجير:** يقصد بهذا النوع تملك الصندوق لأصول مادية ويقوم بتأجيرها للمتمول الفقير على أن تكون الحيازة للمتمول والملكية لصندوق. ويأخذ هذا النوع شكلين: التأجير التشغيلي والتأجير المتناقص المنتهي بالتمليك.
- **التمويل عن طريق المشاركة:** بموجب هذا النوع من التمويل يشترك الصندوق مع الممول الفقير في تقديم المال اللازم لمشروع ما أو لعملية ما على أن توزع نتيجة الاستثمار بين الصندوق والمتمول الفقير بنسب متفق عليها في عقد التمويل. وتأخذ المشاركة شكلين أساسين: المشاركة الدائمة والمشاركة المتناقصة المنتهية بالتمليك.

- **التمويل عن طريق المضاربة:** عقد التمويل بالمضاربة يحل المشكل للأشخاص اللذين يمتلكلون القدرة على العمل والابتكار ولكنهم يفتقدون المال كخريجي الجامعات والمعاهد التكوينية من خلال اللجوء إلى وعاء الزكاة. ويأخذ هذا النوع شكلين: المضاربة الدائمة والمضاربة المتناقصة المنتهية بالتمليك.
- **التمويل بالقرض الحسن:** يلجأ لهذا النوع من التمويل عندما تكون قدرة المتمول على رد القرض ضعيفة ويرى المسئولون عن وعاء الزكاة ضرورية للحفاظ على النشاط الاستثماري وعلى مناصب الشغل لهذا النشاط عن طريق القرض الحسن.
- **تمويل العقارات الوقفية:** يمكن أن تستغل نسبة من حصيلة الزكاة (٣٠٪) لتمويل مختلف المشاريع الوقفية ذات الطابع الإنتاجي والخدماتي وهذا لاستغلال العقارات الوقفية التجارية والفلاحية.
- **تمويل القطاع الفلاحي:** يوجد عدة تقنيات لتمويل نذكر منها: التمويل بالمغارسة، التمويل بالمزارعة والتمويل بالمسقاة.

الخاتمة

من خلال دراستنا نستنتج أن الزكاة نظام رباني فريد شرعه الله تعالى ليكون أساس النظام الاقتصادي والمالي، وبناءاً من هذه الدراسة نستخلص بأن الزكاة أداة مالية يمكن استخدامها بأكثر فعالية لتؤدي دورها في التنمية الاقتصادية من خلال تأثيرها على الاستهلاك، الانتاج، الاستثمار ومحاربة البطالة ومحاربة الاكتناز.

وأخيراً نستنتج من هذه الورقة البحثية أن الزكاة تساهم بصورة فعالة في معالجة الركود الاقتصادي وتحقيق التوازن والاستقرار الاقتصادي من خلال الصيغ التمويلية المختلفة للزكاة.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

٦- تحليل المفاهيم الأساسية التي يدور حولها الفكر الاقتصادي الإسلامي

• أ. زهرة بوقلي
•• أ. عبد النور بالميمون
••• أ. عبيزة بن دحو
•••• أ. عدوكة لخضر

الملخص

من الحقائق الثابتة والعقائد الراسخة البعيدة كل البعد عن الأغاليط والأضاليل أن الإسلام نظام روحي ومادي ومتكافل وقائم على مبادئ قيمة وحكيمة، تعود إليها كل القواعد والكليات، وسائر التفاصيل والجزئيات. ولمّا كان الإسلام نظاماً شاملاً، وحضارة وافية، وثقافة سامية فإنه لا يمكن أن يهمل النظام المالي والاقتصادي الذي لا تتم حياة الأفراد إلاَّ به، والاقتصاد جزء من حياة الناس ذات الجوانب المتعددة والإسلام يكفل بعضه بعضاً ويكمل بعضه بعضاً، فهو حين يذكر ناحية اقتصادية مثلاً يفترض وجود النواحي الأخرى التي تحكم علاقات الأفراد كأعضاء في مجتمع لا يتفرق ولا يتبعض أي أنه يفرض النواحي القانونية والاجتماعية والسياسية وبدون هذا الافتراض يظهر الاقتصاد الإسلامي ناقصاً ومتأخراً عن مستوى الاقتصاد الوافي، فمثلاً في كتاب الله التنويع في أساليب الترغيب في

• أ. **زهرة بوقلي**: أستاذة محاضرة جامعة معسكر /الجزائر. bougzh@gmail.com
•• أ. **عبد النور بالميمون**: أستاذ مساعد جامعة معسكر. aymendoc13@gmail.com
••• أ. **عبيزة بن دحو**: أستاذ مساعد جامعة معسكر.
•••• أ. **عدوكة لخضر**: أستاذ محاضر جامعة معسكر. *ladouka@gmail.com*

النفقة في سبيل الله بينما حياة الإسلام لا تقوم على الصدقات والتبرعات وإنما تقوم على الكدح والسعي لطلب الرزق، وتيسير العمل لكل قادر وتوزيع العمل بين فئات المجتمع «**من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله، ومن سأل وعنده أربعون درهماً فقد ألحف**»، والإلحاف مذموم والتعفف محمود كما قال الله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً**﴾ وبذلك يتبين للبصير أنه لا محل ولا مجال لساقط الهمة ولا لضعيف النفس الذي يريد أن يكون عالة على الناس.

الهدف من الدراسة

تهدف الدراسة إلى إبراز معالم وسمات النظام الإسلامي الذي تلهج به ألسنة المفكرين من الغرب على أنه يحوي حلاً للأزمة المالية العالمية، إذْ تعرضت الأسواق العالمية لهزة عنيفة طالت النظام المالي والاقتصادي العالمي بأسره، لدرجة وصفها البعض بالزلزال الذي امتدت آثاره إلى كافة البورصات والأسواق العالمية على خلفية انهيار بنك ليمان براذرز الأمريكي وقضية الرهون العقارية وقال مراقبون أن ما حدث يمكن مقارنته بفترة الكساد الكبير خلال ثلاثينيات القرن الماضي.

الكلمات المفتاحية: الاقتصاد الإسلامي، الاقتصاد الوضعي، الملكية المزدزجة.

مقدمة

من الأخطاء الكبيرة الشائعة هو بقاء البحث في الفكر الاقتصادي وتطور المذاهب الاقتصادية يبدأ من تصورات أفلاطون وأرسطو وروما، في العصور القديمة، وتحدث القفزة إلى القرن الثامن عشر مباشرة، متجاهلين الجهود العلمية والأخلاقية في القرون الوسطى، بدعوى أن القرون الوسطى، هي عصور جهل وظلام.

لقد عمل علماء ومفكرو النهضة الأوربية على إنكار أسلافهم المفكرين من علماء وفلاسفة العصر الوسيط، وأصرو على ارتباطهم بأسلافهم الأوربيين (اليونان والرومان) حتى أنهم عدّوا العلم محض ظاهرة أوروبية تبدأ في المجتمع اليوناني وتنتهي في المجتمعات

الأوروبية الغربية ذات الحضارة التكنولوجية. غير أن التفاتنا اليوم إلى أهمية التدقيق في تاريخ العلوم من جهة، والتفاتنا إلى البحث عن نشوئها وترعرعها في مختلف المجتمعات والحضارات الإنسانية واعتبارنا العصر الوسيط عصراً ذهبياً بالنسبة لتكوين الروح العلمية وتطويرها في أحضان إحدى الحضارات العلمية الكبرى هي الحضارة الإسلامية، من جهة أخرى؛ كل هذا يجعلنا نرجع تلك المواقف المزدرية لإنتاج العصر الوسيط، فليس من المعقول أن نجد في أيامنا هذه مؤلفات حول المذاهب الاقتصادية أو عن تاريخ الفكر الاقتصادي تتجاهل ما أنبتته الأخلاق الإسلامية من نظريات حول التعامل الاقتصادي والظواهر والمشكلات الاقتصادية، يصف جورج سارتون المسلمين من زمن ازدهار الدولة الإسلامية خلال الفترة من منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر ويقول أنهم عباقرة الشرق في القرون الوسطى قدموا للحضارة الإنسانية مآثر عظمى، في كتابة أعظم المؤلفات والدراسات قيمة وأصالة وعمقاً باللغة العربية التي كانت العلم للجنس البشري آنذاك، بل أشاد المسلمون دولاً لهم في أطراف الجزيرة العربية على شواطئ بحر العرب وفي بلاد الرافدين وبلاد الشام وفي شمال إفريقيا ثم وصلت إلى الأندلس وحتى حدود فرنسا في أوروبا وأقاموا هناك حضارات ما تزال موضوعاً هاماً في كتب التاريخ، والكتب المعاصرة.

وتبرز لنا الإشكالية التالية: ماهي المعالم والسمات الأساسية التي تميز الفكر الاقتصادي الإسلامي عن باقي الأنظمة الوضعية، وهل يمكن اعتبار النموذج الإسلامي حلاً مثالياً لكل مشكلاتنا الاقتصادية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا الخطة التالية في هذه الورقة البحثية:

١- نشأة الاقتصاد الإسلامي مفهومه ومبادؤه وتطوره.

٢- إغفال تطبيق الاقتصاد الإسلامي في واقع حياة المسلمين، والعالم أجمع وآثر ذلك.

١- نشأة علم الاقتصاد الإسلامي وتطوره

الإسلام قد قرر أصول الاقتصاد منذ بداية التشريع الإسلامي، وكانت حياة الرسول ﷺ نموذجاً حياً لتطبيق هذا التشريع الذي استمر على نهجه الخلفاء الراشدون من بعده.

ولئن كانت الحياة والمشكلات الاقتصادية في الصدر الأول محدودة فإن ذلك يرجع لأمرين:

الأول: فقر البيئة والتواضع في النشاط الاقتصادي؛ إذ كانوا يقتصرون على أعمال الرعي، والزراعة المحدودة، والتجارة الضيقة الحدود.

الثاني: قوة الوازع الديني وتمكنه من النفوس، فلا غش ولا تدليس ولا غبن ولا احتكار.

وحين بدأ الناس التوسع في المعاملات نشطت الدراسات الفقهية الاقتصادية وبدأ العلماء يضعون أحكاماً شرعية لما استجد في زمانهم من أمور ومسائل، فألفوا في ذلك التصانيف التي تبحث المسائل الفقهية في الجوانب الاقتصادية، فكتب الفقه التي ظهرت في القرن الثاني الهجري فما بعده، زخرت بمسائل اقتصادية هامة كالزكاة، والكفارات، والعقود، والمعاملات، والنفقات، والصداق، والمواريث، والديات.

ومن هذه الكتب (**المدونة الكبرى**) للإمام مالك، و(**المبسوط**) للسرخسي، و(**الأم**) للإمام الشافعي، و(**المغني**) لابن قدامة.

كما ظهرت كتب خاصة في الاقتصاد مثل (**الخراج**) لأبي يوسف، و(**الخراج**) ليحيى بن آدم القرشي و(**الأموال**) لأبي عبيد، وكتاب (**الاكتساب في الرزق المستطاب**) للشيباني، و(**أحكام السوق**) ليحيى بن عمر، وكتاب (**البركة في فضل السعي والحركة**) لمحمد الحبشي اليمني، وكتاب (**الحسبة**) لابن تيمية وغيره من العلماء.

ماهية النظام الاقتصادي الإسلامي

هو جزء من نظام تشريعي متكامل ومتناسق ينبثق من عقيدة لها تصورها الخاص عن الكون والحياة لأنه ينطلق من نظرية معرفية تقر بالوحي مصدراً للمعرفة وتسترشد به

في بناء منظومتها التشريعية والسلوكية، وتزاوج بين النص والعقل وبذلك يكون الدين هو المرجعية العقائدية والفكرية.

فالمسلم يعتقد جازماً بأن الإيمان هو الأصل الذي يتفرع منه كل فرع من فروع الحياة، فهو قاعدة كل علم حق وأساس كل عمل صالح. أما إذا استغنى العقل عن الاسترشاد بالوحي فإن كل ما ينشأ عنه باطل باعتبار أنه محدود يعجز عن الإحاطة بالوجود، كما أن فهم الإنسان للتنظيم عرضة للتفاوت والتناقض والتأثر بالبيئة، مما يؤدي إلى القصور في الرؤى وبالتالي التيه والغي والعمى، وإلى ذلك يشير د. يوسف كمال بقوله:... والفرق كبير بين المنهجين، المنهج الحسي التجريبي الذي يتعامل فيه الإنسان مع الفروض التي يصورها العقل وتحددها التجربة بقدرة الحواس المحدودة والمنهج الإسلامي الذي يؤمن بالغيب ويدرك الحق على ما هو عليه من رب الوجود الذي لا يضل ولا ينسى، ومن رسول رب العالمين الذي ما زاغ بصره وما طغى ... ولا يمكن للعلم أن يكون حقاً إلا إذا بدأ من نقطة الإيمان بالغيب.

ولهذا كان الله وحده هو القادر أن يبيّن لنا كيف خلق الكون والله وحده يبيّن لنا آخرته، والله وحده يبيّن لنا رسالة الإنسان في الأرض ومنهج حياته، وهذا من فيض رحمته. فالله الخالق حكيم في خلقه وتنزه عن تركنا نتخبط في الجهالة ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[1].

ومنهج الإنسان وقانون حياته يتصل بمتغيرات كونية واسعة المدى وبماضٍ يكون الحاضر امتداداً له ومستقبلا مغيباً عنه.[2]

لهذا شقى بما شرعه لنفسه ورحمه الله بالرسل ليبينون له حقيقة الكون والحياة وغايتها ومنهجه الذي يسير عليه[3] وعن حاجة العقل إلى الشرع يقول الحسين الراغب الأصفهاني: «اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع والشرع لا يتبيّن إلا بالعقل. فالعقل كالأس، والشرع كالبناء ولن يغن أس مالم يكن بناء، ولن يثبت بناء مالم يكن أس، أيضاً فالعقل كالبصر، والشرع كالشعاع ولن يغن البصر مالم يكن شعاع من خارج ولن يغن الشعاع ما لم يكن بصر».[3]

واستدل بقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾.

مما سبق نجد أن الاقتصاد الإسلامي يختلف في منطلقه عن الاقتصاد الوضعي، وبذلك يحقق تميزه عن المذاهب الوضعية في تصورها للإنسان والثروة.

مبادئ الاقتصاد الإسلامي[٤]

يقوم الهيكل العام للاقتصاد الإسلامي على ثلاثة مبادئ رئيسة تميزه عن سائر المذاهب الاقتصادية الأخرى وهذه المبادئ الاساسية الثلاثة هي مبدأ الملكية المزدوجة ومبدأ الحرية الاقتصادية ضمن نطاق الشرع والعقل ومبدأ العدالة الاجتماعية.

١) مبدأ الملكية المزدوجة

إن المذهب الإسلامي لا يتفق مع الشكل الرأسمالي للملكية، بأن الملكية الاجتماعية مبدأ عاماً، ولكن يُقر مبدأ الملكية المزدوجة، أي الملكية ذات الاشكال المتنوعة، فهو يؤمن بالملكية الخاصة للأفراد والملكية العامة للدولة في حدود ضيقة ويخصص لكل منها حقلاً خاصاً تعمل فيه.[٥]

ولهذا كان من الخطأ أن يسمى المجتمع الإسلامي مجتمعاً رأسمالياً وإن سمح بالملكية الخاصة، لعدد من رؤوس الأموال ووسائل الإنتاج، وإن كانت الملكية الخاصة عنده هي القاعدة العامة، كما وإن من الخطأ أن يطلق على المجتمع الإسلامي اسم المجتمع الاشتراكي وإن أخذ بمبدأ الملكية العامة أو ملكية الدولة في بعض الثروات، لأن الشكل الاشتراكي للملكية ليس هو القاعدة العامة في رأيه، قال رسول الله ﷺ «المسلمون شركاء في ثلاثة الماء والكلأ والنار..» وأضاف في حديث آخر: ((الملح)) (أخرجه أحمد وأبو داود)، وكذلك من الخطأ أيضاً ان يُعد مزاجاً مركباً من هذا وذاك، لأن تنوع الأشكال الرئيسة للملكية في المجتمع الإسلامي لا يعني أن الإسلام مزيج بين المذهبين الرأسمالي والاشتراكي، وإنما يعبر ذلك التنوع عن أشكال الملكية عن تصميم مذهبي أصيل قائم على أسس وقواعد فكرية معينة وموضوع ضمن إطار خاص من القيم والمفاهيم تناقض الأسس والقواعد والقيم والمفاهيم التي قامت عليها الرأسمالية الحرة والاشتراكية الماركسية.

إن الاقتصاد الإسلامي منذ البداية يقر الملكية الفردية، ويقر كذلك الملكية الجماعية، ويجعل لكل منهما مجالها الخاص الذي تعمل فيه.

فالاقتصاد الرأسمالي رغم قيامه على الملكية الفردية، وكراهيته للملكية الجماعية، إلا أنه إزاء طغيان الملكية الفردية وعزوفها عن القيام بالمشروعات الأساسية اللازمة للاقتصاد القومي، فقد اضطر إلى الأخذ بفكرة الملكية العامة في صورة تأميم بعض المشروعات الخاصة، أو قيام الدولة ابتداء ببعض المشروعات الاقتصادية التي يعزف عنها الأفراد، وخير شاهد على ذلك عمليات التأميم والتدخل في النشاط الاقتصادي التي لجأت إليها الدول الرأسمالية منذ السنوات السابقة على الحرب العالمية الأولى.[٦]

كذلك فإن الاقتصاد الاشتراكي إزاء تدهور الإنتاج كماً ونوعاً، واقتناع المسؤولين عن هذا الاقتصاد بأن ذلك راجع بصفة أساسية إلى إلغاء الملكية الفردية بضرورة الاعتراف بالملكية الفردية.

سواء أكانت ملكية خاصة أو ملكية عامة فهي ليست مطلقة، بل هي مقيدة بقيود ترجع إلى تحقيق مصلحة الجماعة، وإلى منع الضرر، الأمر الذي ينتهي بالملكية إلى أن تصبح وظيفة اجتماعية.

فالذي يتتبع نصوص الكتاب يجد أن الأصل في الأموال جميعها بكل أشكالها وأنواعها أنها ملك لله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ (سورة المائدة: ١٧)، وقال سبحانه: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (سورة النـور: ٣٣).

وإذا كان المال كله لله فإن يد البشر عليه هي يد استخلاف، أي أن البشر خلفاء عن الله في استعمال هذا المال والتصرف فيه، كما قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (سورة الحديد: ٧).

فالإنسان ما هو إلا وكيل أو موظف يعمل في ملك الله لخير المجتمع الإسلامي كله.

وإذا لم يلتزم الإنسان المستخلف بأوامر الله ونهيه في المال الذي تحت يده، فإن الجزاء هو استبداله بمن هو أصلح منه، قال الله تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (سورة محمد: ٣٨). وقد ضرب لنا الحق -تبارك

وتعالى- مثلاً لهذا الاستبدال في قصة قارون فقال -عز وجل-: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ (سورة القصص: ٨٠-٨١).

٢) مبدأ الحرية الاقتصادية

في هذا المبدأ يختلف الاقتصاد الإسلامي عن الاقتصاديين الرأسمالي والاشتراكي اختلافاً بيناً، فالاقتصاد الرأسمالي يكفل للفرد الحرية الاقتصادية المطلقة ليزاول ما يشاء من أعمال وبالأسلوب الذي يراه، على ضوء مصلحته الشخصية فقط وطبقاً لما يعتقد أنه يحقق له أكبر قدر من الربح.

أما موقف الاقتصاد الاشتراكي الماركسي من الحرية الاقتصادية فهو على طرف نقيض من موقف الاقتصاد الرأسمالي ذلك أن الفرد لا يملك حرية الإنتاج أو الاستثمار.

والأمر لا يقف عند هذا الحد بل يتعداه إلى ما هو أقسى، فالفرد لا يملك حرية اختيار أو تحديد نوع العمل الذي يقوم به، بل وأكثر من هذا فإن النظام لا يترك للأفراد تحديد السلع التي يرغبون في استهلاكها، بل تقوم الحكومة بتحديد تلك السلع ثم تعمل على إنتاجها، وتقوم بتوزيعها بعد ذلك على الأفراد ببطاقات.

ما موقف الإسلام من هذه الحرية الاقتصادية؟

اعترف الإسلام بالحرية الاقتصادية ولم ينكرها أو يصادرها، ولكنه لم يطلق لها العنان، ففي الوقت الذي اعترف فيه الإسلام بالحرية الاقتصادية نجده قد وضع عليها قيوداً تستهدف تحقيق أمرين:

الأول: أن يكون النشاط الاقتصادي مشروعاً من وجهة نظر الإسلام.

الثاني: كفالة حق الدولة في التدخل؛ إما لمراقبة النشاط الاقتصادي للأفراد، أو لتنظيمه،

أو لمباشرة بعض أوجه النشاط الاقتصادي التي يعجز عنها الأفراد، أو يسيئون استغلالها.

أولاً: يجب أن يكون النشاط الاقتصادي مشروعاً:

الأصل أن كل نشاط اقتصادي مشروع في ظل الإسلام إلا ما ورد النص بتحريمه، وذلك تطبيقاً لقاعدة أن الأصل في الأشياء الإباحة.

أما ما جاءت النصوص بتحريمه من أوجه النشاط الاقتصادي، فالملاحظ أنه قليل جداً إذا ما قيس بالأوجه المباحة التي هي الأصل في النشاط الاقتصادي.

الناظر في أوجه النشاط الاقتصادي التي حرمها الإسلام يجد أنه يجمع بينها أنها جميعها قد تنكبت طريق الفطرة السليمة؛ لأنها تقوم إما على الرشوة أو استغلال النفوذ والسلطان، أو على غش الناس، أو ابتزاز أموالهم بالباطل، أو التحكم في ضروريات معاشهم، أو انتهاز حالات عوزهم وحاجاتهم.[٧]

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ (سورة البقرة: ١٨٨)، وقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾(سورة المطففين: ١-٣)، وقال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٦)، ويقول الرسول ﷺ: (من غش فليس مني)، ويقول: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)، ويقول: (لا يحتكر إلا خاطئ).[٨]

٣) المبدأ الثالث في الاقتصاد الإسلامي وهو العدالة الاجتماعية

لم يتبن الإسلام العدالة الاجتماعية بمفهومها التجريدي العام، ولم يناد بها بشكل مفتوح لكل تفسير، ولا اوكلها إلى المجتمعات الإنسانية التي تختلف في نظرتها للعدالة، الاجتماعية، باختلاف افكارها الحضارية ومفاهيمها عن الحياة، وانما حدد الإسلام هذا المفهوم وبلوره، في مخطط اجتماعي معين - واستطاع - بعد ذلك ان يجسد هذا التصميم في واقع اجتماعي حين تنبض جميع شرايينه واوردته بالمفهوم الإسلامي للعدالة.

وتقدم العدالة الاجتماعية من وجهة نظر النظام الاقتصادي الإسلامي على مبدأين عامين، الأول مبدأ التكافل العام، والثاني مبدأ التوازن الاجتماعي، في التكافل الاجتماعي والتوازن في توزيع الثروة في المجتمع يتم تحقيق العدالة الاجتماعية - إن هذه الأركان الأساسية في الاقتصاد الإسلامي التي تتمثل في ملكية وسائل انتاج ذات أشكال متنوعة، يتحدد التوزيع خلالها - ثم حرية في النشاط الاقتصادي محدودة بالقيم الإسلامية والعدالة الاجتماعية التي تكفل للمجتمع سعادته وقوامها التكافل الاجتماعي والتوازن.

وللمذهب الاقتصادي في الإسلام صفتان أساسيتان هما الواقعية والاخلاقية:

فأما الواقعية فالاقتصاد واقعي في غايته لأنه يستهدف في أنظمته وقوانينه الغايات التي تنسجم مع واقع الإنسانية بطبيعتها وخصائصها العامة.. ويقيم مخططه الاقتصادي دائماً على أساس النظرة الواقعية للإنسان، ويتوخى الغايات الواقعية التي تتفق مع تلك النظرة - الأخلاقية حين نجد أن الإسلام لا يهتم بالجانب الموضوعي فقط وهو تحقيق الغايات، وانما يهتم ايضاً بالعامل النفسي. والطوعية.[٩]

لاتباع الطرق التي تتحقق بواسطتها الاهداف وبذلك يزج النظام الإسلامي العامل النفسي والذاتي بالطرق التي تحقق الغايات المرجوة، لذلك جعل الإسلام من الفرائض المالية (الخمس والزكاة مثلاً) عبادات شرعية، يجب أن تتبع عن دافع نفسي نيّر، يدفع الإنسان إلى المساهمة في تحقيق غايات الاقتصاد الإسلامي، بشكل واع ومقصود، طلباً لرضا الله تعالى والقرب منه.

إن الأخلاق الاقتصادية لم تكن في العالم الإسلامي إلا مجموعة مثالية وإذا ما رجع المفكر أو القضية لإثباتها كأصول لمنظومة التفكير الاقتصادي فإن هذا لا يعني مطلقاً أنها أخلاق اقتصادية معمول بها، ولا ننسى أن الفقه في هذا الميدان الاقتصادي على الخصوص، سلك في تشريعاته الموقف الوسط بين المثالية المتجلية في الأصول، والواقع الحي الذي يتجلى في المعاملات الكثيرة التطور في مختلف الأزمنة والمجتمعات

٢. إغفال تطبيق الاقتصاد الإسلامي في واقع حياة المسلمين، والعالم أجمع

لقد جثم الاستعمار في بلاد المسلمين فترة من الزمان، ولما رحل ترك آثاراً سيئة على حياة المسلمين ومنها:

١- تشتيت الدراسات الإسلامية وإبعادها عن مناهج التعليم.

٢- منع الفقه الإسلامي من التطبيق داخل المحاكم، واستبدال القوانين الوضعية.

٣- سنُّ الأنظمة والقوانين التي تخدم الاتجاه الاشتراكي أو الرأسمالي.

ولقد ترتب على إغفال تطبيق الاقتصاد الإسلامي في واقع حياة المسلمين آثار سيئة منها:

١- انتشار الربا -بكافة صوره وألوانه- في بلاد المسلمين.

٢- التوسع في انتشار المعاملات المحرمة الأخرى بين المسلمين كعقود التأمين مثلاً.

٣- مخالفة حكم الله، والعمل بغير ما أنزل، مما يكسب المسلمين المعاصي والآثام المستمرة.

٤- عدم إفساح المجال للاقتصاد الإسلامي؛ ليحل المشكلات الاقتصادية القائمة، وبالتالي حرمان العالم من سن أنظمة وتشريعات تحقيق الخير والرفاهية للناس.[١٠]

وظائف للدولة في الاقتصاد الإسلامي

تمنح تعاليم الدين الإسلامي لكل فرد الحرية الكاملة في أن يتصرف بماله، ويمارس نشاطه الاقتصادي في التجارة والزارعة والصناعة لتنمية هذا المال وزيادته ولكنها تشترط لمنح هذه الحرية وحمايتها احترام أحكام الشريعة الإسلامية. (فإذا ما حاول فرد أن ينمي ملكيته بالطرق التي لا تحترم هذه الأحكام سقط حقه في حماية الدولة له وجاز للدولة شرعاً

أن تتدخل في هذا المجال لتمنع التعدي، ولتعيد الحق إلى نصابه، وإن تضرب على أيدي العابثين حماية لمصلحة المشروع).

وبذلك تكون وظيفة الدولة وفقاً للتشريع الإسلامي هي حفظ الأمن والاستقرار في الداخل والدفاع عن الوطن ضد الأعداء من الخارج.

لقد استطاعت الدولة الإسلامية أن تقوم بالوظائف الاقتصادية عن طريق نظام الحسبة: وهي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله.

واستطاع المجتمع المسلم من خلال نظام الحسبة (مراقبة الاسواق، والكشف عن الغشاشين والمحتكرين والمرابين، وغيرهم من الذين يتلاعبون بمصالح الناس، طمعا في الربح دون رادع من ضمير أو دين، فكانت الحسبة هي السلطة التي تقوم بدور المراقب وهي تمثل سلطة الدولة في الدفاع عن مصالح المجتمع).

ولا بد من تعاون الأفراد والحكومة الإسلامية لانجاح وظيفة الحماية وتحقيق الصالح العام. ومن أهم الوسائل التي تستخدمها الدولة للقيام بدورها، المشروعات العامة ومراقبة النشاط الاقتصادي وتنظيم عرض النقود واتباع سياسات مالية ونقدية مناسبة كما أن مسؤولية الدولة في الإسلام تحقيق الضمان الاجتماعي في المجتمع.

فالمجتمع لا يخلو من فقراء وأغنياء، وقد حاول التشريع الإسلامي أن يسد حاجة الفقراء بجميع أنواعهم، فشرع لذلك النظم الكفيلة بالقضاء على هذه الظاهرة المرضية في المجتمع وهي الفقر. فالدولة الإسلامية مسؤولة مسؤولية كلية عن الفقراء والأرامل والعجزة وغيرهم ممن لا يقدرون على كفاية أنفسهم، ويحق لكل فقير أن يطالب الدولة بالإنفاق عليه إذا لم يكن هناك من ينفق عليه ولا يجد عمل يكفيه.

وهذه المسؤولية تجعل الدولة مسؤولة عن جميع أفراد المجتمع لأن الإسلام لا يعترف بمشكلة الفقر كأمر واقع.

لذلك أوجد لها الحلول الكفيلة بالقضاء عليها، والتاريخ الإسلامي يؤكد أن الدولة الإسلامية كانت تنفق من بيت مال المسلمين على الفقراء والعجزة والأرامل وغيرهم.

مما تقدم نلاحظ؛ إن العلاقة في المجتمع الإسلامي بين الفرد والدولة والحاكم تتم من خلال كون الفرد هو المالك لجميع الاموال وهو صاحب الحق فيها.

والدولة هي التي تسهر على سعادة هذا الفرد وأمنه واستقراره والحاكم هو الشخص الذي يقوم بحماية الفرد وخدمته، دون أن تكون لها أية ميزة مادية أو معنوية عن بقية الناس. إننا عندما نتعرض لدراسة الفكر الاقتصادي الإسلامي، إنما نتعرض له من وجهين اثنين.[١١]

الوجه الأول: اكتشاف مختلف الافكار الاقتصادية من خلال ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف وآراء الفقهاء والفلاسفة المسلمين - سواء ما كان منها شرعياً أو أخلاقياً أو علمياً، ولا نريد أن يقتصر البحث هنا على الأفكار والنظريات العلمية، خصوصاً بعدأن أصبح لهذه الأفكار والنظريات اليوم أهمية تاريخية أكثر منها علمية، مع العلم إننا لا نريد الاستخفاف بها إذا نظرنا إليها من هذا المنظار التاريخي لأنها قد تؤدي وظيفتها عندما يحتاج إليها المؤرخ الاقتصادي مثلاً، غير إن الأهمية العلمية المطلقة لهذه الأفكار قد أصبحت محدودة جداً. بسبب تطور الأبحاث الاقتصادية وقطعها مراحل حاسمة في طريق العلمنة.[١٢]

الوجه الثاني: تحليل وتدقيق المفاهيم الأساسية التي يدور حولها الفكر الاقتصادي الإسلامي. فنحصل من هذا التحليل على عرض هذا الفكر وتحديده كما هو بالحقيقة، وليس كما يحلو لبعضهماأن يراه. لقد وردت بعض المفاهيم غامضة إلى درجة ما فنجدها أحياناً مزيجاً من العواطف والأخلاق والتفكير العلمي.

المجالات التي يشرع للدولة التدخل فيها لتوجيه الاقتصاد

١- منع بيع ما حرم شرعاً.

٢- منع الغش بكافة أشكاله، وصوره، سواء كان في المطعومات، أم في المكاييل والموازين، أو العملات ونحو ذلك.

٣- منع بيع ما يضر بالصحة العامة.

٤- منع العبث بمصالح وأموال الناس العامة.

٥- منع العمل في المجالات المحرمة.

٦- منع التقصير في أداء العمل والامتناع عنه.

٧- تحديد الأجور والأسعار إذا غالى الناس فيها أو امتنعوا عنها.

٨- إلغاء الوسطاء، والسماسرة، أو تحديد عددهم حتى لا تتراكم الأرباح على ثمن التكلفة، وبالتالي إلى غلاء السلع دون مسوغ.

المجالات التي لا يجوز للدولة التدخل فيها

١- تحليل ما حرم الله، مثل السماح للبنوك الربوية بممارسة نشاطها.

٢- تحريم ما أحل الله تعالى، كمنع الناس من الطيبات التي أحلت لهم دون مصلحة بينة.

٣- الإضرار بمصلحة الجماعة لأجل نفع بعض الأفراد، أو الإضرار بمصلحة الأفراد لأجل أفراد غيرهم. أو تقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد لأجل الشهوة، أو الإضرار بهذا الفرد.

العلاج لمشكلتنا الاقتصادية

الأول: الرجوع إلى الإسلام والأخذ بتعاليمه لإنقاذ البشرية من مشكلتها الاقتصادية

يقول الحق ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الأنفال(٢٤)]

إن هذه الدعوة تتضمن الحياة بكل معانيها، وصورها، لتحرير الإنسان من ظلم النظام الرأسمالي القائم على تنمية الطبقية بين أفراده، فالنظام الاشتراكي الذي استعبد الإنسان

وسلب منه الحرية، وحـق الامتـــلاك حتى عــاش فقيراً ذليلاً لا يملك من مقومات الحياة ما يستطيع أن يسد عوزه أو يقضي فاقته.

الثاني: تنمية الموارد البشرية، وتوظيفها التوظيف الصحيح

إن توظيف عناصر الإنتـاج البشرية التوظيف الصحيح، وتوفير المناخ الأمني لممتلكاته، وحقوقه ومده بحوافز متجددة من خلال ما يطرح من مشروعات وما يتوفر من طاقات، وخدمات أساسية لتشجيع المؤسسات الخاصة على ارتياد مجالات إنتاجية جديدة.

والمجتمع الناجح يدرك حقيقة توظيف القوى البشرية التوظيف الصحيح، فيهيئ لأبنائه الفرص المتكافئة وفق حاجات الأمة ومتطلباتها، وفي ضوء ذلك يتم اختيار العاملين، فيعين الرجل المناسب في المكان الناسب؛ ليكون الإنتاج أبلغ.

الثالث: التوسع في الإنتاج النافع

لئن كان الإنتاج بحد ذاته مطلباً أساسياً فإن المقدار المطلوب منه هو الأهم، فالإنتاج لا يعني إنتاج أي شيء، وكل شيء مهما كان الطلب عليه؛ لأن الإنتاج ينبغي أن يكون فيما ينفع الإنسان مما هو يدور في حيز الفضيلة الشرعية، فلا ينبغي إنتاج ما يحرم الإسلام استخدامه مهما كان العائد من الربح.

وتعطى الأولوية في الإنتاج للأشياء الضرورية النافعة التي ينبغي استثمارها وفق احتياجات الأمة من سلع، ومواد لازمة.

كما ينبغي التوسع في مجال الإنتاج الزراعي والحيواني، خاصة في البحار التي تشكل نسبة ٢٨٪ من سطح الأرض ففيه من الشراب، والكساء، والحلية، والمعادن، والحيوانات المائية الشيء الكثير.

ولقد جرى تقدير نسبة ما يصطاد الإنسان منها فتبين أنه لا يتجاوز ١٪ وأن مقدار ما يستعمله العالم من البروتينات المستخرجة من المحيطات يبلغ ثلاثين مليون طن في العام، والسمك لا نقوم بتغذيته وإطعامه إنما يغذيه الخالق سبحانه، فما علينا إلا التوسع

في اصطياده لا سيما أن التقارير العلمية تؤكد أن الأسماك التي تعيش جنوبي خط الاستواء لم تمس فعلياً.

كما يلزم توجيه الإنتاج الزراعي إلى غرضه الصحيح، وهو إطعام البشر بدلاً من زراعة القمح والذرة لغرض إنتاج الكحول وقصب السكر لإنتاج البترول، كما أن ثلث إنتاج العالم من الحبوب يستخدم لغذاء الخنازير، ولأجل الآلات والخنازير يحرم البشر من مثل هذا!

ماذا يعني توجيه قدرات الأمة إلى زراعة الحشيش والقات والدخان واستهلاك الأرض لأجل ذلك؟

الرابع: رفع مستوى المعيشة

ويتحقق ذلك من خلال النقاط التالية:

١- تهيئة فرص العمل.

٢- تأمين الكسب، والرزق للعاجزين عنه من الأيتام، والأرامل، والمساكين، ومن في حكمهم.

٣- التوزيع العادل للدخل، فلا يستأثر بالمال طائفة دون أخرى.

٤- المحافظة على ثروات الأمة من الاختلاس أو النهب أو السرقة، وتوظيفها للتنمية الاقتصادية.

٥- عدم استنزاف ثروات الأمة من مواد خام وغيرها بشكل سريع والاقتصار على استخراجها وفق خطط محددة مهما كانت الحاجة إليها؛ لأن للأجيال اللاحقة حق في تلك الثروات.

الخامس: الأخذ بالوسائل العلمية الحديثة التي تساعد على الإنتاج

التقدم العلمي لا يختص به قوم دون قوم، وهو من العلوم المشتركة التي ينالها من رغب فيها، وأراد الوصول إليها، والإسلام قد أمر بذلك.

السادس: الحد من التبعية للعالم الخارجي وزيادة التكامل بين بلدان العالم الإسلامي

يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٢٠].

الخاتمة

إن هدف الاقتصاد الإسلامي إعمارُ الأرض، وهدفَ الأنظمة الأخرى الربحُ، فمن هدفُه إعمار الأرض فلن يسمح للاحتكار وإتلاف الفائض من الحبوب والخضروات في البحار، أو تحت أشعة الشمس المحرقة، بل سيعمل على توزيع الفائض من إنتاجه على الشعوب الأخرى.

مما تقدم نستطيع تلخيص اهم الخصائص المميزة للاقتصاد الإسلامي وفقاً لما يلي:

- المال بمختلف أنواعه ملك للّه، والإنسان مستخلف على هذه النعم بتسخيرها له وخدمته.
- الإنســـان يجب أن يتصرف بالمال وفق إرادة المالك الحقيقي (اللّه) ولا بد من تنفيذ ما أمر به لتحقيق النظام.
- إن اللّه سبحانه وتعالى يطلب من عباده إنفاق المال في منفعة تعود على خلقه واقتصادهم.
- يوفق الاقتصاد الإسلامي بين المادة والروح، من خلال ارتباط الاقتصاد بالأخلاق والثقة والاطمئنان والتعاون في التعامل والتبادل.
- التوازن في رعاية المصلحة الاقتصادية للفرد والجماعة.
- الاعتدال والتوسط في الإنفاق والنهي عن الإسراف والتبذير.

ويمكن القول أن لكل نظام اقتصادي فلسفته التي تحدد هويته وخصائصه الرئيسية والتي تحكم تطبيقاته. وتلك الفلسفة هي التي تحدد درجة قابلية ذلك النظام للتطور ومدى استجابته للمتغيرات والتغيرات التي تحدث على االأرض الواقع وقدرته على استيعابها. وكان النظام الاقتصادي الإسلامي نظاماً للحضارة الإسلامية. وقد تفاعل مع النظم الأخرى لهذه الحضارة. حيث تفاعل مع النظام الاجتماعي والتكافلي لتلك الحضارة. بل تفاعل مع النظام السياسي لهذه الحضارة ونظامها الاقتصادي قروناً بكفاءة من حيث قيادته للواقع وتطويره واستيعاب مستجداته ومتغيراته.

الهوامش

١- (سورة المؤمنون: ١١٥ -١١٦).

٢- د. سعيد سعد مرطان. **مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام**، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ٦٩، بيروت.

٢- د. يوسف كمال. **فقه الاقتصاد الإسلامي**. النشاط الخاص. دار القلم، ط ١٤٠٨، ١٩٨٨، ص ١٣، ١٤، الكويت.

٣- الحسين الراغب الاصفهاني. توفي سنة ٥٠٢، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، دار مكتبة الحياة ١٩٨٣، ص٨٢، بيروت.

٤- د. إبراهيم دسوقي أباظة، **الاقتصاد الإسلامي مقوماته ومناهجه**، دار لسان العرب، منشورات يوسف خياط، ص٦٣، لبنان.

٥- د. يوسف كمال. **فقه الاقتصاد الإسلامي**، النشاط الخاص، مرجع سبق ذكره، ص ٢٩.

٦- د. محمد عبد المنعم الجمال. **موسوعة الاقتصاد الإسلامي ودراسات مقارنة**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، دار الكتاب اللبناني، ص ٥٦، بيروت.

٧- الحسين الراغب الاصفهاني. **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، مرجع سابق، ص١٠٢.

٨- الحسين الراغب الاصفهاني. **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، مرجع سابق، ص٩٩.

٩- د. محمد شوقي الفنجري. **المذهب الاقتصادي في الإسلام**، دار الصحوة، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص٧٩، القاهرة.

١٠- محمود بن إبراهيم الخطيب. **من مبادئ الاقتصاد الإسلامي**، دار طيبة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٨٩، الرياض.

١١- د. شوقي أحمد دنيا. **النظرية الاقتصادية في منظور إسلامي**، مكتبة الخريجي، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ١٣٦، الرياض.

١٢- د. خال عبد الرحمن أحمد، **التفكير الاقتصادي في الإسلام**، لم يكتب الطابع ولا تاريخ للطبع، ص ١٠٩.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

٧- الحوالات: ماهيتها واستعمالاتها في الحضارة العربية الإسلامية

• د. ماهر عبد الغني دعوب

المقدمة

إن الدارس للتاريخ الاقتصادي الإسلامي يجد أحيانًا من الصعوبة بمكان الولوج في بعض القضايا والأحداث التاريخية، نظرًا لما يكتنف كنهها من غموض. ذلك أن المصادر التاريخية الكبرى لم تفصِّل القول في الجوانب الاقتصادية للحدث بقدر ما تعرض وتسهب أحيانًا في عرضها السياسي والعسكري له، ولعل سر هذا الإحجام والسكوت مرده أن الكاتب والقارئ المتلقي لخطاب النص كان تركيزه منصباً على وصف الحدث من الجوانب التي تهمه.

ومن هنا عانى البحاث كثيراً في الحصول على مادة تعالج الجوانب الاقتصادية لحدث تاريخي معين. لذا كان لزاماً عليهم أن يلجوا كتب الأدب والجغرافيا، والرحلات، والفقه وغيرها للحصول على ما يخدم فكرة النص.

وعلى الرغم من وجود مصادر تاريخية اقتصادية ككتب الأموال، والخراج، والحسبة، وغيرها إلا أنها تركز على الجانب الفقهي والشرعي للنص الاقتصادي غير أننا نستطيع أن نستشف منها الروح التاريخية للنص.

ولعل من المواضيع التي بها نوع من عناء البحث موضوع **الحوالات ماهيتها واستعمالاتها في**

• مدير إدارة الثّقافة بديوان رئاسة الوزراء.
البريد الإلكتروني: *z_m_20042005@yahoo.com*

الحضارة العربية الإسلامية. ومن هنا تأتي مساهمة الباحث المتواضعة بغية تقديم مادة علمية يستأنس بها الطلاب المتخصصين ليوسعوها حسب فكرة الموضوع وبما تسعفه بهم المصادر الأصيلة من مادة مقتضبة، وبهذا يكون قد أضافوا جديداً للمكتبة التاريخية المتخصصة.

والله من وراء القصد

الحوالة لغةً: النقل، وشرعاً: نقل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه[١] وهي تعد من الوثائق المالية المستعملة في المعاملات، وقد أوضح ابن منظور[٢] معناها قائلاً: «يقال أحلت فلاناً بماله عليّ، وهو كذا درهماً على رجل عليه كذا درهماً»، وأشارت كتب الفقه إلى أنها مأخوذة من التحوّل والإنتقال من مكان إلى آخر حيث يستوجب «تحويل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال إليه على سبيل التوثيق»[٣]، قال ابن رشد القرطبي [٤] «والحوالة معاملة صحيحة مستثناة من الدين بالدين»، لقوله ﷺ (مطل الغني ظلم وإذا أحيل أحدكم على غني فليحتل) [٥] وعليه؛ فالحوالة: (دفع الدين من خلال تحويل حق المطالبة) [٦].

وقد خلط عدد من الباحثين المستشرقين[٧] بين مفهومي الحوالة والسفتجة، واعتبروهما شيئاً واحداً، فهما قد يتفقان في كونهما من أشكال أوراق الائتمان التجاري غير أنهما يختلفان في كيفية الإيفاء باللتزامات المالية الواردة في كل منهما.

---

(١) عبد الغني الغنيمي الميداني: **اللباب في شرح الكتاب**، تحقيق، محمد محي الدين عبدالحميد، دار السلام للطباعة، ط٤، ١٩٦١، جـ٢، ص١٦١.

(٢) ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٣م، جـ ١، مادة حول، ص ١٩٠.

(٣) السرخسي: **المبسوط**، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٢٤هـ، جـ ١٩، ص ١٦١، وانظر كذلك: النسفي: طلبة الطلبة، المطبعة العامرة، القاهرة، ١٣١١هـ، ص ١٤٠.

(٤) القرطبي: **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، القاهرة، د. ت، جـ٢، ص٢٢٤.

(٥) البخاري: صحيح البخاري، عالم الكتب، بيروت، د. ت، جـ٢، ص١٢٣.

(٦) إبراهام يودوفيتش: **حول مؤسسات الائتمان والأعمال المصرفية في الشرق الأدنى في القرون الوسطى**، (مجلة المسلم العاصر، العدد٤٣، بيروت، ١٩٨٤م)، ص ١٤٥.

(٧) انظر كلود كاهن: **تاريخ العرب والشعوب الإسلامية**، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص ١٦٠، وانظر أرشيبالد لويس: القوى التجارية والبحرية في البحر المتوسط، ترجمة أحمد عيسى، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٢٦٣.

ففي السفتجة يتم استيفاء المبلغ تبعاً للنقود المتداولة التي تصرف فيه، أما في الحوالة فيجب أن يُستوفى المبلغ تبعاً لنوعية النقد المحدد في المعاملة، أي أن الديون يجب أن تستوفى بعين النقد المدفوع، كما هي الحالة في الصكوك، وذلك خوفاً من الوقوع في الربا الحاصل أثناء تبادل أسعار العملات.

لقد استعملت الحوالات في مجالات مختلفة منها ما هو رسمي، ومنها ما هو غير رسمي. ففي المجال الرسمي؛ يذكر الطبري[٨]: أن كل ما كان يصرف على الجند الوافدين للعراق من خراسان بمعيّة قائدهم يتم من بيت مال ورثة ذي اليمينين طاهر بن الحسين، ويكتب بمبالغها إلى خراسان ليستقطع بعد ذلك من بيت مال العامة فيها. وذكر أبو شجاع[٩] في حوادث عام ٣٧٧هـ/٩٨٧م أن قوائم برواتب الجند والحاشية عرضت على شرف الدولة للموافقة على إطلاق صرفها «فوقع بمال لهم على الموصل وعمان «أي حوّلهم عليه ليستقطعوا منه رواتبهم.

وكان بيت المال يتعامل بالحوالات في تحصيل الخراج من أربابه، حيث ذكر الصابي[١٠] أنه في حالة عدم توفر المبالغ الكافية التي تغطي قيمة الضريبة المقررة عليهم يمكن لعمال الخراج أن «يقبلوا منهم الحوالات بأموالهم وأموال رجالهم على الجهات التي يكونون على الإستيفاء منها أقدر».

وقد استخدمت الحوالات في ميدان الصلة، فبأمر من الخليفة الوليد بن يزيد حرّرت حوالة إلى المغنّى «معبد» لكي «تحصّل له في بلده في المدينة»[١١]، وحوّالة صلة أخرى بمبلغ

(٨) انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة عز الدين، بيروت، ط٣ ١٩٩٢م، جـ ٩، ص ٣٩٩.

(٩) أبو شجاع: ذيل كتاب تجارب الأمم، تصحيح آمدروز، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د. ت، ص ١٣٨.

(١٠) الصابي: الوزراء، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج الآفاق العربية، مصر، ٢٠٠٣م، ص ١٣٧، ١٣٨.

(١١) الأصفهاني: الأغاني، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، وعلي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، جـ ١، ص ٦٥، ٦٦.

مائة ألف درهم أعطاها الخليفة المنصور إلى الشاعر «أبي نخيلة» أحاله بموجبها إلى الريّ لقبض مبلغها من هناك[١٢]، ويعد هذا الأمر مستغرباً من الخليفة المنصور الملقب لبخله بأبي الدوانيق.

وتستعمل الحوالات كذلك في الميدان التجاري، حيث أشار التنوخي[١٣] إلى أن الحسن بن سهل اشترى جارية بألف دينار من الفسطاطي التاجر، وكتب له حوّالة بمبلغها، كما استعملت الحوالات لبعث تبرعات اليهود المالية لإخوانهم جهابذة يهود بغداد لمؤازرتهم في تولي المناصب الرفيعة والمكانة الاجتماعية اللائقة عند سلطان العرب والإسلام[١٤]. ويذكر الباحث جين هيك في كتابه الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية[١٥] «أن جهابذة مصر في العصر الفاطمي قاموا بنشاطات تجارية من بينها القيام بحوالات مالية بالنيابة عن الزبائن»، وقد يكون قصد المؤلف بذلك السفاتج غير أنه لط بينهما.

وتستعمل الحوالات لتصفية الحسابات والإيفاء بالالتزامات بين مدينة وأخرى وبين قطر وآخر، إذ ورد ذكرها في وثائق الجنيزة كوسيلة لتسوية المعاملات المالية بين تاجر وآخر[١٦]، وهناك إشارة إلى مبلغ قدره مائة وخمسون ديناراً مغربيةً، قام أحد الأشخاص في بغداد بإيداعها لدى بعض البيوتات المالية ليقوم بمهمة تنظيم حوالة مالية بها إلى أحد البيوت المالية بالقاهرة[١٧]، ووثيقة أخرى تشير إلى أن أحد أثرياء التجار المغاربة كان يحول هباته وتبرعاته من مراكش إلى شركاء له في بغداد عن طريق حوالات أعدت لهذا

---

(١٢) انظر الصولي: أشعار أولاد الخلفاء، عنى بنشره ج. هيورث، دار المسيرة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩، ص ٣١٤.

(١٣) انظر التنوخي: الفرج بعد الشدة، وضع حواشيه، خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، جـ ٤، ص ٣٥٢.

(١٤) انظر موريس لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميد، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م، ص ٢٧٤.

(١٥) ترجمة د. محمود حداد، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، ٢٠٠٨، بيروت – لبنان، ص ٢٠٣.

(16) Goitein S. D: Mediterranean Society,Economic, Foundation, VOL,I, California, 1967, p,61.

(17) Ibid, I, P. 61.

الغرض.[١٨] وغالباً ما تستخدم الحوالة مع المضاربة، ويمكن للمستثمر المسلم أن يستعملها كآلية نقل دين بالإضافة إلى أداة توثيق دين بهدف تمكين وكيل من جمع قرض أحد مدينيه، ثم تخصيص العائدات فوراً لاستثمار مضاربة، وبالتالي ينشأ عقد دين ائتماني تجاري[١٩].

إن استعمال الحوالة في ميدان التعامل المالي قد انتقل من الشرق إلى الغرب، وقد أثبت الباحث جورج يعقوب[٢٠] ذلك حيث ذكر: «أن الحوالات المالية أول من عرفها العرب وعنهم عرفتها أوروبا في القرن العاشر عن طريقي أسبانيا وإيطاليا»، وقيل إن أصل الكلمة الفرنسية (avaliore) الشائعة في المصطلح التجاري إنما مشتقة من الحوالة العربية المعروفة بين التجار العرب[٢١]. واستخدمت أيضاً كوثيقة خدمة الهدف المزدوج لخطاب الاعتماد وشيك المسافر[٢٢]. وسرعان ماباتت عملية كأداة التسليف وكآلية لنقل المبالغ المالية[٢٣].

والحوالة شرعاً جائزة في الديون، وتصح برضا المحيل، والمحال عليه، والمحال عليه خلافاً لمالك الذي يقتصر على رضا المحال فقط دون المحال عليه[٢٤]، وإذا تمت الحوالة برئ المحيل من الدين، ولم يرجع المحال له على المحيل إلا أن يهلك أو يضيع حقه.

وإذا أبدى المقرض عدم رغبته في قبول الحوالة على شخص ثالث وذلك لعدم وثوقه به، فإن الفقه الإسلامي أيده في ذلك، غير أن فقهاء المذهب الحنفي كانوا سريعين في إيجاد الحيل الفقهية التي تبرئ ذمة المقترض من تحمل مسؤولية الدين، وذلك بوضع وكيل له يتصرف باسمه[٢٥].

---

(18) Ibid, Commercial and Family Partnerships,in The Countries of Medieval Islam, S. I. Vol. III, No. 3, 1904, P. 335.

(١٩) انظر جين هيك: الجذور العربية، مرجع سابق، ص ١٥١.

(٢٠) جورج يعقوب: أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى، ترجمة، فؤاد حسنين، القاهرة، ١٩٤٦، ص ٥٢.

(٢١) انظر كرافزر. ج: الجغرافية والتجارة، منشور ضمن كتاب تراث الإسلام، لبارتولد، ترجمة جرجيس فتح الله، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٦٢- ١٦٣.

(٢٢) انظر جين هيك: الجذور العربية، مرجع سابق، ص ٢٠١.

(٢٣) انظر المرجع نفسه، ص ٣٣١.

(٢٤) انظر القرطبي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جـ٢، ص١٦٠.

(٢٥) انظر الشيباني: المخارج في الحيل، نشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٩م، ص٨١.

ويوضح الفقيه الشيباني أن الوكيل التجاري، يستطيع أن يستخدم شرعياً هذه الوثيقة لأنها كانت جزءاً من الممارسة العملية التقليدية[٢٦]، كما يبدو أنها كانت أداة فاعلة للغاية من أجل تسهيل تدفق الرساميل في العمليات التجارية الدولية[٢٧].

ويرى بعض فقهاء الإسلام أن التعامل بـ «الحوالات» ممنوع شرعاً، حيث وقفوا منها موقفاً حازماً، واعتبروها نوعاً من الربا - إذا اختلفا في القدر والصفة[[٢٨]]- وقد نهوا التجار عن التعامل بها[٢٩]. غير أن لهذا الرأي العديد من الحيل الفقهية التي تجوزه بإعتبارها خدمة تقدم للطرفين[٣٠].

إن استخدام التجار للحوالات مكنهم من ألا يقعوا تحت الدين في أي مكان يزاولون تجاراتهم، فنجدهم سرعان ما يتعهدون بتسديد هذا الدين في مكان آخر وبتاريخ لاحق. ففي حوالة وقعت عام ٥٥٢ هـ/١٥٥٧م استدان على سبيل المثال تاجر من جنوى عشر ليرات جنوية ووعد بأن يعيدها بالكامل في تونس. كما وعد يهودي اسمه سليمان ساليرنوني عقد حوالة بأن يسدد دينه في الإسكندرية وهو دين مقابل نقود وسلع حصل عليها في الإسكندرية.[٣١]

---

(٢٦) نفس المصدر والصفحة.

(٢٧) انظر جين هيك: المرجع السابق ، ص ١٥١

(٢٨) اشترط الفقهاء في جواز استعمال الحوالة ثلاثة شروط:

١- أن يكون الدين المحال عليه حالاً، أي واجب القضاء، لأنه إن لم يكن حالاً كان ديناً بدين.

٢- أن يكون الدين الذي يحيله به مثل الدين الذي يحيله عليه في القدر والصفة، لأنه إذا اختلف في أحدهما كان بيعاً، ولم يكن حوالة فخرج من باب الرخصة إلى باب البيع، وإذا خرج إلى باب البيع دخله الدين بالدين. انظر ابن رشد القرطبي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جـ٢، ص٢٢٤.

٣- ألا يكون الدين طعاماً، فلا تجوز عليه الحوالة.

(٢٩) انظر الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف، محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م، جـ ٦ ص ٢١٢، ٢١٣، وانظر كذلك: د. إبراهيم بوتشيش: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٠٧.

(٣٠) انظر الشيباني: المخارج في الحيل، ص ٢١٩.

(٣١) راجع: FF: J. w. the mpsonand E. N. Johnson 1937. p. 173.

وهكذا بات واضحاً بأن الجهابذة والصيارفة في العصور الإسلامية الوسطى قد طوروا من عملياتهم المصرفية لخدمة التجارة ورجال الأعمال والعملية الاقتصادية برمتها. وقد أدى ذلك إلى ظهور طبقة ليس لها اشتغال إلا بشؤون المال فقد اكتسبوا ثقة الناس في التعامل، فكان الناس يودعون أموالهم من الذهب والفضة عندهم مقابل وثيقة يثبت فيها ما تسلموه من مال، ثم تطور الأمر فأصبح الناس يتعاملون بهذه الوثائق في البيوع ووفاء الديون وتصفية الحسابات[٣٢].

وقام الماليون في ذلك العصر مقام البنوك فبجانب مهمة الإيداع قاموا بتحويل العملات المختلفة إلى العملة الموحدة ونقل الأموال من مكان إلى آخر نظير أجر يدفع سنوياً.[٣٣] ولما كان الإسلام قد حرم الربا، فإن الصيارفة المسلمين كانوا يجمعون بين الصيرفة والتجارة، فصاروا يبيعون ما لديهم من بضائع وسلع بسعر أعلى بكثير من سعر السوق ويكون الدفع مؤجلاً «البيع بالآجل»[٣٤]. وقد اشتهرت الكوفة وبغداد، والمدائن، والقاهرة، والبصرة، وبخاري، بذلك.[٣٥]

لقد كانت الحوالة تتم دائماً في شكل التزام كتابي، فكانت تعد من أهم أشكال أوراق الائتمان التجاري في الشرق الأدنى في القرون الوسطى[٣٦]. وحلت محل الدفع نقداً.[٣٧]

(٣٢) مصطفى الهمشري: الأعمال المصرفية والإسلام، دار السلام - القاهرة، ط ١، ١٩٩٩ م، ص ٢١-٢٢.
(٣٣) المرجع نفسه، ص ٢٢-٢٣.
(٣٤) الزبيدي: العراق في العصر البويهي، مطابع بغداد، ط١، ١٩٩٤، ص ٢٠٥.
(35) Lewis; B: the Islamic Gold (In the Economic hchitory, review, New york 1959, p. 112.
(٣٦) انظر إبراهام يودوفيتش: حول مؤسسات الإئتمان والأعمال المصرفية في الشرق الأدنى في القرون الوسطى، ص ١٤٥.
(٣٧) راجع المخطوطة
Taylor – sche cter collection university library cambridge England. no ats Ns J 273.

المصـادر

١- أبو شجاع: ذيل كتاب تجارب الأمم، تصحيح آمدروز، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د. ت.

٢- الأصفهاني: الأغاني، تحقيق عبد الكريم الغرباوي، وعلي ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

٣- البخاري: صحيح البخاري، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

٤- التنوخي: الفرج بعد الشدة، وضع حواشيه، خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٥- السرخسي: المبسوط، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٢٤هـ.

٦- الشيباني: المخارج في الحيل، نشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٩٩٩م.

٧- الصابي: الوزراء، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج الآفاق العربية، مصر، ٢٠٠٣م.

٨- الصولي: أشعار أولاد الخلفاء، عنى بنشره ج. هيورث، دار المسيرة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٩.

٩- الطبري: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة عز الدين، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

١٠- عبد الغني الميداني: اللباب في شرح الكتاب، تحقيق، محمد محي الدين عبدالحميد، دار السلام للطباعة، ط٤، ١٩٦١م.

١١- القرطبي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاهرة، د. ت.

١٢- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٣م.

١٣- النسفي: طلبة الطلبة، المطبعة العامرة، القاهرة، ١٣١١هـ.

١٤- الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف، محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م.

المـراجـع

١- إبراهيم بوتشيش: **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٢ م.

٢- أرشيبالد لويس: **القوى التجارية والبحرية في البحر المتوسط**، ترجمة أحمد عيسى، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣- جورج يعقوب: **أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى**، ترجمة، فؤاد حسنين، القاهرة، ١٩٤٦م.

٤- جين هيك: **الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية**، ترجمة د. محمود حداد، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠٠٨، بيروت – لبنان.

٥- كرافزر. ج: **الجغرافية والتجارة**، منشور ضمن كتاب تراث الإسلام، لبارتولد، ترجمة جرجيس فتح الله، بيروت، ١٩٧٨م.

٦- كلود كاهن: **تاريخ العرب والشعوب الإسلامية** ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٧- مصطفى الهمشري: **الأعمال المصرفية والإسلام**، دار السلام – القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م.

٨- موريس لومبارد: **الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى**، ترجمة عبد الرحمن حميد، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.

الـدوريـات

- إبراهام يودوفيتش: حول مؤسسات الائتمان والأعمال المصرفية في الشرق الأدنى في القرون الوسطى، (مجلة **المسلم العاصر**، العدد٤٣، بيروت، ١٩٨٤م).

المـراجع الأجنبية

1- FF: J. w. the mpsonand E. N. Johnson 1937.

2- Goitein S. D: Mediterranean Society,Economic, Foundation, VOL,I, California, 1967.

3- Goitein S. D: Commercial and Family Partnerships, in The Countries of Medieval Islam, S. I. 1904.

4 - Lewis; B: the Islamic Gold (In the Economic hchitory, review, New york 1959.

5- Taylor – sche cter collection university library cambridge England. no ats Ns J 273.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

٨- آداب الطلاق من خلال سورة الطلاق
دراسة موضوعية قرآنية

• د. نورة عبدالله عبد العزيز الورثان

إن النكاح مما فطرت عليه النفوس فأباحه الله تعالى وشدد على حفظه ووصفه بالميثاق العظيم، وخلق المودة والرحمة بين الزوجين وصيانة له حتى بعد إنهاء العلاقة وضع الله سبحانه ضوابط وأحكام وآداب تتعلق به عند حل ميثاقه بالطلاق والفرقة بين الزوجين.

لكن يغفل كثير من الناس عن تلك الآداب والأحكام وذلك لأن الطلاق أمر حادث لم يكن في الحسبان على العلاقة الصحيحة الزوجية، مما ينتج عن الجهل بها آثار خطيرة تؤثر على ما بعد الزواج على الطرفين والأولاد.

ومن هنا جاء هذا البحث لوضع الآداب في أسطر لتكون للعيان واضحة، وأسميت البحث.

«آداب الطلاق» من سورة الطلاق دراسة موضوعية قرآنية

خطة البحث على النحو الآتي:

التعريف بالطلاق: • حكمه ومقاصده • الطلاق بيد الرجل • لمحة موجزة عن سورة الطلاق • المعنى الإجمالي للآيات (١-٣) • آداب الطلاق وحكمه • التوصيات.

• أستاذ القرآن وعلومه المشارك، جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن.
البريد الإلكتروني: *n-war-t@hotmail.com*

معنى الطلاق

لغة: التخلية، يقال: طلقت الناقة إذاً سرحتها حيث شاءت والإطلاق الإرسال[١]

وشرعاً: حل قيد النكاح أو بعضه.[٢]

حكم الطلاق ومقصده

أباح الله الطلاق قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾

قال ابن عاشور: تدل الآية على إباحة التطليق بدلالة الإشارة لأن القرآن لا يقدر فعل محرم من دون أن يبين منعه.[٣]

وقد شرع الله الطلاق عند الضرورة كاستحالة الحياة الزوجية بعد استنفاذ الحلول، للبقاء على الزوجية، من أهل الخير والحكمين، وعند تنافر الطباع المؤدي إلى انعدام ما قامت عليه الحياة الزوجية من المودة والمحبة، كان الطلاق للخلاص من ذلك.

الطلاق بيد الرجل

لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾

ولقوله ﷺ (إنما الطلاق لمن أخذ بالساق) ومعناه..

كما أن الضمائر كلها التي جاءت في سورة الطلاق عند قوله «طلقتم» و«أحصوا العدة» و«لاتخرجوهن» على الصحيح من القول أنها ترجع للأزواج. [٤]

لمحة موجزة عن سورة الطلاق

تسمى بسورة الطلاق لأن آياتها تدور معظمها حول أحكام الطلاق ومايترتب عليها ومايتعلق به وهي مدنية بقول الجميع قاله القرطبي، وعدد آياتها اثنتا عشرة آية[٥]

---

(١) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، لعبدالرحمن بن محمد النجدي، ٤٨٢/٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٩٥/٢٨.

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مجموعة، ٢٢٦/٨.

(٥) الجامع لاحكام القرآن ١٤٧/١٨.

المعنى الإجمالي للآيات (١-٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً * فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والحكم عام له ولأمته وخص هو بالنداء ﷺ تعظيماً له، فهو نداء على سبيل التكريم والتعظيم. ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي فطلقوهن مستقبلات لعدتهن، وذلك في الطهر، ولا تطلقوهن في الحيض ،قال مجاهد:أي طاهرا من غير جماع. ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أي اضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء كاملة لئلا تختلط الأنساب ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي خافوا الله رب العالمين بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ أي لا تخرجوهن من مساكنهن، بعد فراقكم لهن إلى أن تنقضي عدتهن.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ أي ولا يخرجن من البيوت حتى تنقضي عدتهن، إلا إذا قارفت المطلقة عملا قبيحا كالزنى أو السرقة أو البذاءة على الأحماء.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي وهذه الأحكام هي شرائع الله ومحارمه».

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أي ومن يخرج عن هذه الأحكام، ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأتمر بها فقد ظلم نفسه بتعرضها للعقاب، وأضر بها حيث فوت على نفسه إمكان إرجاع زوجته إليه.

لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً «أي لاتعرف أيها السامع ماذا يحدث الله بعد ذلك الطلاق من الأمر؟ فلعل الله يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها.

﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي فإذا شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي فراجعوهن إلى عصمة النكاح مع الإحسان في صحبتهن كما أمر الله، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن أنفسهن.

قال المفسرون: الإمساك بالمعروف وهو إحسان العشرة وتوفية النفقة، من غير قصد المضارة في الرجعة لتطول عليها العدة، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق، والمتعة عند الطلاق، والوفاء بالشروط مع توفية جميع حقوقها».

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أي وأشهدوا عند الطلاق أو الرجعة، شخصين من أهل العدالة والاستقامة ممن تثقون في دينهما وأمانتهما. ﴿وأَقِيمُوا الشَّهادةَ لله﴾ أي اشهدوا بالحق دون تحيز لأحد، خالصا لوجه الله تعالى من غير تبديل ولا تغير. ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ أي هذا الذي شرعناه من الأحكام، وإنما ينتفع ويتعظ به المؤمن الذي يخشى الله، ويخاف الحساب والعقاب في الدار الآخرة«.

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ أي من يراقب الله ويقف عند حدوده، يجعل له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي يرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يعلمه. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ «من فوض اليه أمره كفاه ما أهمه، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل لأنه مأموربه ولكن لايعتمد على تلك الأسباب ويدع التوكل فالله تعالى حسبه وكافيه».

﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ أي نافذ أمره في جميع خلقه، يبلغ مايريد ولا يعجزه شي. [٦]

آداب وحكم

(٦) انظر زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ٨: ٣٨-٤١، التفسير الموضوعي، ٨: ٢١٧-٢٢٥، تفسير آيات الحكام، محمد الصابوني ٢: ٥٩٠.

من الآداب التي تقتضي على الرجل مراعاتها عند إحلال الطلاق:

• أن يطلق تطليقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه. لقوله تعالى ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾. أي طلقوهن مستقبلات لعدتهن وذلك في الطهر ولا تطلقوهن في الحيض وفي طهر لم يجامعها فيه. (7)

قال مجاهد: أي أطاهر من غير جماع. (٨)

ويوضح هذا المعنى حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن ذلك فقال رسول الله ﷺ: «مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء». (٩)

وعن عبدالله بن مسعود قال: طلاق السنة أن يطلقها في كل طهر تطليقة فإذا كان آخر ذلك فتلك العدة التي أمر الله بها (١٠). ومثله قال أبو حنيفة. (١١)

ولقوله ﷺ «أقبل الحديقة وطلقها تطليقة». (١٢)

حكم

والحكمة من التطليقة الواحدة ليتمكن من المراجعة.

وأما الطلاق في طهر غير جماع لئلا تطول عليها العدة فتضرر، ولأن حال الحيض قد تكون سبباً في نفور الزوج فيتسرع في طلاقها بخلاف ما إذا كانت طاهراً،

(٧) التفسير الموضوعي، ٢١٩/٨.
(٨) المرجع السابق.
(٩) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب **إذا طلقت الحائض**، ح٤٩٥٣.
(١٠) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٥١/١٩.
(١١) المرجع السابق.
(١٢) أخرجه البخاري في صحيحه.

فلعل الروية حتى تطهر اتباعاً للسنة، قد ينقشع عن الزوج غبار الهجر والخصام فيعود إلى الود والوئام.[١٣]

- أن يبقي المرأة في البيت ولا يجوز له إخراجها، قال القرطبي: «ليس للزوج أن يخرجها من مسكن النكاح مادامت في العدة، ولا يجوز لها الخروج أيضاً لحق الزوج إلا لضرورة ظاهرة الآية تبين في تحريم الإخراج والخروج إنما هو في الرجعة».[١٤]

حكم

ومن حكم مراعاة هذا الأدب صيانة ماء الرجل، وإتاحة الفرصة للمراجعة، قال سيد قطب: «والحكمة من إبقاء المطلقة في بيت الزوج هي إتاحة الفرصة للرجعة، واستثارة عواطف المودة.. حيث تكون الزوجة بعيدة بحكم الطلاق قريبة من العين فيفعل هذا في المشاعر فعله بين الاثنين...»[١٥]

- أن يبقي بمعروف أو يسرح باحسان عند اقتراب انتهاء العدة، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

فإذا شارفت المطلقة المعتدة على انقضاء عدتها وقاربت ذلك فللزوج الخيار إن شاء أن يمسكها بمعروف أي يرجعها إلى عصمة النكاح، فيحسن عشرتها ويوفي حقها في النفقة من غير قصد المضارة في الرجعة لتطول العدة، أو يسرحها بمعروف وهو أن يؤدي الصداق والمتعة عند الطلاق والوفاء بالشروط مع توفية جميع حقوقها.[١٦]

---

(١٣) التفسير الموضوعي، ٨/٢٢٠.
(١٤) الجامع لأحكام القرآن، ١٩/ ١٥٥.
(١٥) في ظلال القرآن ٦/٣٦٠٥.
(١٦) التفسير الموضوعي، ٨/٢٢٣.

حكم

في الإبقاء بالمعروف إصلاح للحياة الزوجية وعودة المياه إلى مجاريها، وفي إخلاء سراحها بمعروف دون الإضرار وإقامة الحق وأداؤه للمرأة مراعاة للعشرة والفضل الذي كان بينهم وسل سخيمة الكره عند حدوث الطلاق وإبقاء للإخوة الإيمانية التي تقتضي عدم الإذاء، وأداء الحقوق دون الإضرار.

- أن يشهد حين الطلاق وحين الرجعة: لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ أي وأشهدوا عند الطلاق أو الرجعة شخصين من أهل العدالة والاستقامة ممن تثقون في دينهما وأمانتهما والإشهاد ليس شرطاً لصحة الفراق بل هو مندوب.[١٧]

حكم

كما قال الجصاص: «احتياطاً لهما ونفياً للتهمة عنهما إذا علم الطلاق ولم يعلم الرجعة أو لم يعلم الطلاق والفراق فلا يؤمن التجاحد بينهما»[١٨]

- أن يصون سر مطلقته ويحفظه

لقوله ﷺ «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه»[١٩]

- على المطلق تقوى الله والوقوف عند حدوده سبحانه لتكون له عاقبة حميدة.

قال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ*وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

فقد بينت الآية جزاء لمن كان مؤمناً بالله واليوم الآخر وقافاً عند حدوده من مطلق وغيره أنه سيكون له:

---

(١٧) التفسير الموضوعي، ٨/٢٢٤.

(١٨) أحكام القرآن.

(١٩) رواه مسلم.

١. مخرجاً من الضيق في الدنيا والآخرة.

٢. رزقاً من حيث لا يقدر ولا ينتظر.

٣. يكفيه الهم.

قال صاحب الظلال عند قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ مخرجاً من الضيق في الدنيا والآخرة ورزقاً من حيث لا يقدر ولا ينتظر وهو تقرير عام وحقيقة دائمة ولكن إلصاقها هنا بأحكام الطلاق يوحي بدقة انطباقها وتحققها عندما يتقي المتقون ربهم في هذا الشأن بصفة خاصة وهو الشأن الذي لا ضابط فيه أحس ولا أدق من ضابط الشعور والضمير فالتلاعب فيه مجال واسع، لايقف دونه إلا تقوى الله وحساسية الضمير». [٢٠]

التوصيات

لغياب الوعي أو لغفلة الكثير عند الطلاق عن تلك الآداب فأوصي بأن تكتب تلك الآداب مدرجة ضمن وثيقة عقد النكاح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(٢٠) في ظلال القرآن ٦/٣٦٠٨

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

٩- التعليم المستمر في مجتمع المعرفة: رؤية تأصيلية إسلامية في أسسه ومنظومته القيمية

• د. طالب بن صالح حسن العطاس

الملخص

أحدثت الثورة الكبيرة في نظم الاتصالات والمعلومات طفرة معلوماتية في ميدان التربية والتعليم بصفة عامة مما أدى إلى ظهور ما يُعرف بالتعليم المستمر، وظهور المجتمعات المعرفية؛ لذا هدفت الدراسة الحالية إلى تأصيل أسس التعليم المستمر في مجتمع المعرفة، وبيان المنظومة القيمية للتعليم المستمر في مجتمع المعرفة من منظور التربية الإسلامية، لمسايرة المستجدات التقنية والثورة المعلوماتية في بناء مجتمع المعرفة وتأصيله بالمنهج التربوي الإسلامي. وخلصت الدراسة إلى أن الرؤية التأصيلية الإسلامية لأسس التعليم المستمر في مجتمع المعرفة لا بد أن تشمل أسسها التاريخية، والفطرية، والدينية، والمعرفية، والحضارية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتربوية، كما خلصت الدراسة إلى أن صلاح المنظومة القيمية للتعليم المستمر في المجتمع المعرفي من منظور التربية الإسلامية لا بد أن ترتكز على صلاح المتعلم في ذاته، وصلاح النمط التطبيقي الأخلاقي بين المتعلمين.

• أستاذ أصول التربية الإسلامية المساعد، كلية التربية – جامعة الملك عبد العزيز/السعودية.

Continuous learning and knowledge societies are the most Prominent features of this revolution

Abstract

Recently, the informatics revolution has resulted in educational boom. Continuous learning and knowledge societies are the most prominent features of this revolution. Therefore, the present study has aimed to give a firm foundation for the principles and values of continuous learning in a knowledge society. Beside, to show the possible values that can be obtained from continuous learning in a knowledge society from Islamic prospective. This will help us to go in harmony with the new informatics revolution. The current study showed that, from an Islamic prospective, the historical, innate, religious, cognitive, civil, social, economic and educational background should be involved in the recent informatics revolution. In addition, the validity of those values is based on the well-prepared and well-trained teachers along with good character among them.

مقدمة

شهدت السنوات الأخيرة تقدماً تربوياً، وطفرةً تقنيةً وثورةً معلوماتيةً مما جعل المتغيرات متسارعة في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتربوية والتعليمية، ولقد تضافرت هذه المتغيرات وبخاصةٍ في نظم الاتصالات والمعلومات وأثّرت في ميدان التربية والتعليم بصفة عامة، وكان من نتائج ذلك ظهور بيئات ومجتمعات افتراضية تنامتْ بشكلٍ ملفتٍ إضافة إلى بروز ما يُعرف بالتعليم المستمر والتعليم مدى الحياة، وظهور المجتمعات المعرفية والمجتمعات المعلوماتية، وإذا كان هذا الواقع أصبح جلياً في عصرنا الحاضر، فمن باب واجب الوقت ومواكبة المتغيرات، ومواجهة تحديات العولمة وانعكاساتها في جميع جوانب الحياة، يلزم أن نأخذ بزمام المبادرة في تأصيل مناهجنا وبرامجنا وأساليبنا التربوية والتعليمية عموماً وفي التعليم المستمر خصوصاً، لأنّ إمتلاك ناصية المجتمعات المعرفية يأتي من خلال فهم الكليات والأسس، وهذا يؤهلنا لبسط تميزنا، والرقي بمجتمعنا في جميع جوانب الحياة، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث

برؤية تأصيلية في أسس التعليم المستمر ومنظومته القيمية في مجتمع المعرفة لمسايرة المستجدات التقنية والثورة المعلوماتية، ولتعزيز هويتنا التي نحن بحاجةٍ ماسةٍ لغرسها وتأكيدها في مجتمعنا المعرفي الذي تخطى الحدود الجغرافية وأصبحت المعلومات والمعارف لا جنسية لها؛ لذا فإن الساسة والتربويين يستشعرون الأهمية الاستراتيجية في التفكير في بناء مجتمع المعرفة وتأصيله بالمنهج التربوي الإسلامي الذي له القدرة على مواكبة العلوم والتقنيات الحديثة.

إن تأصيل التعليم المستمر في مجتمع المعرفة يضمن بإذن الله المحافظة على خصوصيتنا الثقافية بين مختلف شرائح المجتمعات، فهي أي خصوصيتنا الثقافية مصدر التنوع والثراء في الحضارة الإنسانية؛ من أجل ذلك يهمنا أن نكون مشاركين بفاعلية عالية ولدى أفراد مجتمعنا استمرارية ودافعية للتعلم حتى نَتَبوأ مكانة مرموقة في العالمين.

أهداف البحث

١. بيان مفهوميّ التعليم المستمر ومجتمع المعرفة.
٢. التعرف على الرؤية التأصيلية الإسلامية لأسس التعليم المستمر في مجتمع المعرفة.
٣. بيان المنظومة القيمية للتعليم المستمر في مجتمع المعرفة من منظور التربية الإسلامية.

أهمية البحث

١. يطمح الباحث أن يضيف إضافة جديدة ومساهمة بنّاءة في التعليم المستمر في المجتمعات المعرفية.
٢. يمكن الاستفادة من البحث في التطبيقات التربوية والتعليمية لبرامج التعليم المستمر في مؤسسات التعليم المستمر.
٣. تعزيز وتفعيل أسس التعليم المستمر ومنظومته القيمية في مؤسسات التعليم المستمر.
٤. قد يضيف هذا البحث معرفةً جديدةً في التأصيل التربوي للتعليم المستمر.

أسئلة البحث

السؤال الرئيسي للبحث: ما الرؤية التأصيلية الإسلامية لأسس التعليم المستمر في مجتمع المعرفة وما منظومته القيمية؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم التعليم المستمر؟

٢. ما مفهوم مجتمع المعرفة؟

٣. ما الرؤية التأصيلية الإسلامية لأسس التعليم المستمر في مجتمع المعرفة؟

٤. ما المنظومة القيمية للتعليم المستمر في مجتمع المعرفة من منظور التربية الإسلامية؟

مصطلحات البحث

١- **التعليم المستمر:** يعرفه الباحث بأنه «التعليم الذي يحقق أقصى نمو ممكن في حياة الفرد الشخصية والاجتماعية والمهنية والسلوكية والفكرية والثقافية.. ويتسم بنظرته الشاملة لجوانب التربية الفردية والاجتماعية، وهو متنوع ومتعدد الوسائل والأدوات، ويسهم في التنمية المجتمعية».

٢- **أسس التعليم المستمر:**

في اللغة: الأسُّ والأسس والأساس: كل مبتدأ شيء، والأسُّ والأساس: أصل البناء، وأس الإنسان: قلبه لأنه أول متكون في الرحم، وهو من الأسماء المشتركة، وأس البناء: مبتدؤه، قال الليث: أسست داراً إذا بنيت حدودها ورفعت من قواعدها، وهذا تأسيس حسن، وأس الإنسان أصله، وقيل: وهو أصل كل شيء.
(ابن منظور، ١٤٢٣هـ، ١/ ١٤٩)

وبالنظر إلى المعنى اللغوي يتبين أن مفهوم أسس التعليم المستمر في هذا المبحث هو: الأصول والقواعد والكليات التي يرتكز عليها ديمومته وتعطيه قوة حيوية يسهم المجتمع والأفراد في انبعاثها.

٣- **المجتمع المعرفي:** يعرّفه الباحث بأنه «المجتمع المتسم بمنظومة ونظام قادرعلى إنتاج المعرفة ونشرها والوصول إلى مظانها عبر برامج ووسائط وصيغ وأنماط متعددة ومتنوعة، واستثمارها بما يعود على الإنسانية بالنماء والرقي والإبداع والتجديد»

أولاً: الإطار النظري (المفهوم والعلاقة)

◄ مفهوم التعليم المستمر والمفاهيم ذات العلاقة

تعددت التعريفات والرؤى عن التعليم المستمر، وتظهر اشكالية المصطلحات المستخدمة في مجال التعليم المستمر من كثرتها، فقد شهدت أدبيات التربية والتعليم العديد من المصطلحات في مجال التعليم المستمر، حيث أشارت الأبحاث والدراسات المعاصرة إلى عدد منها والتي يرتبط بالتعليم المستمر جزئياً أو كلياً، ومثال ذلك: التعلم الذاتي، والتربية الذاتية، والتعليم مدى الحياة، والتعليم الممتد، وتعليم الكبار، والتعليم المتقدم، وغيرها من المصطلحات ذات العلاقة، وقد جاء اختلاف المصطلحات وتنوعها تبعاً لعدة عوامل منها:

- ♦ عوامل الزمان والمكان التي تخص أسلوب التعلم والتعليم.
- ♦ المنطلقات الفلسفية والثقافية والفكرية المتعلقة بمفهومي التعلم والتعليم.
- ♦ أدبيات الفكر التربوي لدى إدارة المؤسسات التعليمية والتي تختار بدورها المصطلح الملائم لها حسب توجهها، وحسب طبيعة النظام التعليمي وفلسفته وتطبيقاته في كل مؤسساته التعليمية وفي كل دولة.

ويهمنا في هذا المحور أن نسلط الضوء على مفهوم التعليم المستمر بصورة موجزة، ومن ذلك ما أشار إليه نور الدين عبدالجواد حول المفهوم على أنه أضحى «نظاماً متكاملاً يتيح فرصاً تعليمية تمتد لتغطي حياة الفرد بكاملها، فهو مفهوم شامل يضم فرص التعليم العام والفني، النظامي وغير النظامي، بهدف تمكين الفرد من تحقيق ذاته وإثراء حياته» (عبدالجواد، ١٤١٤هـ، ص ١٦)، ونقل محمود قمبر مفهوم (Pierre Arents) للتعليم المستمر والذي يحدده ويحصر مهامه في:

١. الاحتفاظ بمكتسبات التعليم النظامي الذي تقدمه المدارس والجامعات.
٢. مواصلة وتعميق الأنشطة التربوية خارج دائرة الإعداد المهني لتنمية قدرات الشباب فيزيقياً وعقلياً وفنياً حتى يصلوا إلى حالة النضج التام.
٣. إعادة تأهيل وتطوير الكفاءات والقدرات الخاصة بالأفراد في مراحل حياتهم

المختلفة بما يرتفع بهم إلى مستوى مناسب من الجودة والإتقان والتفوق في عملهم.

٤. تجديد المعارف وتنمية ملكة الفهم وإدراك المشكلات الخاصة بالأمة والعالم.

٥. إتاحة فرص الإفادة من كنوز التراث الحضاري المتجدد على الدوام. (نوفمبر، ٥-١٤ هـ، ص ٢٧).

وخرج عبدالجواد من خلال بحثه الذي تعرض لفلسفة التعليم المستمر وأصوله بالملحوظات التالية:

١. يشمل مصطلح التعليم المستمر معاني عدة؛ ففي بعض الأحيان يقصد به التدريب المهني، أو إعادة تدريب المشتغلين بالمهن المختلفة.

٢. يختلط مفهوم التعليم المستمر في بعض الأحيان بمفهوم تعليم الكبار.

٣. يعكس التعليم المستمر فكرة معقدة يصعب تبسيطها، وإن كان من الممكن تعريفه بأنه عملية تستمر طيلة الحياة.

٤. يمكن تعريف المصطلح أيضاً بأنه نشاط تربوي تقدمه المؤسسات، بهدف الحصول على درجات علمية.

٥. يمكن تعريف المصطلح بأنه تقديم فرص تعليمية للكبار في المجالات المهنية والإدارية التنفيذية لتنميتهم مهنياً، ولإحاطتهم بأحدث التطورات في مجالاتهم.

٦. يمكن تعريف مصطلح التعليم المستمر بأنه جميع الفرص التعليمية التي تتم في المنزل والمدرسة والمجتمع، وفي كل بيئة تحيط بالإنسان.

٧. استخدم مجموعة من الكتّاب الغربيين تعبير التعليم المستمر منذ عام ١٩٦٩م، وأدخلوه إلى عالم التربية.

٨. بدأ المفهوم منذ ١٩٧٢م يستخدم بمعنى الاستمرار المنظم في التعلم مدى الحياة، وصدر في هذه الفترة تقرير توصية اليونسكو بأن التعليم المستمر سيكون هو المبدأ الذي يوجه التجديد التربوي مستقبلا في كل الدول المتقدمة والنامية، مما كان باعثاً على سعة انتشار فكرة هذا النوع من التعليم. (عبدالجواد، ١٤٠٣هـ، ص١٩)

وانتهى السالم بأن التعليم المستمر «يشمل جميع الفرص التعليمية الرسمية وغير

الرسمية المتاحة للفرد والتي تساعده على تنمية مهنته، وتشمل تلك الفرص المكتبات بأنواعها ومراكز المعلومات، والتعليم بالمراسلة، والاحتكاك بالنوادي الثقافية والجمعيات العلمية، وحضور الندوات واللقاءات، واستغلال وسائل الاتصال والإعلام، وغيرها، وكل ما يستخدمه الإنسان منذ طفولته وحتى شيخوخته، ومما يميز التعليم المستمر شموليته لجميع الطرق التربوية، ولجميع وسائل التعليم وأدواته، ولجميع الفرص التعليمية الرسمية، وغير الرسمية التي تساعد الفرد على أن ينمو ذاتياً واجتماعياً ومهنياً»(السالم، ١٤١٩هـ، ص٥٢)

مما سبق يتضح أن التعليم المستمر يثير لدينا تساؤلات عدة، ومن الأهمية بمكان استيعاب هذه التساؤلات والإجابة عليها، حتى يحسن التخطيط للمشروعات والبرامج لتحقق غايته التنموية المنشودة.

مفاهيم ذات علاقة بالتعليم المستمر

توجد مفاهيم ذات علاقة قوية بالتعليم المستمر، ومن ذلك على سبيل المثال: التعلم الذاتي أو التربية الذاتية، والذي حظي في السنوات الأخيرة باهتمام واسع من قبل الساسة ورجال التربية والتعليم والباحثين؛ لما له من أثر بالغ في العملية التعليمية، وفي مقومات المجتمع المعرفي، وقد وضّح أحد الباحثين مفهوم التربية الذاتية بأنها «سعي الإنسان لتحقيق ذاته سواء كان معرفياً أو اجتماعياً، وأن هذا السعي لا بد وأن يستند إلى مفهوم واضح للذات ووعي بإمكانات البيئة في المقابل، ورغبة في التغيير للأفضل» (عبدالعاطي، ١٤٣١هـ، ص ٣٥)، ويمكن أن يعرّفها الباحث بأنها: «جهد الفرد في الارتقاء بنفسه في جميع جوانبها لبلوغها حدّ الكمال الإنساني «أو بعبارة أخرى» تربية الفرد نفسه وتوجيهها وجهة سليمة بما يوافق الغاية التي من أجلها أوجده الله ﷻ».

العلاقة بين التعليم المستمر والتربية الذاتية

يتضح مما سبق أن التربية الذاتية جهد فردي، بدافعية ذاتية؛ بينما التعليم المستمر عبارة عن برامج وأنشطة ووسائل وصيغ تقوم به المؤسسات التعليمية النظامية وغير النظامية لإيجاد بيئة تعليمية معرفية ميسرة للفرد، وهذا يعني أن التعليم المستمر جهد خارج الكيان الإنساني بينما التربية الذاتية جهد نابع من دافعية الفرد للتعلم، إذن التربية الذاتية والتعليم المستمر مصطلحان متكاملان محصلتهما الارتقاء بالفرد في جميع جوانبه النفسية والمهنية والمعرفية والتربوية والفكرية والاجتماعية والمهارية.. إلخ

العلاقة بين التعليم المستمر والتربية المستمرة

إن مفهوم التربية المستمرة هو أكبر وأكثر اتساعاً وشمولاً من مفهوم التعليم المستمر، فالتربية المستمرة «مفهوم يتضمن الإعداد الشامل للإنسان طبقاً لمسلك تربوي يستمر طوال حياته، ويستدعي نظاماً كاملاً تنسق به كل أنواع التربية، ويقدم الوسائل المناسبة التي تستجيب لتطلعات كل فرد التربوية والثقافية والمهنية بالشكل الذي يتوافق مع قدراته» (عامر، ٢٠٠٧م، ص ١٩)، فاختلاف المصطلحين طبقا لاختلاف مصطلحي التربية والتعليم، فالأول يعني عملية فردية اجتماعية كبيرة تستهدف بناء الإنسان وفق قيم ومعتقدات المجتمع المنتمي إليه، والمصطلح الثاني ويقصد منه نقل المعلومات والمعارف في صورة منظمة أو غير منظمة ومباشرة أو غير مباشرة.

◀ مفهوم المجتمع المعرفي والمفاهيم ذات العلاقة

جاءت المتغيرات متسارعة مما مهد لظهور مجتمع جديد عرف بـ «مجتمع المعرفة» ويطلق عليه أحياناً بـ «مجتمع المعلومات»، ومصطلح المعرفة عبارة عن مجموعة من الأفكار والآراء والمفاهيم والتصورات الفكرية التي تكونت لدى الإنسان نتيجة محاولاته المتكررة لفهم الظواهر الموجودة في البيئة نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته أو هي مجموعة من المعاني والأحكام والاتساق الفكري التي تكونت لدى الإنسان نتيجة تفاعله مع البيئة، وهي مكونة من حقائق، ومفاهيم، وخبرات. (الطيطي، ٢٠٠٤ م)، وهي «تفسر في كثير من الأحيان على أنها العمليات العقلية نفسها التي يقوم بها الإنسان في سبيل تكوين مدركاته ومفهوماته وتصوراته ومعلوماته عن الأشياء المحيطة به، أوعن الأشياء المراد معرفتها بصورة عامة» (الشيباني،١٩٧٥م، ص١٢٨)، وفي مجتمع المعرفة سيكون المحتوى هو الأساس، فهو أهم المقومات بلا منازع، وذلك للأسباب الرئيسة التالية:

١- التنوع الواسع لمحتوى المعلومات، فهو يشمل نتاج صناعات النشر الورقي والنشر الإلكتروني والبرمجيات على اختلاف أنواعها ومستوياتها ومجالاتها.

٢- حدة التشعب والتداخل، نتيجة للاندماج الشديد بين العوامل العلمية والتكنولوجية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، علاوة على الجوانب التشريعية والتنظيمية والقانونية.

٣- الدينامية الهادرة، نتيجة لتسارع المتغيّرات التكنولوجية ونقلاتها النوعية، وقد تشابكت هذه المتغيّرات مع متغيّرات عديدة أخرى لا تقل عنها حدة، على الصعيدين السياسي والاقتصادي.

٤- جدة المشاكل وابتكارية حلولها، إذ أنّ معظم القضايا التي تطرحها إشكالية المحتوى هي من قبيل الأمور المستحدثة التي لم يعهدها العالم العربي من قبل، والتي تتطلب رؤى وحلولاً مبتكرة لم يتطرق لها الفكر الإنساني بعد. (أبوالشيخ، ٢٠١٠م، ص ١٢)

وهذا يعني أننا إزاء صورة جديدة من التطور المجتمعي، يعتمد فى تنميته على المعرفة عموماً، حيث تبرز بشكل ملموس بآلياتها وإنتاجها المتجدد فى سرعة عالية تتجلى فى جمع المعلومات واستيعابها وتصنيفها وتبويبها وحفظها وتوظيفها وتصديرها واسترجاعها بطرائق تقليدية وتقنية ورقمية.

العلاقة بين المجتمع المعرفي والمجتمع المعلوماتي

يرى «محمد السيد سعيد» مصطلح مجتمع المعرفة أرقي من مجتمع المعلومات؛ لأن مصطلح المعلومات غامض فليس هناك معلومات خام تسير بدون منظومة فكرية ما.

أما المعرفة فهي منظومة من البيانات ذات دلالة ومعنى؛ لأننا لا ننشد المعلومات بذاتها وإنما لما فيها من دلالة ومعنى «وهذا يعني أن مجتمع المعلومات يعتمد فى تطوره بصورة رئيسة على المعلومات والحاسبات الآلية وشبكات الاتصال»، أي أنه يعتمد على ما يسميه البعض بالتكنولوجيا الفكرية تلك التي تضم سلعاً وخدمات جديدة مع التزايد المستمر للقوة العاملة المعلوماتية التي تقوم بإنتاج وتجهيز ومعالجة ونشر وتوزيع وتسويق هذه السلع والخدمات (بدر وآخرون، ٢٠٠٤م، ص ٥٥)، بينما المجتمع المعرفي يرتكز على الرؤية المتكاملة للمعرفة من حيث إدراك الأشياء وتصورها، ويقوم الأفراد فيه بنشاط مقصود، يهدف منه الوصول إلى الحقائق لغرض تفسير الظواهر المحيطة بالبيئة المجتمعية، ويقوموا أيضاً بكسب واستثمار الإمكانات المتاحة وذلك من خلال العمل والجهد والمثابرة في الطلب والتحصيل.

ثانياً: الرؤية التأصيلية الإسلامية لأسس التعليم المستمر في مجتمع المعرفة

تظهر الرؤية التأصيلية لأسس التعليم المستمر في مجتمع المعرفة من خلال الآتي:

■الأساس التاريخي

لم يُعد التعليم المستمر بالبديل المؤقت، أو الحل المفاجئ، أو مجرد بديل لأساليب التعليم التقليدية، وإنما هو نموذج يسير جنباً إلى جنب مع التاريخ المعهود للتعليم النظامي، وأما من الناحية البنائية لمنهجيته فهو يمثل أكثر النماذج شمولية، فهو يشمل الصغير والكبير، والموظف والمهني، والحرفي والتاجر.. إلخ، وهذا المفهوم لم يكن مغفلا في المنهج الرباني، بل أكده القرآن منذ أن خلق الله آدم عليه السلام: قال تعالى:﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(سورة البقرة: ٣١)، فالله قد علّم آدم عليه الصلاة والسلام أسماء الأشياء كلها ذواتها وأفعالها كما قال ابن عباس «.. يعني أسماء الذوات والأفعال المكبر والمصغر» (ابن كثير، د. ت١/١٠٤) فمراد الله عز وجل أن يكون نبينا آدم عليه السلام وذريته على صلة بالعلم وأدواته، فجعل العلم من أسباب الشرف والسؤدد، قال ابن كثير عند تفسير الآية السابقة: «هذا مقـام ذكر الله تعالى شرف آدم على الملائكة، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم، وهذا كان بعد سجودهم له» (ابن كثير، د. ت، ١/١٠٣)، ومفهوم العلم قد وقع خلاف طويل في وضع «حدٍ»• له كما يقول الزبيدي، حتى قال جماعة أنه لا يحد؛ لظهوره وكونه من الضروريات ؛ وقيل لصعوبته وعسره (الزبيدي، د. ت، ٨/٤٠٥)، فالعلم الذي يطلب من الإنسان تعلمه سواء على سبيل الضروري أم على سبيل الحاجي أو التحسيني، مقصده هو العلم النافع الذي يوصل إلى الحق ويبعد عن الضلال والباطل، لذا أعلمنا الله جل في علاه أنه خلق الإنسان مريداً فاعلاً، وأعطاه أداة التفكير والإبداع وهي قوة العقل، وفي مقابل ذلك جعله مكلفا مسؤولاً عن علمه وعمله، ومن هنا نجد أن الحضارة الإسلامية موصوفة بالاستدامة؛ لارتقائها بمكانة الإنسان في نهله للعلوم التي تقربه من الخالق سبحانه وتعالى وتعمر به الأرض وترفع من شأنه، قال تعالى:﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ*وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(سورة المجادلة: ١١)، وأكدت أيضاً

مضامين التعاليم الربانية منذ أن خلق الله البشرية أن المقاصد العليا للعلم هو الوصول إلى معرفة مراد الله من خلق الإنسان، ألا وهي تحقيق العبودية له سبحانه وتعالى ومن ثمّ الحفاظ على صلاح الأرض وتنميتها وتعميرها عمارة راشدة ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾(سورة هود: ٦١)، لذا كان من أسباب ظهور الحضارات السابقة وتميزها أنهم استفادوا من العلوم والمعارف المبثوثة بين أيديهم، وغرسوا حب التعلم في الناشئة، ولم يكتفوا بصغار القوم بل جعلوا الأدوات والوسائل في متناول الجميع من مكتبات وحوانيت الوراقين ومعلمين متجولين وأروقة ودور عبادة وكتب مقدسة وغيرها، ومما ساهم في بروز الحضارات هو دعوة الأنبياء والرسل في أصقاع الأرض قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(سورة فاطر: ٢٤)، وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال «قلت: يا نبي الله فأي الأنبياء كانأول؟ قال: آدم عليه السلام. قال: قلت: يا نبي الله أو نبي كان آدم؟ قال: نعم، نبي مكلّم، خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه من روحه، ثم قال له: يا آدم قبلا. قال:قلت: يا رسول الله كم وفى عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمعاً غفيراً» (الألباني، د. ت، ٣٥٩/٦)، وهذا يدل أن دعوة الأنبياء والرسل حملت في طياتها المفاهيم الأساسية للتربية والتعليم المستمر، والاستفادة من سنن الله الكونية، وما يتعلق بالإنسان وعلاقته بخالقه جل وعلا، وعلاقته بالمجتمع الذي حوله، وعلاقته بالكون والحياة، ثمّ بثت ذلك في العالمين.

■الأساس الفطري

عندما خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام أمر الملائكة أن يسجدوا له ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً * قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ * قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(سورة البقرة: ٣٠)، فقدم الله هذا المشهد لمناسبة ما بين تعليم الله لآدم عليه السلام وبين عدم علمهم بحكمة خلق الخليقة، حين سألوا عن ذلك فأخبرهم تعالى بأنه يعلم مالا يعلمون، ولهذا ذكر تعالى هذا المقام عقب هذا ليبيّن لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم، فقال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. (ابن كثير، د. ت، ١٠٣/١)، بهذا البيان القرآني، تحددت قيمة الحياة الإنسانية تحديداً معيارياً يتبين به كيف يمكن أن ترتفع حياة الإنسان لتكون حياة إنسانية حقة، وكيف

تنزل لتلحق بحياة ما دون الإنسان، قال الراغب: «فكلُّ ما أُوجد لفعل فمتى لم يوجد منه ذلك الفعل كان في حكم المعدوم»، ولذلك كثيراً ما يسلب عن الشيء اسمه إذا وجد فعله ناقصاً، كقولهم للفرس الرديء: ليس هذا **بفرس** لإنسان ليس هذا بإنسان، ويقال: فلان لا عين له ولا أُذن له إذا بطل فعل عينه وأُذنه وإن كان شبحهما باقياً، وعلى هذا قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ فمن لم ينتفع بهذه الأعضاء فالإنسان يحصل له من الإنسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التي لأجلها خُلق، فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانية، ومن رفضها فقد انسلخ من الإنسانية فصار حيواناً أو دون الحيوان» (الراغب الأصفهاني، ١٩٨٣م، ص ٧٩-٨٠)، ولا شك أن طلب العلم والتعلم مدى الحياة عبادة من العبادات وقربة من القرب التي يتقرب بها العبد من ربه، فالله قد خلق لابن آدم الجوارح السمع والبصر والقلب ليستخدمها في طلبه للعلم وليرتقي بنفسه وبمجتمعه.

■ الأساس الديني

جاء الإسلام مؤكداً منذ أول نزول للوحي على نبينا ﷺ على أهمية التعليم والتعلم للمسلمين، قال تعالى﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق: ١- ٥) قال قتادة:«الْقَلَم نِعْمَة مِنْ اللَّه تَعَالَى عَظِيمَة، لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَقُمْ دين، وَلَمْ يَصْلُح عَيْش، فَدَلَّ عَلَى كَمَال كَرَمه سُبْحَانه، بِأَنَّهُ عَلَّمَ عِبَاده مَا لَمْ يَعْلَمُوا، وَنَقَلَهُمْ مِنْ ظُلْمَة الْجَهْل إِلَى نُور الْعِلْم، وَنَبَّهَ عَلَى فَضْل عِلْم الْكِتَابَة، لِمَا فِيهِ مِنْ الْمَنَافِع الْعَظِيمَة، الَّتِي لَا يُحِيط بِهَا إِلَّا هُوَ. وَمَا دُوِّنَتْ الْعُلُوم، وَلَا قُيِّدَتْ الْحِكَم، وَلَا ضُبِطَتْ أَخْبَار الْأَوَّلِينَ وَمَقَالَاتهمْ، وَلَا كَتَبَ اللَّه الْمَنْزِلَة إِلَّا بِالْكِتَابَةِ؛ وَلَوْلَا هِيَ مَا اسْتَقَامَتْ أُمُور الدِّين وَالدُّنْيَا». (القرطبي، ١٤٠٨ هـ، ٢٠ / ٨١ – ٨٢)

فالإنسان هو موضوع التربية في الإسلام، لقد حدد المنهج الرباني للإنسان حركته وسلوكه، كما بين له السلوك الأفضل للوصول إلى الصلاح، ومن ذلك تعلم العلم والسعي في طلبه، فالعلم «مصدره هو الله منه يستمد للإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم، وكل ما يفتح له أسرار هذا الوجود، ومن أسرار هذه الحياة، ومن أسرار نفسه فهو من هناك، من ذلك المصدر الواحد، إذ ليس هناك سواه. » (قطب، د. ت، ٦١٨/٨)، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾. (سورة طه آية: ١١٤) أي: زدني علماً إلى ما علمت (البغوي، ١٤١١ هـ، ٢٩٧/٥) وقال

رسول الله ﷺ: «من سَلَكَ طريقاً يَطْلُبُ فيه علماً، سلكَ اللهُ به طريقاً من طرق الجنَّة، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإنَّ العالم ليستغفرُ له مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض، والحيتانُ في جوف الماء، وإنَّ فضلَ العالم على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائر الكواكب، وإنَّ العلماء ورثةُ الأنبياء وإنَّ الأنبياء لمْ يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلمَ فمنْ أخذهُ أخذ بحظٍّ وافر «أخرجه أبو داود في سننه» (الألباني، ١٤٠٩هـ، ٢/٦٩٤)، وقال سعيد بن جبير- رحمه الله-: «لا يزال الرجل عالماً ما تعلم فإذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده كان أجهل ما يكون» (ابن جماعة، ١٤٢٥هـ، ص ص ١٠٥-١٠٦)، فكل العلم الذي يحققه الإنسان إذن هو قرب من الله وعلو منزلة؛ لذا حفلت أدبيات المنهج التربوي الإسلامي بالنصوص الشرعية المليئة بالحث على طلب العلم وتوقير أهله.

■الأساس العلمي والمعرفي

يرتكز مفهوم التعليم المستمر بأنه لا يتوقف عن مرحلة عمرية معينة، فكل فرد مهما كانت مهنته أو وظيفته يحتاج إلى تعلم وتعليم، وهو أي مفهوم التعليم المستمر. يحوي في مضمونه سلوك مطلوب يهدف إلى اكتساب المتعلم العلم والمعرفة والخبرة، ويقود إلى تفاعل بين المتعلم ومجتمعه، حيث يكتسب بهذه الممارسة التعليمية والمعرفية آفاقاً جديدة في نفسه وعقله بل بكل ذاته، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (سورة فصلت، آية: ٥٣)

قال عطاء وابن زيد: «﴿فِي الْآفَاقِ﴾ يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والجبال والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها. ﴿وفي أنفسهم﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة» (القرطبي، ١٤٠٨ هـ، ١٥ / ٢٤٤)، ومن تذوق العلم والمعرفة علت همته، وطابت نفسه، ورجح عقله، وفي ذلك يقول أبو الهلال العسكري: من عرف العلم وفضله لم يقض نهمته منه، ولم يشبع من جمعه طول عمره. ولهذا قال النبي ﷺ «منهومان لا يقضي واحد منهما نهمته، منهوم في طلب العلم لا يقضي نهمته، ومنهوم في طلب الدنيا» (العسكري، ١٤٠٦ هـ، ص٥٩)، فالتعليم المستمر يحقق النظرات الشاملة والعميقة في الفكر والتصور والمفاهيم، ويزيد بكافة جوانبه ووسائله وأنماطه من قدرة المتعلم لاستخدام أدوات التركيب والتحليل والإحساس والتفكير.. إلخ، فتتحقق كفايات تعليمية وقيم أخلاقية من خلال الممارسات العلمية والمعرفية التي تسهم بشكل فاعل في تكوين مجموعة المبادئ والقواعد التي تنظم

وتهذب السلوك الإنساني، قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾(سورة محمد: ١٧) أي «زادهم علماً، وقيل أنهم علموا ما سمعوا وعملوا بما علموا»(القرطبي، ١٤٠٨ هـ، ١٦/ ٥٨)، وهكذا نجد أن الإنسان علاقته بالعلم والمعرفة علاقة مطردة، فكلما زاد علماً ومعرفة ازداد قوة في البصيرة والرؤية والوضوح تجاه بيئته ومجتمعه.

■الأساس الحضاري

تقوم الحضارة على تقدير العلم والتعلم واستثمار الاستعدادات المعرفية العقلية فيها والحدسية عند كل إنسان، وجعل الوحي مصدراً يستمد منه كل مسلم «معارفه ومداركه وعلى الأخص في الأمور الغيبية المتعلقة بالإلهيات وجميع العقائد الدينية، وبمسائل الحلال والحرام والأحكام الشرعية وبالأمور الخلقية» (الشيباني، ١٩٧٥م، ص١٣٨)، والتعليم المستمر يمثل أساسه الحضاري في أهدافه التي تسعى «في إعادة فحص الأفكار والآراء وأنماط السلوك السائد في المجتمع في ضوء المشكلات الجديدة، والوقوف على ما تتطلبه عناصر التغير الحضاري التي طرأت أو انتقلت إلى المجتمع بشكل أو بآخر» (الرواف، ١٤٢٣هـ، ص ١٦٠) وهذا يمثل انطلاقاً فكرياً علمياً وحراكاً حضارياً في المجتمع، فالحضارة الإسلامية لها قدرة على «التجديد والتغيير، واستيعاب كافة المتغيرات، وإنتاج الثقافات وعلوم المجتمعات، والمحافظة عليها والإضافة إليها وصبغها بصبغتها الإسلامية، وبعقلية متفتحة» (أبو العينين، ١٤٠٨ هـ، ص ٤١)، فالفرد المتعلم في حالة ديناميكية مستمرة، فهو إما أن يكون ناقل للعلم والمعرفة أو موزعها أو متعلمها، وإما أن يكون منتج للمعرفة ومطورها، وهكذا يصبح الدور الحضاري الذي يسهم به المتعلم أنه في حراك دائم امتداداً من القدرة على الحفظ ومروراً بقدرات الفهم والتحليل والتركيب والتأليف والتطبيق والتقويم حتى القدرة على العمل والنشر، إن «استثمار جميع المقدرات الفكرية والبشرية والثقافية والمادية بهذا التجرد والتناسق والتكامل، يمنح المجتمعات عافية وقدرات هائلة» (الكيلاني، ١٤١٢هـ، ص١١٧)، فالأدبيات والتطبيقات المتوافرة في التعليم المستمر ستسهم بإذن الله في دفع المجتمعات الإسلامية لاستعادة حضارتها التي كانت عليها من خلال إقناع الفرد بأهمية التعلم المستمر واكتشاف سبيله وبذل الجهد الذاتي والجماعي لتحقيق العوامل الرئيسة في الارتقاء الحضاري.

■الأساس الاجتماعي

علاقة الإنسان بالمجتمع علاقة تكامل، فالفرد المتعلم يشعر أن تعلمه لا يتحقق إلا بتحقق أساسيات التعلم لمن حوله، لذا المطلوب من المجتمع أن يراعي هذا التوجه:

أولاً: بأن لا يكون عائقاً أمام حركة الفرد وهو يحقق مقتضيات التعلم، سواء فيما يتعلق بنفسه وذاته، أو ما يتعلق مع من حوله، وذلك بإعطائه الحرية في هذه الحركة الموزونة لهذا التوجه واضح المعالم.

ثانياً: بإعطاء الفرص العملية بالتساوي للأفراد في المجتمع، وكذا في التحفيز وكذا في المكافأة عند انجاز التعلم بإتقان.

ثالثاً: بمراقبة أداء المتعلمين، وأن تكون الرقابة بمعرفة جودة الأداء وكذا المعرفة الحقيقية عند وجود عوائق التعلم.

ولما كان أي مجتمع إنساني هو عبارة عن مجموعة من الناس كوّنوا باجتماعهم كلاً ملتئماً، الفرد هو أحد أجزائه وأحد مكوناته، فمن البديهي لتحقيق المجتمع المعرفي البدأ بتعليم أفراده وبناء مقومات المعرفة لهم وذلك من أجل:

أولاً:لأنه بحصول ذلك يكون المجتمع مكون من أفراد متعلمين ذوي فاعلية عالية تجاه التعلم.

ثانياً: صلاح البناء المجتمعي المتضمن الهيئة المجتمعية المعرفية التي يبنى عليها المجتمع نمط التعامل السائد والهياكل والمؤسسات التي تحتضن الأفراد المتعلمين وغيرها.

إن معيار المجتمع المعرفي هو أن يستطيع الفرد أن يؤدي مهمته التعلمية والتعليمية بيسر وسهولة، وبقدر التخلف عن معيار المجتمع المعرفي تصعب المهمة على الفرد، ومن ثم يقل إنجازه العلمي والمعرفي وربما يُفقد، أو يُحجب في أقل الأحوال، إن المتغيرات المعرفية ذات أثر كبير على التغير الاجتماعي بشكل سريع ومطرد، ولا ينكر أحد ما ذلك التغير من أثر هائل أيضا على اتجاهات وصفات الأفراد، ومن ثم تغير المجتمع ككل وتشكل مجتمع جديد اصطلح على تسميته بمجتمع المعرفة.

■الأساس الاقتصادي

نظراً لوجود البناء المعرفي والصناعي والاجتماعي، أصبح التعليم المستمر أكثر ارتباطا وقرابة بالأعمال المعرفية والاقتصادية، لذلك أطلق البعض عليه اقتصاد المعرفة، مما حوّل العملية التعليمية ذاتها إلى عوامل كسب وخسارة، وقواعد تجارة، ومحاولة التقليل من المصروفات والخسائر في سبيل الحصول على أفضل النتائج كماً ونوعاً، ولقد أسفرت إحصائيات الولايات المتحدة الأمريكية عن علاقات بين العوامل الاقتصادية والمستويات التعليمية للأفراد منها:

- عادة ما يكسب الشخص الذي ليس لديه دبلوم ثانوي ٤٢ ٪ أقل من نظيره الحاصل على الدبلوم.
- معدل البطالة بين الذين لم يكملوا تعليمهم الثانوي ٤ مرات معدل البطالة بين خريجي المدرسة الثانوية.
- ٥٠ ٪ من كبرى الشركات المسماة بشركات فورتشن ٥٠٠ (Fortune 500) تنفق على تدريب الموظفين المهارات الأساسية ما يزيد على ٣٠٠ مليون دولار سنويا (مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٣١ هـ، ص١٣)

إن التعليم المستمر بمفهومه الواسع يؤكد ارتباطه الوثيق بالأساس الاقتصادي لأنه يسهم بشكل فاعل في الاستدامة المعرفية في المجتمع، مما يدعم القوى الاقتصادية في تنمية منتجاتها وتحسينها، وتستثمر جميع طاقة المتعلمين الكامنة، وتحرز قوى تعليمية مكينة، «فمهارات استخدام أجهزة الذكاء الاصطناعي التي تؤهل الفرد لمواصلة تعليمه ذاتياً مدى الحياة بعيداً عن الأساليب الكلاسيكية وتضخم المعرفة والتسارع المذهل في تآكلها يحتم توفير برامج مستمرة ومتنوعة تلبي احتياجات الشرائح الاجتماعية والمعنية المختلفة» (السنبل، ١٤٢٥هـ، ص١٢٦)؛ لذا كان لزاماً على الساسة والتربويين تعيين استراتيجية للتعليم المستمر تقوم بتشكيل رؤية تعلم مستقبلية وتقترح كيفية تحقيق الأولوية بناء على المعطيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.. إلخ

■الأساس التربوي

عندما أخبر النبي ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإنّ طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر» (الألباني، ١٣٩٩، ١١/٤) أحس المسلمون «بالرغبة الشديدة في المعرفة تتأجج في كيانهم، المعرفة من كل لون، وفي كل ميدان، فشرقوا وغربوا يطلبون العلم، ويستحوذون على كل ما يجدون منه في الطريق، ويتفتحون لذلك كله، ويهضمونه ويمثلونه ويصبغونه بصبغتهم الإسلامية التي تربط الحياة كلها برباط العقيدة، ثم يضيفون إليه جديداً قيماً يشهد لهم بالجد والعزيمة، كما يشهد بالبراعة والمقدرة والقوة والنماء.. » (قطب، ١٤٢٤ هـ، ص ٣٨)

إن التعليم المستمر بفلسفته ومفهومه يعطينا تصوراً تربوياً متميزاً لبداية مجتمع يحقق أفراده من خلاله عمارة الأرض الراشدة، فتظهر سماتهم على النحو التالي:

- الإيمان بالمثل العليا والعمل تحت رايتها.
- لا يجد الفرد كيانه الحقيقي في لقمة العيش أو مكسب دنيوي فحسب وإنما يجده في حياة ممتدة صبغتها العلم والمعرفة.
- ثراء العلاقات الاجتماعية بكل أنواعها بين الفرد ومجتمعه التعليمي.
- تعم ذلك المجتمع القيم العليا ومكارم الأخلاق «إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها» (الألباني، ١٣٨٨هـ، ١٤٧/٢) من خلال الارتقاء التعليمي والمعرفي للأفراد.
- قوة انتماء الفرد المجتمعية؛ لكون الفرد يجد خدمات وتسهيلات تعليمية ومعرفية متنوعة وميسرة.
- سعة الأفق لدى أفراد المجتمع.
- البناء المتوازن للفرد والمجتمع أفقياً ورأسياً، فجميع فئات المجتمع بمختلف أعمارهم ومهنهم ومستوياتهم يجدون ما يلبي احتياجاتهم التعليمية والمعرفية.

إن التعليم المستمر بجميع تطبيقاته المختلفة يثمر منه إصلاح الأفراد وصلاح البناء المجتمعي، فالفرد يقع على عاتقه وضع أهدافه وتحديد البرامج والوسائط التي يتفاعل من خلالها، والمجتمع يقع على عاتقه وضع الرؤية وتوضيحها، ووضع الاستراتيجيات وتنفيذها وتفعيل البرامج التعليمية والمجتمعية ودعم المؤسسات التعليمية لتوفير التعليم المستمر.

ثالثاً: المنظومة القيمية للتعليم المستمر في المجتمع المعرفي من منظور التربية الإسلامية

كرم الله الإنسان وجعله مقصود رسالات السماء؛ لذا فإن من المسلمات أن صلاح المنظومة القيمية التعليمية متوقف على تحقيق الصلاح وذلك في أمرين هما:

أولاً: صلاح المتعلم في ذاته.

ثانياً: صلاح النمط التطبيقي الأخلاقي بين المتعلمين (صلاح الحراك المعرفي المجتمعي).

فصلاح المجتمع المعرفي في حراكه غير متحقق بإصلاح أحدهما دون الآخر؛ إذ صلاح المتعلم دون إصلاح النمط التطبيقي الأخلاقي، يعوقه عن تحقيق المنظومة القيمية، كما أن حالات التجمع والحراك للمجتمع المعرفي تبعث عوارض جديدة لم تكن موجودة في أحوال انفراد المتعلمين، ومن باب أولى عدم نجاح إصلاح النمط التطبيقي الأخلاقي وحده في حال عدم صلاح المتعلمين؛ لأن المتعلمين هم مادة تفعيله، فإن لم يتحقق فيهم الصلاح ففاقد الشيء لا يعطيه، والمبني على فاسدٍ فاسدٌ، والإسلام في منهجه لتحقيق الصلاح في المجتمع يعمل لتكون مكارم الأخلاق هي الغالبة على جمهور أفراد المجتمع فضلا عن المتعلمين، وهي السائدة في تصريف أمورهم، فجاء التعبير عن ذلك في النص الشرعي وكأنّ الرسالة لم تأتِ إلا لهذا المقصد، فقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (الألباني، ١٣٨٨، رقم ٢٣٤٥)، وبناء المنظومة القيمية يقوم على أركان أربعة هي:

١- بناء التصورات والقناعات.

٢- بناء السلوكات والأدبيات.

٣- إيجاد المحفزات.

٤- الرقابة.

وبهذا القانون يتحول ميدان المجتمع المعرفي من معالجة السلوك وبنائها ابتداءاً إلى بناء العقول وإصلاحها، وبهذا القانون تتوفر للمتعلم دوافع العمل إذ الإنسان مفطور على العمل بالتحفيز وإدراك المصالح الدنيوية والأخروية، وبهذا القانون يتحقق إقامة ما يحرس التصورات والسلوكات من تلاعب الأهواء، والحارس هو الرقابة، وأعلاها الذاتية، ثم المجتمعية ثم النظامية.

ويرى الباحث أن المنظومة القيمية تحقق التواصل الإيجابي وتعالج التواصل السلبي من خلال الآلية التالية:

أولاً: حصر القيم المعرفية الكبرى المؤثرة في تحقيق الأهداف وإحداث نقلة حضارية فيها.

ثانياً: وضع الضوابط لاختيار أهم القيم وترتيب سلم أولوياتها.

ويؤكد الباحث على أن مؤسسات التعليم المستمر لكي تحقق هذه المنظومة القيمية لا بد أن تتصف بالخصائص التالية:

- أن يكون محورها الأساس هو بناء «الإنسان»، وهذا البناء لن يكتمل بحال إذا لم يكن وفق منهجية قيمية تراعي خصائص «الإنسان» وتدرك وسائل الارتقاء به.
- أنها تقدم خدمات تربوية وتعليمية ومشاركات اجتماعية ذات أبعاد قيمية عميقة الأثر والتأثير.
- أنّ إسهاماتها مسؤولية حضارية دافعها الرغبة الذاتية - غالباً - وليست جبراً أو عملاً وظيفياً.
- المرونة في إجراءاتها وسهولة اتخاذ القرارات لتطوير عملها وتنفيذ برامجها.

معايير اختيار القيم المعرفية

حدد الباحث ضوابط لاختيار تلك القيم المعرفية، ومنها:

- أنها مستقاة من المنهج الرباني.
- أنها تتفق وحركة المجتمع الإسلامي الحضاري.
- أنها واقعية أي قابلة للتطبيق وليست مثالية.
- أنها إنسانية ومن ثم فهي قابلة لأن تكون عالمية.
- أنها قابلة للتكيف فتتحقق بمختلف الوسائل والطرق وتتكيف مع مختلف الأحوال والأزمان والأماكن دون أن يؤثر ذلك في جوهرها.
- أنها مستمرة لاستمرار الحاجة إليها فلا يمكن الاستغناء عنها.

✸أنها تحفيزية.

✸أنها بنائية.

✸أنها ذات رصيد في الفطرة.

⌑ وتتلخص المنظومة القيمية المعرفية المعيارية فيما يلي:

✧**الصدق:** أي بناء ملكة الوضوح والشفافية الظاهرية والباطنية.

✧**العدالة:** المقصود بهذه القيمة:منهجية في الحكم والنقد، واستقامة في السلوك.

✧**المساواة:** وتعني تكافؤ كامل في الفرص.

✧**الأمانة:** المقصود بهذه القيمة: الإدراك التام للمسؤوليات القولية والعملية.

✧**الإنصاف:** ومقصودها إعطاء حق الغير طوعاً.

وخلاصة القول: فإن المنظومة القيمية المعرفية تتأكد أهميتها في النقاط التالية:

١- بناء القيم هو أساس الصلاح للأفراد المتعلمين وكذلك المجتمعات.

٢- أهمية القيم المعرفية في توجيه مسيرة المؤسسات التعليمية ورسم سياساتها وصياغة أهدافها.

٣- المؤسسات التعليمية هي أجدر القطاعات عناية بالقيم المعرفية والتعليمية والمجتمعية واعتمادها كمنهجية مؤسسية لعملها.

٤- المنظومة القيمية المعرفية المعيارية تستهدف إصلاح الحراك للمجتمع المعرفي وفق منهجية علمية متوازنة

وبالتالي فإن من ثمرات المنظومة القيمية المعرفية المعيارية أنها تحقق صلاح المجتمع المعرفي القائم على الصدق وحب العلم والعمل والتعاون والتكامل والإنجاز.

ختاماً أسأل الله جلّ في علاه أن يسدد ويوفق كل من ساهم في خدمة العلم وأهله، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١. ابن جماعة، محمد بن إبراهيم (١٤٢٥هـ) **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، تحقيق عبد السلام عمر علي، مكتبة ابن عباس، سمنود، دار الآثار للنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

٢. ابن كثير، إسماعيل عماد الدين، (د. ت)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق عبدالعزيز غنيم وآخرون، كتاب الشعب، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

٣. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (١٤٢٣هـ)، **لسان العرب**، دار الحديث، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

٤. أبو الشيخ، عطية إسماعيل، (٢٠١٠م)، **دور التعليم العالي في بناء مجتمع المعرفة العربي في ظل تحديات العصر**، بحث مقدم إلى المؤتمر العربي الثالث بعنوان: **الجامعات العربية التحديات والأفاق**، في الفترة ٩ ١١ يناير، شرم الشيخ، جمهورية مصر العربية.

٥. أبو العينين، علي خليل مصطفى، (١٤٠٨هـ)، **أهداف التربية الإسلامية.. مصادر اشتقاقها ومعايير صياغتها للمجتمع الإسلامي المعاصر**، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٦. الألباني، محمد ناصر الدين، (١٣٨٨هـ)، **صحيح الجامع الصغير**، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٧. ـــ ـــ ـــ، (١٤٠٩هـ)، **صحيح سنن أبي داود باختصار السند**، بيروت، مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي.

٨. ـــ ـــ ـــ، (د. ت) **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها**، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربيةالسعودية.

٩. بدر، أحمد ؛ وآخرون، (٢٠٠٤م)، **السياسة المعلوماتية وإستراتيجية التنمية**، دار غريب، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

١٠. البغوي، الحسين بن مسعود، (١٤١١هـ)، **تفسير البغوي «معالم التنزيل »**، تحقيق محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١١. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، (١٩٨٣م)، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

١٢. الرواف، هيا بنت سعد، (١٤٢٣هـ)، **تعليم الكبار والتعليم المستمر المفهوم.. الخصائص.. التطبيقات**، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٣. الزبيدي، محمد بن محمد بن مرتضى، (د. ت)، **تاج العروس شرح القاموس**، دار الحياة، بيروت، لبنان.

١٤. السالم، سالم بن محمد، (١٤١٩هـ)، **واقع خدمة المجتمع والتعليم المستمر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، عمادة المركز الجامعي لخدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٥. السنبل، عبدالعزيز بن عبدالله، (١٤٢٥هـ)، **التربية والتعليم في الوطن العربي على مشارف القرن الحادي والعشرين**، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٦. الشيباني، عمر محمد التومي، (١٩٧٥م)، **مقدمة في الفلسفة الإسلامية**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

١٧. الطيطي، محمد حمد، (٢٠٠٤م)، **البنية المعرفية لاكتساب المفاهيم تعلمها وتعليمها**، دار الأمل للنشر، عمان، الأردن.

١٨. عامر، طارق عبدالرؤوف، (٢٠٠٧م)، **التربية والتعليم المستمر**، دار اليازوري العلمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

١٩. عبدالجواد، نور الدين محمد، (١٤٠٣هـ)، **الجامعة والتعليم المستمر**: دراسة مقارنة لإدارته وتنظيم برامج التعليم المستمر في الجامعة في مصر وبعض البلاد الأجنبية، إشراف محمد قدري لطفي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢٠. عبدالجواد، نور الدين محمد، (ربيع أول ١٤١٤هـ)، **نظرية التربية المستمرة وتطبيقاتها في التربية الإسلامية**، رسالة الخليج العربي، س ١٤، ع ٤٧، ص ص ١٥-٥٤.

٢١. عبدالعاطي، فاطمة فوزي، (١٤٣١هـ)، **التربية الذاتية بين النظرية والتطبيق**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

٢٢. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، (١٤٠٨هـ)، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، دار الفكر، عمان، الأردن.

٢٣. العسكري، أبو الهلال، (١٤٠٦هـ)، **الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه**، تحقيق مروان قباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٤. قطب، سيد، (د. ت)، في ظلال القرآن.

٢٥. قطب، محمد، (١٤٢٤هـ)، ط١٥، **قبسات من الرسول**، دار الشروق، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

٢٦. الكيلاني، ماجد عرسان، (صفر، ١٤١٢هـ)، **إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها**، كتاب الأمة، العدد (٣٠)، مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر.

٢٧. قمبر، محمود، (١٤٠٥هـ)، **تعليم الكبار مفاهيم صيغ تجارب عربية**، دار الثقافة، الدوحة، دولة قطر.

٢٨. مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة الملك عبدالعزيز، (١٤٣١هـ)، **التعليم العالي وتعليم كبار السن باستخدام الإنترنت**، سلسلة إصدارات نحو مجتمع المعرفة، الإصدار (٢٤).

٢٩. الموسوعة الحرة (العربية): *http://ar. wikipedia. org*

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

١٠- استئجار الخادم

• د. جيهان الطاهر محمد عبد الحليم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. إن من الظواهر الخطيرة والفتن الكبيرة التي ظهر خطرُها وعظم ضررُها؛ ما ابتلى به بعض الناس في هذا الزمن من استقدام الخدم من المسلمين وغير المسلمين. مما أدى ذلك إلى تفشي المنكرات، وضياع كثير من الأبناء والبنات، بسبب سوء التربية، وعدم المراقبة والاهتمام، وألفت كثير من المخالفات الشرعية مثل الخلوة، وخروج النساء بلا ضرورة وغيرها. لذا كتبت هذه الورقات؛ محذراً من هذا الخطر العظيم، ومنبهاً أولياء الأمور إلى الرقابة وأخذ الحذر والحيطة .أما عن خطة البحث فتتمثل في مقدمة، ومبحثان وخاتمة وتوصيات وخلاصة.

المبحث الأول: حكم استئجار الخادم، وشروطه.

المبحث الثاني: الأثر المترتب على استئجار الخادم، وضوابطه.

• أستاذ مساعد في جامعة حائل، تخصص فقه وأصوله، كلية التربية-بنات، قسم الثقافة الإسلامية/ السعودية.
البريد الإلكتروني: drgih@Yahoo.com

المبحث الأول: حكم استئجار الخادم وشروطه

إنّ العمل داخل المنزل ورعاية شؤونه هو واجب من اختصاص الزوجة، وعليها أن تؤدي هذا العمل عن اقتناع وطيب نفس، فالأصل قرار المرأة في بيتها، ووجوب النفقة لها على وليها[١] والقائم بشؤونها، والدليل على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: ٣٣). فهي مأمورة صراحة بالقرار في البيت[٢]، ولكن إذا كانت ممن تعوّدن على مساعدة الخدم لها في بيت أبيها، أو تشكو من علّة معينة تتضرر معها من الخدمة، أو أن هناك أي سبب آخر وجيه يدعو إلى وجود خادمة تساعد ربة المنزل على العمل، فالدين الإسلامي لا يمنع من استئجار الخادمة باتفاق جميع الفقهاء، وإن كان الإمام مالك اشترط أن يكون الزوج في حالة يُسر يتمكن معها من دفع أجرة الخادمة.[٣]

ولقد ذهب جمهور الفقهاء[٤] إلى أنه لا يجوز استئجار الرجل الأعزب المرأة الأجنبية البالغة للخدمة في بيته، مأمونا كان أو غير مأمون؛ وذلك اتقاء للفتنة، ولأن الخلوة بها معصية إلا إذا كان الرجل محرما لها، أو صغيرا، أو شيخاً هرماً، أو ممسوحا أو مجبوبا، أو كانت المرأة الخادمة صغيرة لا تشتهي.

---

(١) بدائع الصنائع. لعلاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ٤/ ٣٠، ط٢، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، حاشية الدسوقي. لمحمد الدسوقي٢/ ٥٢٧، دار إحياء الكتب العربية، تحفة المحتاج في شرح المنهاج. لأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي٨/ ٣٤٥-٣٥٣، دار إحياء التراث العربي، المغني لابن قدامه المقدسي ٨/ ١٦٨-١٦٩، الناشر، مكتبة الرياض الحديثة/الرياض.

(٢) تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي٦/ ٤٠٩، المحقق: سامي بن محمد سلامة. ط٢. الناشر: دار طيبة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩ م.

(٣) رد المحتار على الدر المختار. **لمحمد أمين بن عمر (ابن عابدين)** ٦/ ٦٩، دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، فتح القدير. **لكمال الدين بن عبد الواحد (ابن الهمام)** ٩/ ١٢٨، دار الفكر، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع م٢ج ٤/ ٣٨، منح الجليل شرح مختصر خليل. **لمحمد بن أحمد بن محمد عليش** ٧/ ٤٦٤، دار الفكر ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، حاشية الجمل علي شرح المنهج. لزكريا الأنصاري٤/ ٤٩٤- ٤٩٥، دار إحياء التراث العربي: بيروت- لبنان، تحفة المحتاج٦/ ١٤٨، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي. لأبي **الحسن علي بن محمد ابن حبيب الماوردي البصري**٧/ ٣٩٨، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، روضة الطالبين وعمدة المفتين. **لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي**٥/ ٢٠٨، المكتب الإسلامي ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، المغني٥ /٢٧٠-٢٧١، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة الأولى.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع م ٢ج ٤/ ١٨٩، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل. لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن (الحطاب) ٥/ ٣٩٣، دار الفكر سنة النشر: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. الطبعة الثالثة، المدونة. لمالك بن أنس بن مالك الأصبحي٣/ ٤٤٣، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، المغني ٥ /٢٧١.

وأجاز الإمام أحمد استئجار الخادمة؛ لكن بشرط ألا يخلو بها في بيت ولا ينظر إليها متجردة ولا إلى شعرها. [٥]

كما أجاز الفقهاء استئجار الخادم[٦]، وشرط الحنابلة أن يكون ممن يجوز له النظر إلي الزوجة إما امرأة أو ذو رحم محرم؛ لأن الخادم يلزم المخدوم في غالب أحواله فلا يسلم من النظر.

المبحث الثاني: الأثر المترتب على استئجار الخادم وضوابطه

للاستعانة بالخدم مظاهر سلبية، على المسلم أن يحذرها منها:

١- أن عمل الخادم قد يستلزم التفرغ والمبيت في بيت مخدومه مما قد يقود إلى الفتن، ونشر الفساد، وخراب البيت وانهياره، بسبب سلوكيات الزوج أو الأبناء مع الخادمة أو الزوجة والبنات مع الخادم.

٢- أن المربية وهي تؤدي عملها قد تقوم بإرضاع من تقوم بتربيته، وفي هذا الأمر اختلاط للأنساب، وضياع للحقوق والواجبات، وعلى ولي الأمر أن يدرك ذلك، ويعلم شروطه وأحكامه.

٣- ظاهرة انتشار المربيين والمربيات من غير المسلمين الذين يفدون إلى الدول الإسلامية من الدول المجاورة سعياً وراء الرزق، وفي هذا خطر جسيم؛ لأن تقاليدهم وعاداتهم لن تكون متفقة مع الإسلام فيما دعا إليه وحث عليه من قيم وفضائل سامية.

---

(٥) المغني ٥/٢٧١.

(٦) المبسوط. لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي٥/١٨٢. الناشر: دار المعرفة/بيروت. ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، إرْشَادُ السَّالك إلىَ أشرَف المَسَالك في فقه الإمَام مَالك. لعبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، أبو زيد أو أبو محمد، شهاب الدين المالكي ١/٨٨. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده/مصر. ط الثالثة، تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٨/٣١٦، الوسيط في المذهب. لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ٦/٢٠٣. المحقق: أحمد محمود إبراهيم، محمد تامر. الناشر: دار السلام/ القاهرة. ط الأولى، ١٤١٧هـ، كشف القناع عن متن الإقناع. لمنصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى ٥/٤٦٣. الناشر: دار الكتب العلمية.

٥- إفشاء الخدم لأسرار البيت مما يؤدي إلى تدهور العلاقات الإنسانية، وضياع العديد من القيـم الاجتماعية والاحترام.

٦- ما يقوم به بعض الخدم من عادات سيئة؛ كالسرقة والكذب والغش وتزوير الحقائق وإثـارة الأحقاد والشكوك بين الأزواج والجيران.

فعلى المسلم أن يكون فطناً عند اختيار من يقوم على شؤون بيته وكذلك المرأة، وعليهما أن يراعيا أمور دينهما فيما عليهما من واجبات وما لهما من حقوق؛ لضمان السعـادة والاستقـرار في البيت.

إن المشكلة التي أفرزتها ظاهرة الخدم تتمثل في عنصرين:

أولاً: القلق العام على المستوى الاجتماعي بسبب استفحال الظاهرة في حياتنا، وما ترتب عليها من خطر يهدد حرمات الأسر وقيم وعقيدة المجتمع.

ثانياً: الحيرة على المستوى الأسري والتمزق النفسي بين الرغبة في الاستجابة لمتطلبات ضرورية أوجدها التطور الاجتماعي، وبين الخوف من أضرار الخدم التي تؤكدها الحوادثُ الكثيرة، ويحذر منها العلماء ورجال التربية والفكر والاجتماع.

أما أبعاد المشكلة فتتمثل فيما يلي:

١- خطورة الخادمة الأنثى على الزوج والأبناء.

٢- خطورة الخادم الرجل أو الشاب على الزوجة والبنات، بل وعلى الأبناء.

٣- خطورة الخدم على الأبناء الصغار، على حياتهم وعقيدتهم ولغتهم وأخلاقهم وعاداتهم.

٤- خطورة الخدم على أموال وأسرار وصحة بل وحياة أفراد الأسرة.

٥- خطورة الخدم على أمن البلاد؛ لأن بعضهم أدى وجوده إلى ظهور جرائم التهريب وتجارة المخدرات والدعارة السرية، والقتل والسلب والأمراض.

٦- حرمة الخلوة بين الخدم وأهل البيت.

فتكون هناك ضوابط لا بد من الأخذ بها عند استئجار الخادم، وتتمثل في الآتي:

الضابط الأول: أن تكون الخادمة قدومُها إلى البلد وسفرُها منه إلى بلادها بوجود محرم لها، لقول النبي ﷺ: (لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم). [٧]

الضابط الثاني: أن تكون هذه الخادمة تلتزم بالأخلاق والآداب.

الضابط الثالث: مراقبة رب البيت للخادم في أداء الصلاة والفرائض الشرعية الأخرى وحثه عليها.

الضابط الرابع: عدم الخلوة في المنزل أو في السيارة أو في أي مكان آخر، فالخلوة محرمة وهي من أخطر الأمور التي حذر الله منها المسلمين[٨]، فإذا كان الاختلاط بين الجنسين الذكر والأنثى من أكبر الأسباب الميسرة للفاحشة، فإن الأخطر من ذلك الخلوة، فإن في ذلك مدخلاً للشيطان قال ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**». [٩]

الضابط الخامس: عدم السماح للخادمة بالخروج من المنزل إلا للضرورة القصوى وتكون معها ربة البيت.

الضابط السادس: عدم تكشف الخادمة أمام الزوج والأولاد الذين بلغوا الحلم، وأن تلتزم بالحجاب الشرعي[١٠].

---

(٧) صحيح مسلم ٢/٩٧٥. كتاب: الحج. باب: سفر المرأة مع محرم إلي حج وغيره. رقم (١٣٣٨).

(٨) شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة. إعداد وتصنيف: الشيخ خالد عبد الرحمن العك ص١٨٠. ط خامسة سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.. دار المعرفة/ لبنان - بيروت.

(٩) سنن الترمذي. لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٤/ ٤٠٤. أبواب: الفتن. باب: ما جاء في لزوم الجماعة. رقم (٢١٦٥). وقال: «حديث حسن صحيح غريب». دار الكتب العلمية.

(١٠) المحيط البرهانى في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه. لأبي المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي٣/٥٣٧. المحقق: عبد الكريم سامي الجندي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ١/٥٠٠، تحفة المحتاج في شرح المنهاج٢/١١١-١١٢، المجموع شرح المهذب. ليحيى بن شرف النووي٣/ ١٧٣. مطبعة المنيءءرية، المغني ١/ ٣٤٩. دار إحياء التراث العربي.

الضابط السابع: تحديد المهام المنوطة بالخادم، وعدم الاتكال عليها في إدارة جميع شئون البيت وتربية الأولاد .ومما يخفف من الآثار السلبية للخدم، إتباع الحكمة في التعامل معهم، والحكمة تكمن في تنفيذ وصايا الشريعة الإسلامية الخاصة بذلك التعامل قال ﷺ: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه ولي علاجه)[١١] فالرسول ﷺ يبين لنا[١٢] في هذا الحديث الشريف أن الخدم المسلمين إخوة لنا في الدين والبشرية، لهم نفوس ومشاعر مثل نفوسنا ومشاعرنا، فهم يتأثرون ويتألمون من القول الجارح والمعاملة السيئة، وما جعلهم الله تحت أيدينا إلّا عوناً منه سبحانه وتعالى ليساعدونا على الأعمال، لذلك علينا عدم الخشونة معهم في الحديث وعدم مطالبتهم بالأعمال التي لا يستطيعون القيام بها، وإذا كلفناهم بعمل شاق فيجب علينا مساعدتهم، فهم لم يخلقوا حجارة أو حديداً، إنهم بشر تتألم أجسامهم بالعمل الشاق، وتجرح مشاعرهم بسوء القول وبذيء الكلام، ومع ذلك يجب علينا إكرامهم وإطعامهم الطعام الطيب الذي نأكل منه، وإلباسهم اللباس الطيب الذي نكسو به أجسادنا وأجساد أولادنا.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط أف، ولا قال لشيء فعلته لِمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا؟[١٣]

إذاً فالتربية الإسلامية توصي بالرفق بالخدم والإحسان إليهم، والتجاوز عن أخطائهم الغير مقصودة؛ لأنهم بشر مع تحذيرهم برفق من تعمد الخطأ ومعاقبتهم على الخطأ العمد بالأسلوب الإسلامي الذي يعاقب به الوالد ولده، والأخ أخاه، بقصد التوجيه والردع، وليس بقصد الانتقام والتشفي.

---

(١١) صحيح البخاري٢/٩٠٢. كتاب: العتق. باب: إذا أتاه خادمه بطعامه. رقم:(٢٤١٨).

(١٢) فتح الباري. لابن حجر العسقلاني ٢١٣/١٠. كتاب: العتق، باب: إذا أتاه خادمه بطعامه، الحديث رقم(٢٤١٨). ط ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م. دار الريان للتراث.

(١٣) صحيح مسلم١٨٠٤/٤، كتاب:الفضائل، باب: كان ﷺ أحسن الناس خلقاً، رقمه (٢٣٠٩).

بالإضافة إلى إشعار الأطفال وإقناعهم بأن الخدم ليسوا من أفراد الأسرة، بل هم غرباء أجانب يعملون داخل المنزل بأجر إلى أجل مسمى، لذا يجب معاملتهم بالحسنى وعدم تعمد إثارتهم أو الإساءة إليهم بالقول أو العمل مع الحذر منهم وعدم الإكثار من مخالطتهم. إن اقتناع الأطفال بهذا الأمر وتدريبهم على الالتزام بما يحميهم بإذن الله من التعرض للأخطاء والمخاطر التي يتعرض لها بعض الأطفال الذين يتركون بين أيدي الخدم يتعاملون معهم كما يتعاملون مع آبائهم وأمهاتهم.

إن الأسرة المسلمة مطالبة شرعاً بمراقبة سلوك أبنائها وبناتها وتصرفاتهم مع الخدم (رجالاً ونساء) مهما كانت جنسياتهم ودياناتهم، ومهما كان نوع الخدمة التي يؤدونها للأسرة، ومطالبة أيضاً بالحرص على عدم خلوة بناتها بالرجال من الخدم، وعدم خلوة أبنائها النساء منهم مهما كان سن أولئك الأبناء والبنات، ومن جهة أخرى فإن الأسرة المسلمة مطالبة أيضاً بإلزام الخدم بالاحتشام، والاستئذان، والتمسك بآداب وأخلاق الإسلام أثناء التعامل مع أي فرد من أفراد الأسرة صغيراً كان أم كبيراً. إضافة إلى ذلك فإن من مكارم الأخلاق ومن أسس التعامل الإسلامي الفاضل مع الخدم والأجراء. تسليمهم رواتبهم كاملة غير منقوصة في نهاية كل شهر بدون تأخير ولا مماطلة. قال ﷺ فيما رواه عن رب العزة: (ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ)[١٤] ،وزيادة رواتبهم وتحسين أوضاع المعيشة والتصدق عليهم بما تجود به نفوس أفراد الأسرة، فهذه كلها حوافز مشجعة على محبة الخدم لأفراد الأسرة وعلى إخلاصهم في العمل وهو سبب للوقاية من شرهم وضررهم بإذن الله.

(١٤) صحيح البخاري٢/ ٧٩٢. كتاب الإجارة، باب إثم من منع أجر الأجير. رقم (٢١٥٠).

إن مما لا شك فيه أن الاختلاط مهما اختلفت أشكاله، وتعددت صورهُ لا بد وأن يُحدث أثراً سيئاً حسياً ومعنوياً، ظاهراً أو خفياً، على المدى القريب أو البعيد.

وإن للخدم والسائقين خاصة، خطراً كبيراً وعظيماً؛ لأنهم يؤثرون على الأسرة وعلى الأبناء بشكل كبير؛ وذلك بمخالطتهم والعيش معهم تحت سقف واحد، لذا فإنه ينشأ نوع من العلاقة والتفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة مع الخادمات والسائقين، ومنه يكون التأثر والتأثير.

الخاتمة

١- الدين الإسلامي لا يمنع من استئجار الخادمة باتفاق جميع الفقهاء.

٢- الإستعانة بالخدم له مظاهر سلبية، على المسلم أن يحذرها.

٣- هناك ضوابط لا بد من الأخذ بها عند استئجار الخادم.

أهم التوصيات

١- اتباع شرع الله طريق النجاة الأمثل؛ لاتقاء الشبهات والوقوع في المحرمات.

٢- ترك اللجوء لاستئجار الخدم إلا عند الضرورة وفق لضوابط الشرع.

٣- المراقبة المستمرة في كل ما يخص البيت وخاصة فيما يتعلق بالأولاد.

الخلاصة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من الظواهر الخطيرة والفتن الكبيرة التي ظهر خطرُها وعظم ضررُها؛ ما ابتلى به بعض الناس في هذا الزمن من استقدام الخدم المسلمين وغيرهم. مما أدى ذلك إلى تفشي المنكرات .لذا كتبت هذه الورقات؛ محذراً من هذا الخطر العظيم.

فالحكم الشرعي في استئجار الخادم والخادمة هو الإباحة بشروط، فالإسلام لا يمنع من استئجار الخدم، وعلى المخدوم حسن المعاملة للخدم والرفق بهم، وعلى الخادم الذي يقوم على شؤون البيت ومصالح الأسرة - سواء كان رجلاً أو امرأة - أن يكون من الأمناء

الملتزمين بخلق الإسلام الكريم. إلا أن الاستعانة بالخدم ينتج عنه بعض المظاهر السلبية، التي يجب على المسلم أن يحذرها.

أما عن خطة البحث فتتمثل في مقدمة ومبحثان وخاتمة وتوصيات وخلاصة.

المبحث الأول: حكم استئجار الخادم، وشروطه.

المبحث الثاني: الأثر المترتب على استئجار الخادم، وضوابطه.

Conclusion

Praise be to Allah, Lord of the universe, prayer and peace be upon our Prophet Muhammad and his family and companions.

No doubt that, dangerous phenomena and the great tribulation which has appeared its danger that plagued by what some people in this time of the servants to bring Muslims and others. Which led to the spread of evils.

So I wrote these papers; warning of this great danger.

Legal Islamic rule to rent the server and the server is permitted, the codes of Shariah, Islam does not prevent the hiring of servants, and the lord must treat his servants well and kindly. On other hand the servant should to be honest who are committed to good Islam esthetic.

However, the use of servants result in some negative aspects, which the Muslim must warn them.

As for the research plan is represented in the introduction, two topics, and a conclusion, and recommendations, and summary.

The first topic: the rule of renting the server, and conditions.

The second topic: the impact of the rental server, and controls.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

١١- دراسة تحليلية لموقف الفكر العربي الإسلامي من تعليم المرأة

• د. عبد الرزاق جدوع محمد الجبوري

المقدمة

بلغ من تقدير الإسلام لمقومات الكيان البشري أن اعتبر العلم والتعلم ضرورة بشرية للجنسين معا، وجعله حاجة لازمة للذكر والأنثى بل جعله فرضا وركنا من الإيمان، وهنا يحق للإسلام أن يفخر بأنه أول نظام في التاريخ نظر إلى المرأة على إنها كائن بشري لا يستكمل مقومات بشريته حتى يتعلم، شأنها شأن الرجل سواء بسواء، فجعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ودعاها أن ترتفع بعقلها، كما ترتفع بجسدها وروحها، إلى هذا الحد وصل تكريم الإسلام للمرأة ولا يستطيع أحد أن يقول أن فكرة الإسلام في كل هذه الأمور قائمة على أن المرأة مخلوق ثانوي أو تابع في وجوده لمخلوق آخر، أو أن دورها في الحياة دور ضئيل لا يؤبه له، فلو كان الأمر كذلك ما عني بتعليمها.

عمدت في هذا البحث إلى تبيان أبرز المحطات التعليمية التي اجتازتها المرأة عبر مسيرتها التاريخية، متلمساً العوامل الاجتماعية والثقافية التي حالت دون تعليمها، ووجدت خلال بحثي أن الآثار المكتوبة التي تناولت الموضوع نادرة أن لم تكن مفقودة تماماً، لذا اعترضتني بعض الصعوبات أثناء استقصائي للمعلومات، ولا شك أن الأحداث التاريخية قد لعبت دورها في تعليم المرأة، لذا كان لا بد من رد بعض المسائل إلى جذورها التاريخية لنلقي الضوء على تعليم المرأة، وكانت خطتي في عملي جمع الإشارات المبعثرة من مضانها

• جامعة ديالي، كلية التربية الأساسية، ٢٠١٢/العراق.
البريد الإلكتروني: abu.reem15@yahoo.com

القديمة، مفتشاً بين الكتب والدوريات والمعاجم، متمنياً في طريقي هذا أن أكون قد وصلت في دراسة هذا الموضوع الهام إلى وضع المرأة في أطرها التي عرفتها في مسيرتها الطويلة، كما أتمنى أن تحفز هذه الدراسة غيري على استدراك ما فاتني منها.

إن بحثي يركز الاهتمام على توضيح العوامل الاجتماعية والحضارية وآثارها في تعليم المرأة، لاسيما الظروف الاجتماعية التي تتحكم بها العادات والتقاليد، والظروف السياسية والظروف التعليمية التي تتحكم بها انعكاسات الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتي تقف عوائق أمام الأوضاع التعليمية للمرأة، إذ نجد أن المجتمع لا زال ينظر نظرة شك إلى قضية المرأة لا سيما في المناطق الريفية حتى أن حياة المدن التي سمحت للمرأة بأن تأخذ مكانها على مقاعد الدراسة قد نظرت إلى الأمر وكأنه مكمل لحياة الترف الاجتماعي الذي غالباً ما يسود الحياة المدنية.

إن قضية تعليم المرأة إحدى القضايا الأساسية التي يجب النظر لها بجدية أكثر من جملة القوانين التي تنص عليها الدساتير، إلى جانب ضرورة المساواة بين الجنسين في قضايا التعليم فلابد من إلزام المرأة على التعليم حتى المرحلة الثانوية، ومعنى الإلزام هنا أن لا يترك الأمر لأولياء الأمور في تقرير ما إذا كان يجب على الفتيات الاستمرار في الدراسة أم لا، بل لا بد من إلزامهم بضرورة تخطي الحواجز الاجتماعية بالنسبة لتعليم المرأة.

تنطوي هذه الدراسة التحليلية على المباحث التالية:

أولاً- دعوة الإسلام إلى تعليم المرأة.

ثانياً- تعليم المرأة في تاريخ الإسلام.

ثالثاً- الخلاصة والتوصيات.

أولاً- دعوة الإسلام إلى تعليم المرأة

كرم الله المرأة تكريماً لم تعرف البشرية له مثيلاً، وعاشت قرونا تتفيأ نعمة الله عليها بالإسلام فغدت مصونة مكرمة، أبدلها ربها بخوفها أمناً وبذلها عزً وبجهلها علماً.

دعا الدين الإسلامي إلى التعليم وأول أية أنزلت من القرآن الكريم تحث على التعلم إذ قال تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١].

وأمر الرسول الكريم محمد ﷺ أصحابه أن يعلموا أولادهم القراءة والكتابة، ومع أنه كان بأمس الحاجة إلى المال بعد الهجرة فإنه لم يقبله من أسرى بدر الذين يحسنون الكتابة، فأمر كل واحد منهم أن يعلم عشرة من أولاد المسلمين عوضاً عن الفدية، ولما توسعت الدعوة الإسلامية واتصل بالأمم المجاورة أمر أولاد الصحابة أن يتعلموا اللغات المجاورة لهم كما حث الرسول ﷺ على مراجعة الأطباء للاستفادة من علمهم، وهكذا فإنه عليه السلام أمر القوم بتعليم كل ما يفيدهم في أمور دينهم ودنياهم[٢].

يقول الرسول الكريم محمد ﷺ لإحدى الصحابيات، وكان اسمها الشفاء «ألا تعلمين هذه» يريد حفصة وهي امرأة مسنة، وفي هذا درس بليغ للرجال الذين يتركون نسائهم على أميتهن وجهلهن فينشأ لديهن الفراغ المخيف بسبب عدم مطالعة الكتب النافعة، أو يؤدي إلى عدم معاونة أولادها على الدراسة[٣].

يقول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ وهذه الآية أصل في تعليم أهل البيت وتربيتهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. وإذا كان الرسول ﷺ قد حث على تعليم الإماء وهن أرقاء، فما بالك بأولادك وأهلك الأحرار وقال الرسول ﷺ «ثلاث لهم أجران ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله أجران»[٤].

---

(١) قرآن كريم (سورة العلق: ١-٥).
(٢) الديوه جي، سعيد، **التربية والتعليم في الاسلام**، مكتبة التراث العربي، الموصل، ١٩٨٢، ص١٣.
(٣) الإسلام وتعليم المرأة، الإنترنت.
(٤) الإسلام وتعليم المرأة، منوعة، ٢٠٠٣/٧/٢٦.

وقد بلغ حرص المسلمات الأوائل على العلم أن طلبن من النبي ﷺ أن يعقد لهن مجالس خاصة بهن لتعليمهن.[٥]

هناك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تدعوا إلى العلم، وهي لعامة المتعلمين من الرجال والنساء، إذ الخطاب شامل للجميع، ومع هذا فإن هناك نصوص خاصة تشير إلى أهمية تعلم النساء العلم الشرعي الذي يعرفهن الحلال من الحرام، وتعليم المرأة كما فسره بعض علماء المسلمين له خصوصيته في دين الله سبحانه وتعالى، وتأتي هذه الخصوصية من خصوصية المرأة نفسها، فالله سبحانه وتعالى خلقها بطبيعة معينة، وخلق فيها صفات تختلف عن الرجل فتحتاج من العلم ما لا يحتاجه الرجال. وإنّ من أهم معالم تلك الخصوصية البعد في تعلمها وتعليمها عن الرجال، دل على ذلك الحديث الذي طلب فيه النساء درساً خصوصياً من رسول الله ﷺ فأجابهن إلى طلبهن وفي هذا دلالة على أنه يجب أن تبعد المرأة عن الرجل في تعلمها، وزاد على ذلك ما قاله أحد العلماء «أن من الظلم للمرأة وضع الرجل والمرأة في مكان واحد» إذ أن التعليم سيطغي عليه ما يخص الرجال أو المعرفة بعامة، ومن ثم لن يكون هناك مكان لما يخص المرأة ولهذا يقال أن من الخطأ أن تكون مناهج التعليم بين الذكور والإناث متماثلة، بل لا بد من الخصوصية حتى يظفر كل جنس بحقه من التعليم الواجب شرعاً[٦].

لم يكن حياء المرأة المسلمة يمنعها من التعلم والسؤال عن أمور دينها، لذا امتدحت عائشة رضي الله عنها نساء الأنصار فقالت نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين، ونظراً لاهتمام الإسلام بالعلم وحرصه على طلبه، فإننا نجد أن تاريخ التربية الإسلامية حفل بأمثلة كثيرة عن طالبات العلم، والمتعلمات حتى برزن في شتى المجالات العلمية، بل كن يعلمن غيرهن، حتى أن بعض مشاهير العلماء كانت من بين قائمة شيوخة امرأة[٧].

(٥) تعليم المرأة في الإسلام، ٢٠٠٩/١٠/٢٥، منتدى الإسلام.

(٦) المنهج النبوي في تعليم المرأة ٢٠٠٨/٥/٢٨، منتدى المرأة المسلمة.

(٧) رجا، فاطمة محمد، أثر مشكلتي الاختلاط والمنهاج التعليمي على تعليم الفتاة المسلمة في الجامعات الأردنية، الجامعة الأردنية، جامعة اليرموك، ١٩٩٤.

ثانياً- تعليم المرأة في تاريخ الإسلام

جرّد العصر الذي سبق الإسلام حق المرأة من التعليم، وحتى في العصر الإسلامي فقد اقتصر تعليم الفتاة على المبادئ الدينية لفئة صغيرة من اللواتي كنّ يذهبن للمساجد بقصد التعليم، ولقد ازداد التعليم لدى الجواري في العصور الأموية والعباسية اللاحقة وذلك من أجل الحصول على أعلى قدر ممكن من النقد عند بيعهن، وقد كان هذا على حساب المرأة الحرة التي منعت من الاختلاط عن طريق إجبارها على المكوث داخل منزلها، وأما العصور التي شهدت الانقسامات السياسية والدويلات الصغيرة في جسم الدولة العباسية والفترة التي ساد بها المماليك وفترة الدولة العثمانية، فقد انحطت بها الوسائل التعليمية وانحط معها تعليم المرأة[٨].

سنتناول في هذا المبحث تعليم المرأة في العصر الأموي والعباسي والعثماني والعصر الحاضر وهي كما يلي:

١- تعليم المرأة في العصر الإسلامي الأول

من أولى المتعلمات في عهد النبي ﷺ الشفاء بنت عبد الله العدوية، أمرها عليه السلام أن تعلم حفصة (رضي الله عنها) الكتابة فعلمتها، فكانت حفصة تكتب، وكان عدد من المسلمات يقرأن ويكتبن ويعلمن المسلمات، وكانت السيدة عائشة وكذلك السيدة أم سلمة (رضي الله عنهما) تقرآن ولا تكتبان.

وقد خصص الرسول الكريم ﷺ أياماً لتعليم النساء، فإنه عليه السلام وضع أسس النهضة العلمية للمسلمين، ولم يكن للتعليم أوقات منظمة أو محال معينة، فقد يكون في المسجد أو في ظل حائط أو في دار أحدهم، ويمكننا أن نطلق لفظ معلم على أسرى بدر، وعبد الله بن سعيد وأبي عبيدة بن الجراح والشفاء العدوية، وذلك لأنه أمرهم عليه السلام أن يعلموا، فعلموا، ولكن لم يعين لهم أوقاتاً ومحالاً للتعليم، وعلى هذا فالمكاتب لم تكن معلومة عند المسلمين على عهد الرسول ﷺ.[٩]

(٨) الظاهر، أحمد جمال (د)، **المرأة العربية**، دار الكندي، إربد، ١٩٨٧، ص١٢٤.

(٩) الديوه جي، سعيد، **التربية والتعليم في الإسلام**، مصدر سابق، ص١٣.

٢- التعليم في العصر الأموي

لم يظهر لنا العصر الأموي نساء خلفن عائشة (رضي الله عنها) في الذكاء والفقه، وإن كنّ تميزن بالبطولة الحربية، كأم حكيم الخارجية، وبالأدب رواية ونقد، كسكينة، وعائشة بنت طلحة، وهما صاحبات الصالونات الأدبية، التي سبقت ما يشابهها في فرنسا بعد ذلك بكثير، ولم يترك الجانب السياسي لهذا العصر مجالاً للحكم كي تحضى به امرأة، أو أي أموي من أعجمية، غير أن الجانب الفني وأقصد به الشعر والغناء والرقص، فقد فاض به العصر الأموي، وتميز عن كل العصور التي سلفت، بل لعله راجع إلى كثرة الجواري المغنيات، المثقفات اللواتي أدخلن عنصر الزهو في المجتمعات العربية، وهن أصداء للسبي والانتصار العربي على الأمم الأخرى.(١٠)

قبل أن نعطي نماذج توضح ثقافة المرأة يجدر بنا أن نحقق قضية هامة وهي: أين كانت تتعلم الفتاة؟ هل التحقت بالكتاب صغيرة؟ وانضمت إلى حلقات الرجال شابة؟ أم كان لها مؤدب خاص ولم تختلط بالصبيان والرجال؟ يقول د. محمد فؤاد الأهواني «إن البنات كن يتعلمن في الكتاتيب، ولكن د. الأهواني يرجع عن قوله هذا إلى الرأي الذي نعتقده صواباً فيقرر، أن العادة جرت على تعليم البنات داخل الدور، وقد تعرض لهذا الموضوع أيضاً د. خليل طوطح فذكر ما يلي: ومما يذكر في كتاب الأغاني تردد البنات إلى المكتب في القرن الثاني للهجرة، فمن هذا يظهر أن الفتيات ذهبن للتعليم في المكتب، وفي بعض الأحيان تعلمن مع الفتيان كما هو معروف اليوم في بعض الأماكن، ويعارض د. أحمد شلبي ما ذهب إليه د. طوطح، إذ يقول شلبي إن البنت التي نقول أنها تعلمت في عصور الإسلام الأولى ونالت قسطاً من الثقافة هي البنت الحرة قبل كل شيء، واقتباسات طوطح تتعلق بالجواري فلا يمكن أن نأخذ منها حكماً عاماً على إن البنت تعلمت بالمكتب مع الأولاد، لأن تعليم الجواري بالمكتب لا يدل على تعليم الحرائر به، إذ إن كراهية اختلاط الجنسين ما كانت تنطبق على الجواري، فقد كن مبتذلات منحن كثيراً من التسهيلات التي لم تستمتع بها الحرائر. ولم يكن المراد بتعليم الجواري هو الثقافة بقدر ما كان يراد رفع أثمانهن

(١٠) شلق، علي، واخرون، ندوة **حول المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٦.

بتعليمهن الكتابة أو الغناء. كما ويؤكد د. الشبلي إن البنت لم تلتحق بالكتاب صبية ولم تجلس في حلقة الرجال شابة، وكان الغالب إن تتعلم في المنزل عن طريق أحد أقاربها أو بمؤدب يدعى لها[١١].

يذكر الأستاذ سعيد الديوه جي في كتابه التربية والتعليم في الإسلام أن حظ البنات من التعلم كان في ازدياد، ونجد عدداً من النساء يقرأن ويكتبن، ومما يجدر ذكره إن بعضهن كن يتولين الكتابة للخلفاء وفي دواوين الدولة، وكان للخليفة عبد الملك بن مروان جارية تكتب بين يديه، كما كان للحجاج جارية كاتبة وكان للإمام مالك رضي الله عنه عدة جواري يكتبن بين يديه، ولإبراهيم الإمام جارية تكتب بين يديه، وغيرهن كثير، على أن نصيب المرأة في العلوم والمعارف لم يكن قاصراً، فقد نبغ عدد كبير منهن في الفقه والأدب والحديث والمعارف، أما التعليم المختلط فلم يكن عاماً في المكاتب، وجد بعض المكاتب كان يتعلم بها البنون والبنات معاً، جاء عن علي ابن ادم أنه عشق منهلة وهي صبية تختلف إلى الكتاب، فكان يجيء إلى المؤدب فيجلس عنده لينظر إليها[١٢].

٣- تعليم المرأة في العصر العباسي

مجتمع بني العباس زاد على المجتمع الأموي كثافة من ناحية الامتزاج بين الأمم، وعلى الأخص الفرس، وهذا العصر الذي أشاعت فيه المرأة الموالاة أمواجاً من الفتن والثقافة، لم تصل إلى درجتها المرأة العربية الحرة، فإذا سمعنا علية بنت المهدي تضرب على العود وتنشر الغزل، فإنها لم تبلغ مرتبة عنان الناطفية التي كانت تساجل أبا نؤاس، إلا أن هؤلاء الجواري كن بمثابة معلمات لسواهن في مجال الهندام والكتابة والشعر وتنسيق البيوت ومختلف شؤون الحياة، وذلك بسبب نشأتهن في أمم زادت مدنية على ما للعرب، أو إنهن كن يتربين في دور يتخصصن لتثقيف الجواري، إلى جانب ذلك فإن النساء الحرائر في هذا العصر فقن الإماء في مجال الثقافة الدينية وبعض العلوم، مثل علوم الفقه والحديث والتصوف ومن النساء نذكر ستيته بنت القاضي والواعظة البغدادية ميمونة بنت ساقولة

(١١) شبلي، أحمد (د)، تاريخ التربية الاسلامية، دار الكشاف للنشر، بيروت، ١٩٥٤، ص٣٢٠.
(١٢) الديوه جي، سعيد، التربية والتعليم في الاسلام، مصدر سابق، ص٢٧.

وهكذا تصدت المرأة في هذا العصر لأخطر المناصب الدينية في تطور الإسلام كما أن أبا حنيفة والطبري جوزا للمرأة إن تلي القضاء والفتيا، فكان رد الفعل على ذلك ما قاله الشاعر ابن بسام:

ما للنساء وللكتابة والعمالة والخطابة

هذا لنا ولهن منا إن يبتن على جنابة[١٣]

يبقى أن العصر العباسي الذي بلغت فيه الحضارة العربية أوجها، وعد المؤرخون بغداد حاضرة العالم الأول في القرن الثامن الميلادي، لم يأتي واحد منهم على ذكر امرأة بلغت مبلغاً مرموقاً في الطب، والأدب، والفلسفة وسائر العلوم، لذا فإن قول ابن رشد في الطبيعيات أنها لم تقم بجلائل الأعمال، وأن حياتها تسري كحياة البنات، وتواصل عيشها كعيش الرجل، على الرغم من أن عددهن يفوق عدد الرجال.

يصور لنا ابن حجر الجدال حول تعليم البنت الكتابة والقراءة فيستفتى في ذلك فيفتي بأنها تعلم العلم، ولكنها لا تعلم الكتابة ويروي حديثاً إن لقمان مر على جارية تعلم فقال «لمن يصقل هذا السيف» أي أنها تعلم الكتابة لتذبح بها، ويقول إن المرأة إذا تعلمتها توصلت إلى أغراض فاسدة، لأنها تبلغ بها في أغراضها ما لم تبلغه برسولها، فلأجل ذلك صارت المرأة بعد الكتابة كالسيف الصقيل الذي لا يمر على شيء إلا قطعه، ثم قال واعلم إن النهي عن تعليم النساء الكتابة لا ينافي طلب تعلمهن القرآن والعلوم والآداب، لأن في هذه مصالح عامة من غير خشية مفاسد تتولد منها، بخلاف الكتابة[١٤].

يؤكد د. معجب الزهراني بأن الإمام أبا حامد الغزالي لا يتحدث عن المرأة إلا بمضمون احتقاري عدائي خصوصاً في كتابه (التبر المسبوك في نصيحة الملوك) وغيره من العبارات والنصوص التي يبثها في بعض كتبه، وذكر الكاتب إن الغزالي يصف النساء بطباع الحيوانات مستدلاً ببعض نصوصه التي يحط بها من قدر المرأة ويسخر منها ويصفها

(١٣) شلق، علي وآخرون، ندوة **حول المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية**، مصدر سابق، ص ٢٧-٢٩.
(١٤) أمين، أحمد فيض الخاطر، مكتبة النهضة المصرية، ج ٣، القاهرة، لا يوجد سنة طبع، ص٩٤.

في منزلة بهيمية، معتبراً تلك القناعات من الصور الراسخة عند الغزالي من خلال نصوص مختلفة تشنع وتحط من قدر المرأة. موضحاً إن هذه العبارات المسيئة بحق المرأة نقلها الغزالي من كتب التوراة، وتساءل الزهراني لماذا بثها الغزالي ما دام أنه يعلم أنها في التوراة، وأشار إلى أن أسلوب الغزالي في المعرفة هو أسلوب إرشادي تعليمي، واعتبر الكاتب الغزالي الذي ساق بعض نصوصه بأنها تكشف عن مرض لديه، أما ابن حزم الأندلسي فيقول عنه الزهراني بأنه الرجل الذي يؤسس لفكر المحبة، ويرى إن تربية ابن حزم على يد النساء وظروف نشأته التي تميزت بالرخاء أثرت على إنتاجه فأصبحت صورة المرأة عنده إيجابية، أما ابن رشد فيصف النساء بأنهن يشتركن في الأفعال الإنسانية ويتمتعن بالكفاءة ذاتها ويمكنهن إن يؤدين الأعمال نفسها، كما إنهن أحياناً أكثر حذقاً من الرجال في بعض المجالات خصوصاً حينما يتعلق بتكوينهن والأعمال الموكولة لهن، ولا يمتنع إن يكون بينهن حكيم فحرمان المرأة من إطلاق يديها للتحليق نحو الإبداع جعلها أسيرة لأمور هامشية في الحياة، وأن الكفاءة العليا تضمر عند المرأة حين تهمل ولا يتاح لها الانطلاق[١٥].

يذكر لنا التاريخ أسماء لامعة في الأدب والعبادة كرابعة العدوية وأخبارها في الصلاح مشهورة، وكانت شاعرة متصوفة تستعمل في مناجاتها لله أسلوباً مملوءاً بالرقة والعذوبة والصفاء، ومن ذلك قولها «إلهي أتحرق بالنار قلباً أحبك» وزبيدة أم جعفر زوجة الرشيد كانت تنظم الشعر وتناظر الرجال في شتى نواحي الثقافة والفكر، وحمدة بنت زياد المؤدب وأختها زينب، وكانتا شاعرتان أديبتان، ومريم بنت أبي أيوب الأنصاري كانت أديبة شاعرة، تعلم النساء الأدب، وبدانية مولاة أبي المطرف بن غلبون وحفصة بنت الحجاج الركوني وكانت فريدة الزمان في الحسن والأدب، وتقية أم علي بنت أبي الفرج كانت أديبة فاضلة وشاعرة ممتازة[١٦].

٤- تعليم المرأة في عصور الانحطاط السياسي

إن الفترة التاريخية الطويلة التي أعقبت الفترة المزدهرة للحضارة العربية الإسلامية والممتدة من أواخر العصر العباسي إلى نهاية العصر العثماني، كانت قد أهملت دراستها

(١٥) الزهراني، معجب (د)، موقف الغزالي من المرأة يعود إلى اسباب مرضية وابن حزم أسس لفكر المحبة.
(١٦) شبلي، أحمد (د)، تاريخ التربية الاسلامية، مصدر سابق، ص ٣٢٧-٣٣٧.

زمناً طويلاً ، وعندما كان المؤرخون يتحدثون عنها فإنهم كانوا يفعلون ذلك بشكل سطحي في الكتب المدرسية قائلين بانها عصر الانحطاط، أو سبات طويل أو نسيان، أو عودة إلى الخرافات الشعبية، والواقع إنها بحاجة إلى دراسة لان مجتمعنا الراهن ناتج عنها مباشرة، وبالتالي لا يمكن فهم المشاكل الحالية إن لم نفهم تلك الفترة، وفي تلك المرحلة التاريخية الحاسمة تمت برمجة كل الأزمات الخطيرة والانسدادات التي يعاني منها مجتمعنا اليوم لهذا لا بد من دراستها[١٧].

لقد حصلت في تلك الفترة العثمانية قطيعتان، لايزال يعاني منها المجتمع، الأولى داخلية والثانية خارجية، ففي الأولى انقطع الفكر الإسلامي في المرحلة العثمانية عن أفضل ما أنتجه الفكر الإسلامي ذاته في المرحلة الكلاسيكية (أي في القرون الهجرية الستة الأولى من تاريخ الإسلام)، وهي قد تميزت بوجود مساحة من الحرية الفكرية لاسيما في عهد المأمون، وهكذا فإننا نجهل المرحلة الكلاسيكية المبدعة ولا نعرف إلا المرحلة السكولاستيكية (المدرسانية) التي جاءت بعدها وغطت عليها[١٨].

أما الثانية فهي خارجية، إذ جمد الفكر العربي ولم يعرف ماذا يحصل حوله من اكتشافات علمية وتطورات فلسفية، وهكذا تشكلت الحداثة المادية الفكرية خارجة عنه دون أن تتاح له المساهمة فيها، وعندما تنبه في بداية القرن التاسع عشر كانت الحداثة قد قطعت أشواطاً بعيدة إلى الأمام.

كانت حركة التاريخ تمشي باتجاه الفكر الواحد الذي ساد في الفترة العثمانية، ومن يستطيع أن يقاوم حركة التاريخ إذ إما انزلقت أو مشت باتجاه ما، لذا يجب أن ندخل مصطلحات العلوم الاجتماعية لكي نفهم ماذا حصل بالضبط في ذلك المنعطف الحاسم من تاريخ المجتمعات العربية الإسلامية، يجب أن نطرح مشكلة الانحطاط من خلال منظور علم الاجتماع ونتحدث عن الأطر الاجتماعية للمعرفة، فالانحطاط والجمود لا يقرره فرد واحد وإنما يقرره تيار تاريخي أو بنية اجتماعية بأسرها، فإذا ما جمدت بنية المجتمع

(١٧) أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة بيروت، ٢٠٠٠، ص١٩٥.
(١٨) نفس المصدر السابق.

أو تكلست أو تراجعت تكلس الفكر فيه وتراجع، وإذا ما ازدهرت ازدهر الفكر فيه وتألق، فالمجتمع هو الذي يحسم الأمور وليس الفرد والأطر الاجتماعية للمعرفة هي التي تستقبل الفكر الفلسفي أو لا تستقبله، هي التي تتيح له أن يزدهر أو تضيق الخناق عليه[١٩].

إن الفترة الممتدة مابين أواسط الحكم العباسي (زمن تفكك السلطة العباسية وبداية القرن العشرين) يمكن ضمها في طور واحد نظراً لكونها رزحت خلال كل هذه العهود تحت وطأة ظروف مشابهة تكاد تكون واحدة من حيث تأثيرها وانعكاساتها على أوضاع الأسر، ويمكن تلخيص هذه الظروف بما يلي:

١. اضطراب سياسي وأمني عميق الجذور.

٢. تعاقب سريع للدول، نشأة وانهياراً.

٣. بلبلة شديدة على صعيد الملكيات العقارية حيث رافقت تعاقب الدول وزوالها عمليات نقل واغتصاب للملكيات.

٤. هزات عميقة ضربت جذور المجتمع نتيجة تلاحق هجمات المغول والحروب الصليبية.

٥. تناحر دائم بين الفئات السكانية وما رافقه من تعميق تاريخي للحقد والكراهية وسوء العلاقات بينهما.

٦. المجاعات والأمراض التي أصابت السكان فانعكست عليهم.

٧. صب كل الاهتمام على الناحية العسكرية والثقافية والاجتماعية.

٨. كبت الجو الثقافي وحصره في الحركات الدينية والدعوات الصوفية غير المعتدلة المتنامية الظهور في أوساط العامة بتشجيع من القوى الحاكمة بهدف المحافظة على التخلف الاجتماعي السائد.

(١٩) نفس المصدر السابق، ص٣٠١.

٩. مقاطعة الضرائب وتعميمها لتعزيز استقلالية الأمراء عن الخليفة واتفاقهما على مبلغ من المال يؤديه الأمراء كل سنة مع تأدية الخطبة للخليفة والاعتراف بسلطانه.

١٠. سيطرة مشاعر الحذر والخوف والتحفظ والقلق على النفوس وعلى العلاقات الاجتماعية.

١١. ركود حركة المجتمع.

ويمكن اختصار وضع المجتمع خلال هذه الحقبة الطويلة بالتجمد، إذ لم يسمح له بالابتكار بل فرض عليه تكرار الصورة السابقة، فالظروف المتجمدة استمرت تفرز التشكيلة الاجتماعية نفسها[٢٠]. والأنكى من ذلك تفشي الجهل حتى عند الرجال الرسميين المسؤولين في الدولة، والمرأة بدورها تابعت الحياة على الوتيرة نفسها محافظة على التقاليد والقيم عينها في كل مراحل التعليم.

٥- تعليم المرأة العربية في العصر الحديث

منذ إن سلكت الثورة الفرنسية سبيل الواقع العلمي سرت عدواها إلى البلاد التي يسيطر عليها العثمانيون، ولكن الثورة الفرنسية لم تستطيع تنفيذ مبدأ مساواة المرأة بالرجل، بل كان الزمن ينتظر اندلاع الثورة البلشفية لتتم بها تلك المساواة الفعلية بالواقعية العلمية، ومنذ أن انطلقت مدافع نابليون على الشواطئ المصرية. وقامت حركة محمد علي بإرسال بعثة إلى الغرب بقيادة رفاعة الطهطاوي، وكان الطهطاوي أول نافخ في بوق تحرير المرأة وتلاه خير الدين التونسي وابن باديس الجزائري ليهدر في آفاقهم صوت جمال الدين ومحمد عبده، ورشيد رضا وتلاميذهم كسعد زغلول وقاسم أمين وقد تناول الصوت المدوي من تلك الحناجر قضية المرأة التي تدور حول السفور والحجاب، والتحرر والتعليم، والعزوبة والزواج والطلاق. ومن فتاوي محمد عبده اشتراك المرأة في النشاط العلمي والفني والسياسي والاجتماعي[٢١].

---

(٢٠) نصار كرستين (د)، مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطفل، ج ٥، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٣، ص٥٢-٥٥.

(٢١) شلق، علي واخرون، ندوة حول المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، مصدر سابق، ص٣٣.

يؤكد د. حليم بركات أن تدني مكانة المرأة في المجتمع العربي يعود إلى النظام الاجتماعي وصيغة البنى الاجتماعية وكيفية تقسيم العمل ومدى مشاركتها في العملية الإنتاجية، لذا فهي لا تتغير إلا بتغيير هذه الأوضاع، فالحضارة من عادات وتقاليد وأعراف قبلية في المجتمع العربي عوامل تبرر الواقع الاجتماعي وتُكسِبُه الشرعية. أمّا العوامل النفسية فهي أيضاً نتيجة مباشرة لمواقع الأفراد والفئات الاجتماعية في البنى الاجتماعية وأدوارهم في الإنتاج وتقسيم العمل، وهي تتأثر وتؤثر بالحضارة وبتحديد موقع المرأة الاجتماعي، ومع أن التغيير الحضاري والنفسي يؤثر في مكانة المرأة إلا أن ذلك لا يمكن دون إحداث تغيير في النظام الاجتماعي وفي البناء الاجتماعي[٢٢].

استمر التعليم على الطريقة العثمانية إلى نهاية الربع الأول من القرن العشرين وكان يتم من قبل الملالي والكتاتيب، وقد ظهرت بدايات التعليم المدرسي في العراق في عام ١٩١٣، إذ كان هناك ما يقارب ٦٠٠٠ طفل يذهبون إلى المدارس ثم وصل عددهم إلى ٨٠٠٠ موزعين على ٨٨ مدرسة، ثم وصل عدد المدارس إلى ٣١٦٠ مدرسة ابتدائية(٢٣). والملاحظ إن الكثير من المدارس في تلك المدة كانت أهلية تخص الطوائف الدينية كما إن أكثر المدارس كانت مخصصة للذكور[٢٤]، وكان الناس يسيئون الظن بالنساء ويعتقدون إنهن إذا تعلمن تمردن على الرجال.

ومما يجدر ذكره أن محلات المدن آنذاك على كثرة ما فيها من بيوت ومن طبقات مختلفة يندر أن يكون فيها امرأة تقرأ وتكتب، وكانت النساء محجبات لا يخرجن إلا بعباءة ولا يخرجن إلا لزيارة الأقارب والأهل، إذا كانت المرأة في البيت لا يصح لها أن تنظر من الشباك ولا أن تجالس أحداً من الغرباء، وإذا جاء أحد إلى البيت كلمته من وراء حجاب وهي تأتي ما تأتي تبعاً للتقاليد والعرف الجاري، ولم يكن لها لهواً خاصاً، فلا سينما ولا تمثيل وإنما لهوهن الوحيد يقام في المحلة فتأتي نساء مغنيات يغنين للنساء ويرقصن على الطبل،

(٢٢) العطية، فوزية (د)، المرأة والتغير الاجتماعي في الوطن العربي، مؤسسة الخليج للنشر، الكويت، ١٩٨٣، ص١٥.
(٢٣) نفس المصدر، ص٤٢.
(٢٤) عبد اللطيف، سعدون رشيد، تخطيط التعليم الابتدائي في العراق، مطبوعات وزارة التربية، بغداد، ١٩٧٢، ص٤٥-٤٦

وهذا كان السبب في إطالة أيام العرس وتنوع اللهو فيه، حتى يفرج عنهن، كانت المرأة تعيش في بيت أبوي السلطة، فكان الأب فيه كل شيء، هو الذي يمسك ميزانية البيت، وهو الذي يشرف على أخلاقه، وهو الذي يسمح للمرأة بالخروج وعدم الخروج، وعلى الجملة كان هو كل شيء في البيت لا رأي بجانب رأيه ولا أمر بجانب أمره، وهو الذي يقتصد أو ينفق، يجمع في يديه قوة الكسب وقوة الإنفاق، وقد حمل المرأة على الرضا إن أغلب البيوت في ذلك الوقت كان على هذا النمط، فهي تنظر حولها فلا تجد إلا مثيلاتها، والسلطة الأبوية في تاريخ الأسرة معروفة مشهورة، مرت عليها كل البيوت تقريباً، وهذا يطبع الأبناء عادة بطابع الدكتاتورية، فهم يرثون من آبائهم السلطة المطلقة، إذا كوّنوا لأنفسهم أسر جديدة، ولذلك كانت هناك حرب عوان بين النساء لاسترداد سلطتهن وبين الرجال لرغبتهم في السلطان[٢٥].

وهناك أمثلة شعبية تؤيد ما ذهبنا إليه، إذ كان يرددها أغلب الناس في ذلك الوقت تحث على مكوث المرأة في البيت وعدم خروجها منه كالمثل الذي يقول:

«المرأة سترها بيتها» أو «البنية بلية» تنبيهاً لسلوك البنت وتصرفاتها قبل الزواج، وقد قيل عنها أيضاً بأنها «تجلب لك العار لباب الدار» وهناك مثل آخر يقول إن «الرجال يصير حوصلته زغيرة»، وذلك لحث المرأة على مداراته والابتعاد عن كل ما يزعجه، وهناك مثل آخر يحث الأب على تزويج ابنه قبل سن الشباب «الرجال ستر المرأة» وهناك مثل آخر يقول إن «الرجل لو خفت ما كفت» وهو يضرب لضرورة ملازمة المرأة لبيتها، وهناك مثل يقول «زوج بنتك وطلع عارك من بيتك» أو «عجل بيها قبل متكبر مصايبها».[٢٦]

كل هذه الأمثال تؤكد حقيقة واحدة، هي أن الرجل يتخوف من المرأة، لذلك فإنه يحيطها بالشك والريبة مما يقيد سلوكها ويخلق عندها الإحباط والشعور بالنقص، فالرجل يجهل الأساليب التربوية الإيجابية في تربية الأولاد بنين وبنات، لذا فإنه يتعجل في تزويج ابنته وعدم المماطلة عند وجود الخاطب المناسب خشية انزلاقها نحو الرذيلة بعد بقائها

(٢٥) أمين، أحمد (د)، فيض الخاطر، ج٩ مصدر سابق، ص١٥٠-١٥١.
(٢٦) البزركان، رفعت رؤوف، المرأة العربية في الأمثال الشعبية، لا يوجد دار نشر وسنة طبع، ٣-١٧.

أمداً طويلاً بدون زواج، وليس بقائها دون زواج سبباً في جلب العار لأسرتها بل التربية هي السبب في ذلك.

يفسر د. علي الوردي حجاب المرأة بالقول: إن عادة غسل العار كانت قد استبدلت آنذاك بعادة حجر المرأة والتشديد في مراقبتها وهذا هو الذي جعلها شديدة الحذر والحياء، فهي تخشى الرجال خشية بالغة، وتتزمت في سلوكها تجاههم، فأي لين يبدو عليها في التحدث معهم أو في مخاطبتهم، يثير حولها، الأقاويل والشبهات وقد يؤدي بها إلى الموت الزؤام، أو العار الدائم، وقد اعتاد الرجال هذا التّزمت من المرأة، لذلك تعودت المرأة المكوث في بيتها، لأن في ذلك دلالة على عفتها وشرفها، فهي قد لُقّنت منذ الطفولة على أن تكون محجبة لا تخرج من البيت إلا عند الضرورة القصوى، وتفخر بعض العوائل بأن نسائهم لا يشاهدن الشوارع إلا نادراً، فإذا اضطرت إحداهن على الخروج حاولت أن تتجنب الطرق المزدحمة لكي لا يرى هيكلها المحجب، لقد تأثر الرجل بقيم المرأة وتأثرت المرأة بقيم الرجل، لذا صار لكل منهما قواعده الخاصة.

كانت ولا زالت معايير التفكير وقوانينه تؤخذ من مصطلحات المجتمع وتبنى على أساس قيمه وتقاليده، ومن الصعب جداً أن تقنع فرداً ما على رأي يخالف ما تعود عليه من مصطلحات اجتماعية، فالرجل الذي ينشأ بين جماعة محافظة، تؤمن بمكوث المرأة في البيت أو تعتبره دليلاً على عفة المرأة وعلى شرفها، فهذا الرجل قد ارتبط في عقله مفهوم مكوث المرأة في البيت بمفهوم الشرف والعفة، وتركزت في أعماق نفسه حقيقة منطقية لا تقبل الشك مؤداها إن المرأة التي تكثر الخروج من منزلها لا عفة لها ولا شرف في عائلتها.[٢٧]

الملاحظ إن السياسات التربوية في العهود الجمهورية في أغلب المجتمعات العربية قد نصت في دساتيرها على حق المرأة في التعلم، لكن رغم ذلك فقد تأثر التعليم بالنسق القيمي من عادات وتقاليد وأعراف، لذا فقد بدأ تعليمهن متأخرا عن تعليم الذكور، الأمر الذي انعكس على تطور التعليم النسوي كماً ونوعاً، ورغم ذلك فهناك مؤشرات كمية تشير

(٢٧) الوردي، علي (د)، شخصية الفرد العراقي، لايوجد مكان وتاريخ نشر، ص٣١.

إلى تزايد أعداد الدارسات مقابل الدارسين، وإلى تساوي فرصهن نسبياً مع فرص الذكور، إذ تزايدت نسب التحاق المرأة بالتعليم من ٢٠٪ ابتداء من ستينات القرن العشرين إلى نهاية القرن حتى وصلت إلى ٥٠٪ في نهاية القرن[٢٨].

مما تجدر الإشارة إليه أن تخلف تعليم المرأة لا سيما في الريف يعود إلى عدة أسباب، لعل أهمها وجود الأنساق القيمية، فالمرأة صمم تعليمها لكي يهيئها لأن تصبح ربة بيت وزوجة مطيعة أكثر مما يهيئها لدخول سوق العمل.

بمعنى أن المجتمع العربي أهمل المرأة فأهملته، وهو حين يتحدث عن الإنسان العربي إنما يقصد الرجل فقط، فلا غرور إذا ما أصبحت المرأة عائقاً في مسيرة تقدمه لأنها بالإضافة إلى كونها عضواً غير فاعل في المجتمع فإنها تعوق تقدمه، لذا فإن تخلفها الفكري يحول دون إبداع الذكور (الزوج والأولاد) وبالتالي في نوعية عملهم وعطائهم. بمعنى أن تخلفها ينعكس على المجتمع ككل من خلالهم هم بفعل تأثيرها الهام فيهم[٢٩].

الواقع أن الحملة التي تشن ضد عقل المرأة والزعم بعدم قدرتها على الفكر والقول بأن تاريخ الفكر هو تاريخ المفكرين من الرجال، هذه الحملة تتغافل الدور البارز الذي تلعبه الظروف الاجتماعية والدينية... إلخ واستعباد الرجال للنساء وسيطرتهم عليهم طويلاً وما ترتب على ذلك كله من عدم إتاحة الفرصة للنساء للتعليم، وإظهار قدراتهن العقلية.[٣٠]

أضيف إلى ذلك أن الرجال لا يريدون أن تكون المرأة المرتبطة بهم مجرد عبد، بل تراهم يرغبون في أن تكون عبداً بإرادتها ورغبتها وليس بالإكراه، لذا فإنهم استخدموا جميع الوسائل لاستعباد عقول النساء وهاهنا لعبت التربية دور بارزاً لتحقيق هذا الغرض، وهكذا تنشأ المرأة على أن المثل الأعلى لشخصيتها هو النقيض المباشر لشخصية الرجل.[٣١]

ما زال الإثنان وربما المرأة بصورة أكبر مشدودين لـ (الذات التقليدية) الحافظة

(٢٨) العطية، فوزية (د)، المرأة والتغيير الاجتماعي، مصدر سابق ص٧٢.
(٢٩) نصار، كرستين (د)، مواقف الأسرة من اضطراب الطفل، مصدر سابق، ص١٣٠.
(٣٠) إمام، إمام عبد الفتاح (د)، نساء فلاسفة، دار التنوير للنشر، الكويت، ٢٠٠٩، ص١٢.
(٣١) مل، جون ستيوارت، استعباد النساء، دار التنوير للنشر، الكويت، ٢٠٠٩، ص١٤.

لتوزيع القـوة في المجتمـع، فلا يـرغب الـرجل في الثورة عليها، إذ بها تتحقق استمرارية هيمنته، ولا تتجاسر المرأة بالتمرد عليه، ورغم إن واقع المرأة الحديث ودورها قد تغير كثيراً عن السابق إلّا أن هذا التغيير لا يزال محدود التعمق في ذات المرأة وذهنية الرجل ومواقفه، ومحدود الانتشار بالنسبة للقطاع النسائي، فالتعليم كنظام جاء ليتكيف إن لم يكن لينسجم في وظائفه مع وظائف حاجات بنية المجتمع وعلاقاتها ذات الحساسية الشديدة نحو المرأة[٣٢].

إن التعليم بشكل عام وفي جميع مراحله يتميز بالضعف العام، لأنه يركز على الحفظ دون الفكرة، وطريقة التعليم هذه أي الحفظ تشكل السبب الرئيسي المسؤول عن عجز الثقافة في مجتمعنا في المساهمة في بلورة الشخصية الفردية رغم حصول الفرد على أعلى الشهادات التعليمية، فالمجتمع يغص بحاملي الشهادات العليا ومع ذلك لا تأثير ثقافي لهم، لأن التأثير في المجتمع وحضه على التغيير والتطور تتطلب من الفرد إبداعاً ووعياً شخصيين.[٣٣]

ندعو المرأة العربية المسلمة إلى أن تستعيد الثقة بنفسها، وتنفض عنها غبار السنين الطويلة من الجهل والتخلف، دعوة لنبذ الفكرة الساذجة (أن عقل المراة أقل من عقل الرجل)، أو أن تفكيرها يغلب عليه العاطفة والانفعال، وأن أحكامها يسيطر عليها الإندفاع والتهور، وتنقصها الرؤية والتدبر، فلا الدين يقول شيء من ذلك، ولا التاريخ يشهد بصحة شيء منه، والواقع أن هذه الفكرة الساذجة قال بها أرسطو ثم شاعت في العالمين العربي والغربي، وأصبحت هي المرشد عن النساء، وأصبحت المرأة (رجلاً ناقصاً) لا دور لها في هذه الدنيا سوى الإنجاب وتربية الأولاد[٣٤].

(٣٢) لنجار، باقر، المرأة في الخليج العربي وتحولات الحداثة العسيرة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٨٦.

(٣٣) نصار، كريستين، مواقف الاسرة من اضطراب الطفل، مصدر سابق، ص١٢٥.

(٣٤) إمام، إمام عبد الفتاح (د)، نساء فلاسفة، مصدر سابق، ص٧.

ثالثاً - الخلاصة والتوصيات

١- الخلاصة

دعا الإسلام إلى تعليم المرأة وحث القرآن على التعلم وأمر الرسول الكريم ﷺ أصحابه أن يعلموا أولادهم القراءة والكتابة، وهناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعوا إلى طلب العلم، وهي لعامة المتعلمين من الرجال والنساء إذ الخطاب شامل للجميع ومع هذا فإن هناك نصوص خاصة تشير إلى أهمية تعليم النساء العلم الشرعي الذي يعرفهن الحلال من الحرام.

شهد تاريخ الإسلام نساء متعلمات كالشفاء بنت عبد الله العدوية والسيدة عائشة زوجة الرسول محمد ﷺ وحفصة رضي الله عنها. كما ويذكر لنا التاريخ تعليم الجواري في العصور الأموية والعباسية وذلك من أجل الحصول على المال عند بيعهن، وما عدا ذلك لم يكن هناك تعليم لعامة نساء المسلمين، إذ كان التعليم يقتصر على نساء الطبقات العليا في المجتمع، أي النخب الحاكمة على مدى العصور الإسلامية، العصر الأموي فالعباسي فالعثماني، وحتى المدارس النظامية التي أنشئت في عهد السلاجقة على يد نظام الملك (الوزير السلجوقي) لم يكن فيها تعليم للنساء، بل على العكس من ذلك، إذ شهدت هذه الفترة من تاريخ الإسلام والفترات التي تلتها خاصة (الفترة العثمانية) تدهور اجتماعي خطير في المجتمع العربي، إذ تخلف المجتمع خلال هذه الفترة، وكانت الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية حائلاً دون تطويره أو تقدمه، فتوارت المرأة عن الأنظار، وانزوت خلف جدران البيت، فكان عملها داخل البيت لا تخرج منه إلا للضرورة القصوى. فهي لا تساهم في تقدم المجتمع، وما إن جاء القرن التاسع عشر حتى انبرى لفيف من المفكرين العرب الذين تأثروا بأفكار الثورة الفرنسية فدعوا إلى تحرير المرأة وانتشالها من التخلف والجهل، وضلت هذه الدعوات تصدح إلى أن جاء القرن العشرين ومع بدايته كان هناك مجموعة من النساء يتلقين العلم في بعض المدارس الأهلية، ثم تطور تعليم المرأة بتطور التعليم وانفتاح المدارس.

لكن رغم ذلك فإن تعليم المرأة لم يساهم مساهمة فاعلة في تحريك قضاياها وتحريرها من بعض القيود الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد، فضلاً عن ذلك فإن

المرأة اهتمت بالوظائف الخدمية التي تناسب طبيعتها وأهملت وظائف أخرى كان المجتمع بمسيس الحاجة إليها.

٢- التوصيات

١- ضرورة قيام الجهات المهتمة بالتربية والتعليم بحث أولياء أمور البنات على إرسالهن إلى المدارس.

٢- ضرورة الاهتمام باستمرارية تعليم الفتاه حتى وصولها إلى التعليم الجامعي دون انقطاع.

٣- ضرورة العناية بتعليم الفتيات في المناطق الريفية وعدم السماح لهن بترك مقاعد الدراسة في وقت مبكر.

٤- حث الباحثين في شؤون المرأة القيام بدراسات مستفيضة عن تعليم النساء في المجتمع العراقي وإظهار الصعوبات التي تواجه تعليم الفتاة.

المصادر العلمية

١- الديوه جي، سعيد، التربية والتعليم في الاسلام، مكتبة التراث العربي، الموصل، ١٩٨٢.

٢- الإسلام وتعليم المرأة، منوعة، ٢٠٠٣/٧/٢٦

٣- تعليم المرأة في الإسلام، ٢٠٠٩/١٠/٢٥، منتدى الإسلام.

٤- المنهج النبوي في تعليم المرأة ٢٠٠٨/٥/٢٨، منتدى المرأة المسلمة.

٥- رجا، فاطمة محمد، اثر مشكلتي الاختلاط والمنهاج التعليمية على تعليم الفتاة المسلمة في الجامعات الاردنية، الجامعة الاردنية، جامعة اليرموك، ١٩٩٤.

٦- الظاهر، احمد جمال (د)، المرأة العربية، دار الكندي، اربد، ١٩٨٧، ص١٢٤.

٧- شبلي، احمد (د)، تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف للنشر، بيروت، ١٩٥٤، ص٣٢٠.

٨- شلق، علي واخرون، ندوة حول المراة ودورها في حركة الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٧-٢٩.

٩- أمين، احمد فيض الخاطر، مكتبة النهضة المصرية، ج ٣، القاهرة، لايوجد سنة طبع، ص٩٤.

١٠- الزهراني، معجب (د)، موقف الغزالي من المراة يعود إلى اسباب مرضية وابن حزم اسس لفكر المحبة.

١١- اركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٩٥.

١٢- نفس المصدر السابق.

١٣- نصار، كرستين (د)، مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطفل، ج ٥، جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٣، ص٥٢-٥٥.

١٤- العطية، فوزية، المرأة والتغير الاجتماعي في الوطن العربي، مؤسسة الفليح للنشر، ١٩٨٣.

١٥- عبداللطيف، سعدون رشيد، تخطيط التعليم الابتدائي في العراق، مطبوعات وزارة التربية، بغداد، ١٩٧٢.

١٦- البزركان، رفعت رؤؤف، المرأة العربية في الامثال الشعبية، لايوجد دار نشر وسنة طبع.

١٧- الوردي، علي (د)، شخصية الفرد العراقي، لايوجد مكان وتاريخ نشر.

١٨- النجار، باقر، المرأة في الخليج العربي وتحولات الحداثة العسيرة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠.

١٩- مل، جون ستيوارت، استعباد النساء، دار التنوير للنشر، الكويت، ٢٠٠٩، ص١٤.

٢٠- امام، امام عبد الفتاح (د)، نساء فلاسفة، دار التنوير للنشر، الكويت، ٢٠٠٩، ص١٢.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

١٢- معالم الرعاية النبوية للموهوبين
زيد بن ثابت - أنموذجاً -

• د. أحلام محمود علي مطالقة
Ahlam mahmoud matalkah

ملخص البحث

هدفت الدراسة إلى بيان معالم الرعاية النبوية لموهبة زيد بن ثابت ﷺ من حيث سماتها والعوامل المساهمة فيها وآثارها. كما أبرزت الدراسة أهم سمات موهبة زيد ﷺ والتي تمثلت في السمات العقلية والوجدانية والاجتماعية، كما بينت الدراسة رعاية النبي ﷺ لموهبة زيد ابتداءً من الكشف عنها وانتهاءً بتوجيهها وتوظيفها، ممّا كان له أثر في المجالات العلمية والادارية والاجتماعية.

Aspects of prophet's care for those talented Zaid Ben Thabit as a modle

Abstract

The study aimed at bringing the aspects of prophet's care for the talent of Zaid Ben Thabit (allah be pleased with him) in the open in terms of its traits, the factors playing arole in it besides its cones quences. More over, the study has centered upon the features of Zaid's talent, which was embodieol in to the intellectual, emotional and social traits. In addition, it has un veiled the great role played by the prophet in discovering Zaid's talent starting from its origins and ending with guiding and employing it which winded up with positive and fruitful impact in scientific, administrational and social aspects.

• أستاذ مشارك – قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك/الأردن.
البريد الإلكتروني: *ahlam_matalkah @yahoo. com - matalqa@yu. edu. jo*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وبعد...

السنة النبوية منهج حياة، وذلك أنّ السنة وحي إلهي جاءت لبيان القرآن الذي بدوره دستور الأمة ونبراس هدايتها، فالسنة فيها تفاصيل هذه الهداية وهي منهج حياة الأمة في التشريع والسياسة والاقتصاد والتربية والأخلاق، ويستطيع المستقصي للسنة النبوية أن يستخلص نماذج للتعامل مع شرائح المجتمع جميعها ومن ثم التربية بمفهومها الشامل وذلك من خلال منهج النبي ﷺ في التعامل مع الصحابة والصحابيات والصغار والكبار، والصديق والعدو بل هناك شريحة اهتم بها ﷺ وهم ذوو الإحتياجات الخاصة (الموهوبون).

حيث قام النبي ﷺ بالتعامل مع الموهوبين بطريقة تكشف عن مواهبهم وتدعمها، وتبث روح الإبداع وتنميها، مما يمكننا من استقصاء منهج متكامل في التعامل مع الموهوبين ابتداءً من اكتشافها وتحديد خصائصها، وانتهاءً ببيان وسائل الكشف عنها وسبل تنميتها والعوامل المؤثرة فيها.

وهذا بدوره قد يشكل أساساً يسير عليه الوالدان والتربويون والقادة في اكتشاف الموهوبين وسماتهم وسبل تنمية مواهبهم ورعايتها، مما قد يؤدي إلى اكتشاف هذه الفئة ليكون لها دور فاعل لخدمة الأمة ودينها، الذين هم بحق رصيد الأمة الحقيقي وأساس نهضتها.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

تكمن مشكلة الدراسة في ضعف قدرة المربين أو ولي الأمر أو المربي عن اكتشاف الموهوبين فضلاً عن التعامل معهم، مما قد يشكل عائقاً أمام هذه الفئة أو أن تبقى تلك الموهبة دفينة لا يستفاد من معطياتها في الواقع، لذا جاءت هذه الدراسة محاولة أن تضع إشارات تسهم في اكتساب الولي القدرة على اكتشاف الموهبة والتعامل معها، ومن هنا فإن مشكلة الدراسة تكمن في الإجابة عن السؤال المحوري الآتي: ما المنهج النبوي في رعاية الموهوبين زيد بن ثابت – نموذجاً –؟

ويتفرع عن مشكلة الدراسة، الأسئلة الفرعية الآتية:

١- من هو الموهوب وما خصائصه؟

٢- ما معالم الرعاية النبوية لموهبة زيد بن ثابت ﷺ.

٣- ما سمات موهبة زيد ﷺ والعوامل المساهمة فيها وآثارها؟

منهجية الدراسة

اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي، من خلال تتبع الأحاديث النبوية مع زيد بن ثابت في كتب الحديث، ثم القيام بتحليلها بعد الرجوع إلى كتب أهل الاختصاص من الباحثين التربويين للخروج بتصور كامل حول المنهج النبوي في التعامل مع الموهوبين.

المبحث الأول: مفهموم الموهوب وخصائص الموهوبين

المطلب الأول: مفهوم الموهوب لغةً واصطلاحاً

الموهوب لغة: كل ما وهب لك فهو موهوب، والموهبة هي الهبة وجمعها مواهب[١]. ووهب له شيئاً وهباً أعطاه إياه بلا عوض[٢]. فالموهبة استعداد فطري لدى المرء للبراعة في فن أو نحوه[٣].

الموهوب اصطلاحاً: اختلف الباحثون في تعريفهم للموهبة اختلافاً واضحاً، يعود اختلافهم إلى اختلاف الاتجاهات النظرية، والخبرات العلمية التي ينطلقون منها في تحديد مجالات التفوق التي يعدونها أكثر أهمية في تحديد الموهبة[٤].

---

(١) ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٩٠، ٨٨٨/١٤.

(٢) إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، د. ط، ج١، ص١٠٥٩.

(٣) المرجع نفسه، ١/ ١٠٥٩.

(٤) الزعبي، أحمد محمد، التربية الخاصة للموهوبين والمعوقين وسبل رعايتهم وإرشادهم، دمشق، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٣، ص٥٢.

المطلب الثاني:

خصائص الموهوبين

يمتاز الموهوبون بخصائص تميزهم عن غيرهم، ولقد تركت الدراسات والبحوث التي أجريت على الموهوبين منذ العشرينيات إلى الثمانينات رصيداً هائلاً من المعلومات عن الخصائص التي تميزهم، ويمكن عرض أبرز الخصائص العامة للموهوبين في الجوانب الآتية[٥]:

- **الخصائص العقلية.**
- **الخصائص الجسمية.**
- **الخصائص الاجتماعية.**
- **الخصائص الوجدانية (الانفعالية).**

الخصائص العقلية

تعدّ الصفات العقلية من أهم الصفات التي تميز المتفوقين عن غيرهم من العاديين، وهذا يظهر في ارتفاع معدل النمو العقلي لديهم عن معدل النمو العقلي للطفل العادي ويصل الموهوب إلى مستوى عقلي أعلى من المستوى الذي يصل إليه قرينه[٦].

وخاصة في القدرات العقلية العامة، والقدرات العقلية الأولية، وفي سمات أخرى مثل: حب الاستطلاع، الأصالة، والطلاقة الفكرية واللفظية، والقدرة على حل المشكلات، والتفكير الاستدلالي، وقوة الإرادة والمثابرة، والرغبة في الإمتياز والتفوق، والذوق العام، أيضاً القدرة على الربط المنطقي، وطول الإنتباه واليقظة العقلية، والذاكرة والتركيز، والقدرة على التعميم، وكثرة الاهتمامات، وعمقها وتشعبها[٧].

---

(٥) الجديبي، رأفت محمد علي، رعاية الموهوبين في ظل منهج التربية الإسلامية، جدة، شمس للطباعة، ط١، ٢٠٠٤م ص٢٩-٣٠.

(٦) شقير، زينب محمود، رعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين، ص٤٥.

(٧) الزيات، فتحي مصطفى، المتفوقون عقلياً ذوو صعوبات التعلم، د، ن، د، ط، د، ت، ص١٠٥.

كما يمتاز الموهوب بقدرة عالية على التفكير والابتكار وحل المشكلات بطرق إبداعية غير مألوفة[٨].

كما أنهم مغرمون بالتطلع للمستقبل، ويهتمون بالتنقيب والبحث عن أصل الأشياء[٩].

الخصائص الجسمية

إنّ النمو الجسمي والحركي لفئة الموهوبين يسير بمعدل أكبر قليلاً عن معدل النمو بين العاديين[١٠]. كما أثبتت دراسات تيرمان أنّ الأشخاص المتفوقين عقلياً كانوا في طفولتهم قد ساروا في نموهم أسرع من غيرهم وسبقوهم في المشي والكلام[١١]، وقلة عيوب السمع والبصر، كما أنهم أكثر طولاً وأقوى بنية وأوفر صحة مقارنة بغيره من زملائه[١٢].

لكن التفوق في الخصائص الجسمية للموهوبين لا ينطبق على كل الموهوبين، بل قد يكون بعض الموهوبين ذوي بنية جسمية ضعيفة[١٣]، مما يشير إلى أنّ الخصائص الجسمية التي يتميزون بها ليست دليلاً على الموهبة وإنما مصاحبة لها[١٤]، فينبغي أن توليهم اهتماماً خاصاً صحياً وبدنياً[١٥].

الخصائص الاجتماعية

تؤكد كثير من الدراسات وجود ارتباط موجب بين التفوق العقلي والتوافق الشخصي والاجتماعي، كما تؤكد الدراسات أنّ المتفوقون يفضلون صحبة الكبار ومن أعلى منهم في

---

(٨) شقير، زينب محمود، رعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين، ص ٤٦.

(٩) طنطاوي، رمضان عبد الحميد، الموهوبون أساليب رعايتهم وأساليب تدريسهم، عمان، دار الثقافة، ط١، ٢٠٠٨م، ص٣١.

(١٠) بواليز، محمد عبد السلام والمعايطة خليل عبدالرحمن، الموهبة والتفوق، ص، ٥٥.

(١١) شقير، زينب محمود، رعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين، ص٥٢.

(١٢) المرجع نفسه، ص ٥٣.

(١٣) الجديبي، رأفت محمد علي، رعاية الموهوبين في ظل منهج التربية الإسلامية، ص ٣٣.

(١٤) الزيات، فتحي مصطفى، المتفوقون عقلياً ذوو صعوبات التعلم، ص ١٠٩.

(١٥) الزعبي، أحمد محمد، التربية الخاصة للموهوبين والمعوقين وسبل رعايتهم وإرشادهم، ص ١٠٩.

المستوى العقلي، ولعلّ من أسباب بعض الميول الانفرادي لدى المتفوقون عقلياً أنهم بسبب مستواهم العقلي المرتفع لا ينجذبون إلى الأنشطة التي تستهوي العاديين في مثل سنهم[١٦].

ومن الخصائص الاجتماعية للموهوبين:

- أنّ لديه توافقاً اجتماعياً مرتفعاً.
- له علاقات اجتماعية ناجحة مع الطلاب.
- له علاقات اجتماعية ناجحة مع الوالدين.
- أنه جدير بالثقة.
- شديد التأثير في المقربين منه.
- لديه قدرة عالية على القيادة.
- لديه القدرة على حل المشكلات وإدارة الحوار والنقاش.
- لديه إحساس بالمسؤولية[١٧].

الخصائص الوجدانية

يقصد بالخصائص الوجدانية تلك الخصائص التي لا تعد طبيعة معرفية أو ذهنية ويشمل ذلك ما له علاقة بالجوانب الشخصية والعاطفية[١٨].

وتلخص بعض الدراسات التربوية أهم الخصائص الوجدانية للموهوب في الآتي[١٩]:

- يتمتع الموهوب بمستوى من التكيف والصحة النفسية بدرجة تفوق أقرانه.
- يتوافق بسرعة مع المتغيرات المختلفة والمواقف الجديدة.
- يعاني من بعض أشكال سوء التكيف والجنوح والإحباط أحياناً نتيجة نقص الفرص المتاحة في المدرسة لمتابعة اهتماماته الخاصة.
- يتخلى بدرجات عالية من الاتزان الانفعالي ولا يضطرب أمام المشكلات التي تواجهه.

---

(١٦) الزيات، فتحي مصطفى، المتفوقون عقلياً ذوو صعوبات التعلم، ص ١٠٨، (بتصرف يسير).

(١٧) شقير، زينب محمود، رعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين، ص ٥٤.

(١٨) جروان، فتحي عبد الرحمن، الموهبة والتفوق والإبداع، دمشق، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٩م، ص١٣٥.

(١٩) الجديبي، رأفت محمد علي، رعاية الموهوبين في ظل منهج التربية الإسلامية، ص ٣٧.

- سريع الرضا إذا غضب ولا يميل إلى التحامل والتعصب.
- سريع الغضب وعنيد ولا يتخلى عن رأيه بسهولة.

ويذكر البعض أنّ تلك الصفات والخصائص للموهوبين قد توجد عند البعض ولا يشترط اجتماعها في شخصية واحدة، ويذكر آخرون أنه ليس ضرورياً أن يكون كل من يتصف بهذه الصفات يكون طفلاً نابهاً وبارزاً، إلا أنّ الأطفال الموهوبين يميلون كمجموعة للاتصاف بهذه الصفات[٢٠].

بمعنى آخر أنّ بعض الدراسات أوضحت أنّ الفروق التي يمكن أن توجد بين المتفوقين والعاديين، أو بين المتفوقين أنفسهم إنما هي أساساً فروق في الدرجة لا في النوع. وأنّ هذه الصفات عند جميع الأفراد مع فارق في وجود درجة الصفة لا في نوعها[٢١].

المبحث الثاني: الرعاية النبوية لموهبة زيد بن ثابت ﷺ

المطلب الأول الدلائل العامة لموهبة زيد بن ثابت ﷺ

قبل الخوض في رعاية النبي ﷺ لموهبة زيد بن ثابت ﷺ لا بد أن نبين الدلائل العامة التي اتصف بها هذا الصحابي الجليل لإثبات تفوقه وبروزه.

وقد تبين لنا أنّ الموهوب:«هو الذي يزيد استعداده العقلي وأداؤه عن معايير عمره وأن يفوق أقرانه في قدراته العقلية.»[٢٢] والمتأمل في سيرة الصاحبي الجليل زيد بن ثابت ﷺ يلمس هذا واضحاً لا سيما في القدرات العقلية وفي كتابته للوحي وفي جمعه للقرآن على وجه الخصوص، وفي ذلك يقول زيد: «أتى بي النبي ﷺ مقدمة المدينة فأعجب بي فقيل له هذا غلام من بني النَجار قد قرأ فيما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة فاستقرأني فقرأت

(٢٠) الجديبي، رأفت محمد علي، رعاية الموهوبين في ظل منهج التربية الإسلامية، ص٣٨.
(٢١) الجديبي، رأفت محمد علي، رعاية الموهوبين في ظل منهج التربية الإسلامية، ص ٣٨، نقلاً عن محمد علي محمد، دراسة تحليلية لشخصية الطلاب المتفوقين في جمهورية مصر العربية والمتطلبات التربوية والنفسية لرعايتهم، من مجلة **التربية الحديثة**، الجامعة الأمريكية، العدد الثالث، مصر. ١٩٧٠م.
(٢٢) سليمان، عبد الرحمن، المتوفوقون عقلياً، ص١٧.

فقال لي تعلم كتاب يهود فإني ما آمن يهود على كتابي فتعلمته في نصف شهر حتى كتبت له إلى يهود وأقرأ له إذا كتبوا إليه»[٢٣].

إذاً تعلم زيدٌ اليهودية في نصف شهر، كما تعلم السريانية في سبعة عشر يوماً وفي ذلك يقول زيد: «قال لي رسول الله ﷺ: أتحسن السريانية؟ قلت: لا، قال: فتعلمها، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً»[٢٤].

ومن دلائل موهبة زيد أيضاً، قوله ﷺ «أفرض[٢٥]. أمتي زيد بن ثابت»[٢٦].

قلت: نستخلص مما سبق الإشارة إلى نبوغ زيد منذ صغره، وشدة حفظه وذكائه وبيان حرص النبي ﷺ واعتنائه بفئة الشباب وتوجيه طاقاتهم وقدراتهم إلى ما فيه إصلاح المجتمع، ونستخلص أيضاً جواز تعلم اللغات فمن تعلم لغة قوم أمن شرهم ومكرهم.

المطلب الثاني: وسائل الكشف عن موهبة زيد رضي الله عنه

إنّ اكتشاف الطفل الموهوب أمر غير يسير، لذا أجمع التربويون على أهمية الكشف المبكر عن الموهوبين للتعرف على ما يملكونه من قدرات عقلية عامة وخاصة، والاستفادة من إمكاناتهم واستعداداتهم وقدراتهم، وهناك عدة أساليب تربوية للكشف عن الموهوب نلخصها في الآتي[٢٧]:

١- الملاحظة

تساهم الملاحظة إلى حد كبير في تشخيص الموهبة، فهي تعتبر مورداً خصباً

---

(٢٣) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د. ط، ١٣٧٩هـ، ج١٣، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام، حديث رقم (٦٧٧١)، ص١٨٦.

(٢٤) المرجع نفسه.

(٢٥) أي أعلمهم بعلم الفرائض، «المواريث».

(٢٦) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، د. ت، ج٢، ص٤٢٦.

(٢٧) الزعبي، أحمد محمد، التربية الخاصة للموهوبين والمعوقين وسبل رعايتهم وإرشادهم، ص٥٩.

للحصول على المعلومات.

ويتضمن هذا الأسلوب ملاحظة الأفراد والجماعات في المواقف الاجتماعية وهنا نذكر موقفاً لاحظ فيه النبي ﷺ موهبة زيد بن ثابت رضي الله عنه من خلال سرعة البديهة والفهم الدقيق.

وهو عندما أراد زيد أن يشارك في معركة بدر الكبرى لينال شرف الجهاد في سبيل الله، أقبل على النبي ﷺ وقال: جُعلت فداك يا رسول الله، إئذن لي أن أكون معك وأجاهد أعداء الله فنظر إليه النبي ﷺ نظرة سرور وإعجاب، وطيب خاطره ورده لصغر سنه، وبعد أن ردّه ﷺ وقف زيد مع نفسه وقفة صدق ينظر ويتأمل في مواهبه وإمكاناته وكيف يستخدمها لنصرة الإسلام، وإذ به أنّ الله يمن عليه بنعمة الحفظ الجيد والذاكرة المتوقدة، ومحبته للعلم والإقبال على طلبة، فأخبر أمه برغبته الشديدة في طلب العلم، وقامت بدورها لتخبر قومها بذلك فقام رجالٌ من قومه وأقبلوا على رسول الله ﷺ: «عن زيد بن ثابت قال: أتى بي النبي ﷺ فقالوا: يارسول الله هذا غلام من بني النّجار وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك وقال: يا زيد تعلم لي كتاب يهود، فإني والله ما آمنهم على كتابي، قال: فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حتى ذقته، وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب لهم»[٢٨]. وهنا لا بد للمسلم أن يقف مع نفسه وينظر في مواهبه، وإبداعاته لنصرة دينه، ولعلّ ذلك من الحوافز التي يمكن أن تدفع المسلم إلى أن يوظف إبداعاته فيما يخدم أمته ومجتمعه.

٢- اكتشاف القدرات الإبداعية

تعدّ القدرة الإبداعية إحدى الأبعاد الأساسية المكونة للموهبة والتفوق، فالفرد موهوباً إذا تميز عن أقرانه المناظرين له في العمر الزمني في قدراته الإبداعية وفي قدراته على التفكير الإبداعي حيث هو مؤشر أساسي يدل على الموهبة[٢٩]، إذ يمكن القول أنّ العملية الإبداعية سلسلة من الخطوات والمراحل يقوم بها الشخص المبدع وذلك عند توضيحه

(٢٨) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٣، حديث رقم (٦٧٧١)، ص١٨٦.
(٢٩) الزعبي، أحمد محمد، التربية الخاصة للموهوبين والمعوقين وسبل رعايتهم وإرشادهم، ص٦٢-٦٣.

للمشكلة وتحديدها ومن ثم الوصول للنتائج.[٣٠]

وفي حادثة زيد مع النبي ﷺ عندما أمره بتعلم بعض اللغات يدل على ظهور القدرة الإبداعية لزيد، ولايعني أنّ النبي ﷺ أراد أن يقيس القدرة الإبداعية، لكن ظهور إبداع زيد في ذكائه وقوة حفظه أمره ﷺ أن يتعلم بعض اللغات، وكان صغيراً يقارب الثانية عشرة من عمره[٣١]. وهذا يدفع ولي الأمر والمربي أن يهتم بالقدرات الإبداعية ويسعى إلى توجيهها ورفدها بما ينميها إضافة إلى توظيفها بما ينفع.

٣- توجيه المعلم

يعد المعلم أكثر الأشخاص معرفة بالطلبة لذلك يعد حكم المعلم من المحكات التي تستخدم بكثرة في انتقاء الموهوبين[٣٢]. وقد تكرر ترشيح النبي ﷺ لزيد في مواقف عديدة منها:

- قوله ﷺ: «أفرض أمتي زيد بن ثابت»[٣٣].

- وقوله: «أما إنه نعم الغلام»[٣٤].

ويمكن أن نضيف في هذا المجال ما يعرف بترشيح الزملاء أو تقدير الأقران[٣٥]، ومثاله: قول الصديق أبو بكر لزيد إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب لرسول الله ﷺ.[٣٦]

---

(٣٠) سرور، ناديا هايل، تربية المتميزين والموهوبين، عمان، دار الفكر، ط١، ١٩٩٨م، ص٣٠١.

(٣١) ماردیني، عبد الرحيم، رجال حول رسول الله ﷺ، دمشق وبيروت، دار المحبة ودار بيروت، ط١، ٢٠٠٤ م، ص٢٠٦.

(٣٢) أبو فراش، حسين، دليل الأسرة والمعلم لتربية الموهوبين والمبدعين، ص٢٤.

(٣٣) ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ ص٣٥٩.

(٣٤) داوودي، صفوان، أعلام المسلمين، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٩٠م، ص١٤٧.

(٣٥) سليمان عبد الرحمن، المتفوقون عقلياً، ص١٢٥.

(٣٦) البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق مصطفى البغا، اليمامة-بيروت، دار ابن كثير، ط٣ ١٩٨٧م، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القران، ج٤، حديث رقم (٤٧٠١)، ص١٩٠٧.

وذلك حينما رشحه لأن يقوم بمهمة جمع القران الكريم، نظراً لموهبة الضبط والإتقان التي كان يتمتع بها زيد، وقد قام بهذه المهمة خير قيام حينما جمع ما كتب من الصحف وقام بجمعه وضبطه، وبالتالي تم جمع القرآن الكريم التي كانت الخطوة الأولى للجمع الثاني، وبها تم تحقيق حفظ الله للقرآن الكريم.

المطلب الثالث: طرق الرعاية النبوية لموهبة زيد بن ثابت ﷺ

إنّ للبيئة دور مهم في رعاية الموهوبين، حيث يتفاعل الطفل مع هذه البيئة فتمكنه من التعلم والنمو بشكل مناسب[٣٧]، والمتأمّل في سيرة زيد يرى أنّ عمارة بن حزم[٣٨]. كان جاراً للنبي ﷺ وأنّ زيداً نشأ عنده ﷺ وأُكرم بهذا الجوار، حتى أنه لما كان ينزل الوحي كان يدعو زيداً للكتابة، فكان كثير الملازمة للنبي ﷺ.

وفي ذلك يقول خارجة بن زيد: «دخل نفر على أبي، فقالوا: حدثنا عن أخلاق النبي ﷺ فقال: كنت جاره، فكان إذا نزل الوحي بعث إليّ فآتيه فأكتب الوحي»[٣٩].

«ولما رأى النبي ﷺ حرص زيد على ملازمته قابله بالمثل، فكان يأخذه معه إذا ذهب في أمر من أموره، وكانت المدينة آنذاك تعمر بالعلم بقيادته ﷺ»[٤٠].

وهنا يظهر الاستعداد العقلي والتفاعل الاجتماعي لزيد ومن ثم ظهور مواهبه وبروز إبداعه بأساليب عدّة، تتلخص في الآتي[٤١]:

أ- رعاية النبي ﷺ للجوانب العقلية لموهبة زيد.

---

(٣٧) سرور، ناديا هايل، تربية المتميزين والموهوبين، ص٣٠١.

(٣٨) هو زوج أم زيد ثابت.

(٣٩) البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي الكبرى، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، ١٩٩٤م، كتاب النكاح، باب ما كان مطالباً برؤية مشاهدة الحق مع من معاشرة الناس بالنفس والكلام، حديث رقم(١٣١١٨) ج٧، ص٥٢.

(٤٠) داوودي، صفوان، أعلام المسلمين، ص١٥٦.

(٤١) الزيات، فتحي مصطفى، المتفوقون عقلياً ذوو صعوبات التعلم، ص١٠٩.

ب- رعاية النبي ﷺ للجوانب الاجتماعية لموهبة زيد.

هـ- رعاية النبي ﷺ للجوانب الوجدانية لموهبة زيد.

ومن هنا كان الاهتمام بالبيئة المحيطة وتفاعل الموهبة مع الواقع تصقل الموهبة وتبرزها.

(أ) أساليب رعاية النبي ﷺ للجوانب العقلية لموهبة زيد

١- إتاحة الفرصة لزيد بإظهار موهبته

يعدّ هذا الأسلوب من الأساليب الأولى والمهمة في رعاية الموهوب، حيث يقوم المعلم بإتاحة الفرصة للموهوب كي يظهر قدراته وإبداعاته[٤٢]. كما مر معنا في حديث زيد عندما قرأ على رسول الله ﷺ بعضاً من سور القرآن غيباً، عندها فسح النبي ﷺ المجال لزيد كي يظهر مواهبه وقدراته.

ومن هنا يمكن التأكيد على بعض القضايا الخاطئة التي يتعامل بها بعض الآباء مع أبنائهم حينما يقللون من شأن مواهب أبنائهم ولا يعيرونها اهتمامهم، بل قد يقوم بعض الآباء بتسفيه قدرات أبنائهم والحط منها، ممّا يسدّ المنافذ أمام أية موهبة أو فكر إبداعي.

٢- تنمية الميول الإبداعية لزيد

إنّ إدراك اهتمامات الموهوب وميوله خطوة مهمة نحو رعايته والاهتمام به، أما إهمال ميوله فيقتل موهبته لأن الموهبة إشباع لرغبة ذاتية عند الموهوب[٤٣].

ويظهر اهتمامه ﷺ لتنمية ميول زيد عندما أمره وشجعه بتعلم بعض اللغات كاليهودية والسريانية[٤٤].

---

(٤٢) سرور، ناديا هايل، تربية المتميزين والموهوبين، ص٢٨٧.

(٤٣) المرجع نفسه، ص١٣٨، (بتصرف يسير).

(٤٤) داوودي، صفوان، أعلام المسلمين، ص٧٥.

ومن هنا لا بد من كشف مجال الموهبة التي يتمتع بها الوهوب لتوجيهها الوجهة الصحيحة، وإلا لما كان معنى لاكتشاف الموهبة.

٣- تكليفه بحل المشكلات

«إنّ من طرق التدرب على الإبداع أن يتعلم المبدع حل المشكلات ويتم ذلك من خلال التعرف على المشكلة وفهمها وجمع المعلومات وطرح الأفكار للحل ووضع المعايير وتنفيذ الحل الأمثل»[٤٥].

فالنبي ﷺ أثرى المشكلة أمام الصحابة الكرام عندما قال: «تعلموا القرآن وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض وعلموه الناس، فإني امرؤ مقبوض، وإنّ العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف الإثنان في الفريضة فلا يجدان من يقضي بينهما»[٤٦].

فلما طرقت هذه الكلمات مسامع زيد ما كان منه إلاّ أنْ شمَّر عن ساعد الجد لتحصيل هذا العلم والخوض فيه حتى اضطلع به وتصدى له.

(ب) أساليب رعاية النبي ﷺ للجوانب الاجتماعية لموهبة زيد

إنّ للأطفال الموهوبين القدرة على التكيف الإجتماعي السليم إن أُتيحت لهم الفرصة[٤٧].

فقد كان ﷺ يشرك زيداً في كثير من زياراته ويرافقه في تنقلاته، وتتلخص هذه الأساليب:

---

(٤٥) سرور، ناديا هايل، ترتيب المتميزين والموهوبين، ص٢٨٨، (بتصريف).

(٤٦) أبو يعلى، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم، دمشق، دار المأمون للتراث، ط١، ١٩٨٤م، مسند عبد الله بن مسعود، ج٨، حديث رقم (٥٠٢٨)، ص٤٤١.

(٤٧) بواليز، محمد عبدالسلام والمعايطة خليل عبدالرحمن، الموهبة والتفوق، ص٦٢.

١- المخالطة وحسن العشرة

كان الصحابة يتنافسون في حضور مجالس النبي ﷺ وكان زيد من المتنافسين لأنه نشأ في جواره ﷺ وكان يدعوه لكتابة الوحي إذا نزل[٤٨].

٢- مشاركة النبي ﷺ في تنقله

وفي ذلك يقول زيد: كنت أمشي مع النبي ﷺ ونحن نريد الصلاة، ولما رأى حرصي كان يأخذني معه[٤٩].

ومن هنا تتبين العناية النبوية للجانب الاجتماعي للطفولة المبكرة، حيث أن قيام النبي ﷺ بأخذ زيد معه في تنقله فيه تعليم للطفل كيف يعيش مع نفسه، وكيف يعيش مع غيره من الناس، وهذا بدوره يؤدي إلى نمو الشعور بالثقة والتوافق الاجتماعي لدى الطفل.

(ج) أساليب رعاية النبي ﷺ للجوانب الوجدانية لموهبة زيد

إنّ تهيئة المناخ الوجداني المناسب للموهوب يشعر بالأمن والاستقرار واحترام الذات ليتمكن من تدعيم إنجازه.[٥٠]

وتتلخص هذه الأساليب بـ:

١- تنمية الدافعية: ويظهر ذلك من خلال قوله ﷺ: «أفرض أمتي زيد»[٥١]. وقوله: «نعم الغلام»[٥٢]. ومن هنا تعتبر تنمية الدافعية من المبادئ الهامة لرعاية الموهوب، لما له من دور عظيم من استثارة طاقاته وهممه، حتى يصل إلى أقصى ما يستطيع أن يصل إليه.

٢- العطف والحنان: لقد عامل النبي ﷺ زيداً بعطف وحنان عندما كان يخاطبه

---

(٤٨) داوودي، صفوان، أعلام المسلمين، ص ١٥٥، (بتصرف).

(٤٩) المرجع نفسه، ص ١٥٦-١٥٧، (بتصرف).

(٥٠) الزعبي، أحمد محمد، التربية الخاصة للموهوبين والمعوقين وسبل رعياتهم وإرشادهم، ص ٧٩.

(٥١) ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ ص ٣٥٩.

(٥٢) داوودي، صفوان، أعلام المسلمين، ص١٤٧.

بعبارات فيها تودد واحترام، ومثاله قوله ﷺ: «يا أبا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك».

قلت: خرج النبي ﷺ إلى الخندق، وفي ذلك اليوم كان بلاء زيد حسناً حتى سُرَّ النبي ﷺ بذلك وبقي زيد على حاله حتى غلبه التعب، وكان زيد شاباً طري العود، فما كان منه إلاّ أن غلبه النوم، فجاء عمارة بن حزم فأخذ سلاحه وهو لا يشعر، فقال ﷺ: يا أبا رقاد نمت حتى ذهب سلاحك.

المطلب الرابع صفات معلم الموهوبين من خلال رعايته ﷺ لموهبة زيد

يعد معلم الموهوبين ركناً أساسياً في عملية رعاية الموهوبين، لذلك لا بد وأن يتصف المعلم بصفات معينة لإنجاح العملية التربوية الخاصة بالموهوبين[٥٣].

ومن الصفات التي يتصف بها ﷺ كمعلم للموهوبين[٥٤]:

١- **العلم:** فالنبي ﷺ أدرك موهبة زيد وفهم ميوله، وعلم كيفية تنمية مواهبه. ومن هنا لا بد لمعلم الموهوبين أن يكون على علم تام بكل ما يتعلق بفئة الموهوبين، لما لهذه الفئة من خصائص تختلف عن فئة العاديين، بهدف أن تكون نتائج عملية التعليم مفيدة ومثمرة.

٢- **الصبر وسعة الصدر:** من خلال ما ذكر من طرق رعاية النبي ﷺ لموهبة زيد نجد أنه ﷺ لم يتضجر من سلوك زيد، ولم يعنِّفه أو يكبت موهبته.

٣- **الاحترام والتقدير:** ويتضح ذلك حينما كان يصحب زيد معه، وهنا لا بد أن نشير إلى أن التعامل مع المتعلم هو علم وفن بحيث يكون المعلم ديمقراطياً يحترم رأي طلابه ويشجعهم على المشاركة في عملية التعلم.

٤- **المرونة:** من خلال تعدد طرق رعاية النبي ﷺ لزيد. فتارةً يعزز موهبته وتارةً ينمي

---

(٥٣) سليمان، عبد الرحمن، المتفوقون عقلياً، ص١٦١.

(٥٤) عجين، علي ابراهيم مسعود، «رعاية الموهوبين في السنة النبوية -ابن عباس نموذجاً - المجلة **الأردنية في الدراسات الإسلامية**»، المجلد الرابع، ع٤، ص١٦٦.

دافيعته، إضافة إلى أنه منحه الفرص لإظهار قدراته.

٥- **بعد النظر:** فالنبي ﷺ نظر نظرة مستقبلية لموهبة زيد عندما أمره بتعلم بعض اللغات ليكون سفيراً على مستوى الخارج، لا بد لمعلم الموهوبين أن ينقل الموهوب من مجرد تحقيق الذات إلى ما هو أبعد من ذلك وهو خدمة الأمة وتحقيق مصالحها.

٦- **القدوة الحسنة:** كان المثل الأعلى لزيد هو النبي ﷺ، فكان مثله الأعلى في علمه وفي خلقه ودينه، وكل أموره.

المبحث الثالث: سمات وآثار موهبة زيد والعوامل المساهمة بها

المطلب الأول: السمات المميزة لموهبة زيد

وفي هذا المطلب نبين أهم السمات الشخصية لموهبة زيد، وتتلخص في الآتي:

١- السمات العقلية

أ- المراقبة الدقيقة وقوة الملاحظة

كان زيد مجاوراً للنبي ﷺ كما مرّ معنا، وهذه المجاورة كانت سبباً في ملازمته للنبي ﷺ فكان كثير المراقبه للنبي ﷺ حتى أنه يراقبه في مشيته، قال زيد: «كنت أمشي مع النبي ﷺ ونحن نريد الصلاة، فكان يقارب الخطا»[٥٥].

ب- تميزه بقدرات الحفظ والتذكر

ويتضح ذلك من خلال حفظه لبعض سور القرآن وهو في الحادية عشرة من عمره. بالإضافة إلى أنه تعلم اليهودية في نصف شهر، والسريانية في سبعة عشر يوماً[٥٦].

ج- القدرة على حل المشكلات

ويظهر ذلك جلياً في موقفه في سقيفة بني ساعدة، وذلك بعد وفاة النبي ﷺ عندما

(٥٥) داوودي، صفوان، أعلام المسلمين، ص١٥٦.
(٥٦) المرجع نفسه، ص ٢٦.

بدأت بذور الخلاف تظهر بين المهاجرين والأنصار في شأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ. قلت[٥٧]: لما توفي رسول الله ﷺ اجتمع المهاجرون والأنصار لاختيار خليفة للمسلمين فكادت أن تحصل فتنة عظيمة حتى جاء دور القرآن وحملته، بل لقد جاء دور كاتب الوحي الذي استنار بنوره، فقام زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال: إنّ رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ونحن أنصاره وإنما يكون الإمام من المهاجرين ونحن أنصاره فقال أبو بكر الصديق: جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار وثبت قائلكم لو قلتم غير هذا ما صالحناكم.

هـ- الاستعداد الذهني وسرعة البديهة

وذلك في بيانه للفروض. قال النبي ﷺ: «أفرض أمتي زيد»[٥٨]. بالإضافة إلى فتاويه التي كانت مرجعاً لمن بعده من التابعين وغيرهم يأخذون بحكمه ويهتدون بهدايته في ذلك»[٥٩].

٢- السمات الوجدانية

أ- قوة الدافعية

تتصف شخصية زيد بن ثابت رضي الله عنه منذ الصغر بالمثابرة وعلو الهمة فلما حث النبي ﷺ على تعلُّم الفرائض وتعليمها الناس، ما كان من زيد إلاّ أن شمَّر عن ساعد الجد لتحصيل هذا العلم والخوض فيه حتى قام بهذا الأمر أتم قيام وأضطلع به وتصدى له ونهض بأعبائه وداواه بدوائه ودبّره بالصواب من ورائه، حتى غدا بحق أعلم الصحابة فيه وأشهرهم به، كما قال ﷺ شاهداً له بذلك «أفرض أمتي زيد»[٦٠].

ب- الثقة بالنفس وتحقيق الذات

ويتبين ذلك عندما قرأ زيد على رسول الله ﷺ منذ صغره فأعجب بذلك ﷺ بالإضافة إلى ثقته بتعلم اللغات في مدة قصيرة، حتى اضطلع بها وأصبح ترجماناً للنبي ﷺ.

يتبين لنا أن تحقيق الذات يعتبر أساساً في وجدان الموهوب، فهو يسعى إلى تأكيد ذاته وإثبات قدراته، لذلك رأينا ثقة زيد في تعلم اللغات في مدة قصيرة، حتى اضطلع بها

---

(٥٧) ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ، ج٦، ص٧٧. (بتصرف كبير)
(٥٨) ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ص٣٥٩.
(٥٩) داوودي، صفوان، أعلام المسلمين، ص ٤٩.
(٦٠) ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢/ص٣٥٩.

وأصبح ترجماناً للنبي ﷺ.

ج- قبول التحدي

ونلمح سمة أخرى في شخصية زيد، ألا وهي قبول التحدي، «وذلك عندما اختاره ﷺ لكتابة الوحي وهو في سن مبكرة، فلم يمنعه لصغر سنه عن تولي هذه المهمة العظيمة، فكان زيد مكان هذا التحدي حيث بادر بهذه المهمة بأمانة وإخلاص مع غيره[٦١] من الصحابة»[٦٢].

٣-السمات الاجتماعية

أ- القدرة على النقاش والإقناع: كما مرّ معنا في سقيفة بني ساعدة، فالنّقاش والحوار يكشف طريقة التفكير وسرعة البديهة، وكيفية استخدام الأدلة العقلية والمنطقية للإقناع، كما يكشف الجوانب الوجدانية للموهوب.

ب-التوافق الاجتماعي مع الكبار: يتميز زيد بقدرته على التوافق مع الكبار فكان يجالسهم ويحاورهم وهو صغير السن، وكما مر معنا كان زيد ملازماً للنبي ﷺ يذهب معه إلى كل مكان؛ فالقدرة على التواصل الاجتماعي نوع من الذكاء والإبداع الذي لا يتقنه إلا من تميز بسمات خاصة ولا سيما في مرحلة الطفولة المبكرة.

ونعني بالتوافق الاجتماعي هنا أنه قد تمرس على مجالس الكبار فلا يهاب الحديث والحوار والنقاش.

جـ- تحمل المسؤولية: لقد شعر زيد بالمسؤولية منذ صغره، عندما اختاره ﷺ ليكون كاتباً للوحي، وترجماناً للغات الآخرى. وما أوردناه من تعلمه للغات في وقت قصير حتى اضطلع بها يدل على ذلك.

المطلب الثاني: آثار ونتائج موهبة زيد

إنّ موهبة زيد تتصف بآثار عديدة سواء على المستوى الشخصي أو الجماعي(الأمة).

---

(٦١) كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي والزبير وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص وحنظلة الأسيدي والعلاء بن الضري وخالد بن الوليد و....

(٦٢) داوودي، صفوان، أعلام المسلمين، ص٧١.

أما على المستوى الشخصي فظهرت في أكثر من مجال، كالمجال العلمي، والإداري، والاجتماعي:

ففي المجال العلمي: «كان زيد من علماء الصحابة، وكان كاتباً للوحي، وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ»[٦٣].

«وروى الواقدي أنّ زيداً كان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والقرّاء»[٦٤].

وروى يعقوب بن سفيان، أنّ زيداً ذهب ليركب، فأمسك ابن عباس بالركاب، فقال: «تنح يا ابن عم رسول الله، قال: لا، هكذا نفعل بالعلماء والكبراء»[٦٥].

أما المجال الإداري: «فقد روى البغوي عن خارجه بن زيد: كان عمر يستخلف زيد بن ثابت إذا سافر، وتولى القضاء في عهد عثمان»[٦٦]. واستعمل عمر بن الخطاب زيداً على القضاء وفرض له رزقاً[٦٧]».

أما المجال الاجتماعي: فقد كان لزيد مكانة رفيعة في المجتمع كيف ولا وهو جار النبي ﷺ ومن الملازمين له، مما جعله متأثراً بأفعاله فقد أخذ عنه الكثير من حسن التعامل مع الناس، حتى غدا زيد صاحب حياء وورع شديد، وأدب رفيع، مما انعكس ذلك على تعامل الصحابة مع زيد.

أما على مجال الأمة: فقد غدا زيد إماماً في علم الفرائض، كما قال ﷺ: «أفرض أمتي زيد»[٦٨]. «وقال الشعبي: غلب زيد الناس على اثنتين: الفرائض والقرآن. وقال الزهري: لولا

---

(٦٣) العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق، عادل عبد الموجود وعلي معّوض، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت، ج٢، /ص٤٩١.

(٦٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص ٣٥٩.

(٦٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢/ ص٤٣٦.

(٦٦) المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٣٦.

(٦٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص٤٢٦.

(٦٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ص٣٥٩.

أنّ زيد كتب الفرائض، لرأيت أنها ستذهب من الناس»[٦٩]. «وقال أحمد العجلي: الناس على قراءة زيد وعلى فرض زيد»[٧٠].

«وقال علي المديني: لم يكن من الصحابة أحد له أصحاب حفظوا عنه وقاموا بقوله في الفقه إلاّ ثلاثة: زيد وعبدالله وابن عباس[٧١]».

الخاتمة

النتائج

١- الموهوب هو الذي يزيد استعداده العقلي وأداؤه عن معايير عمره، بحيث يظهر أداءً ممتازاً في أي مجال من مجالات السلوك الإنساني.

٢- يتصف الموهوب بخصائص عدة: الخصائص العقلية، الخصائص الجسمية، الخصائص الاجتماعية، الخصائص الوجدانية (الانفعالية).

٣- استطاع النبي ﷺ الكشف عن موهبة زيد عن طريق عدة وسائل تربوية.

٤- امتاز النبي ﷺ بصفات معلم الموهوبين الناجح كالعلم والصبر والمرونة وغيرها.

٥- امتازت الرعاية النبوية لفئة الموهوبين بأنها ربانية المصدر والهدف، بحيث أنها تسخر لخدمة الدين، ونفع الآخرين.

٦- اتصفت شخصية زيد بصفات تميزة عن غيره، وعليه فقد نتج عن هذه الصفات آثارٌ عديدة على المستوى الشخصي وعلى مستوى الأمة.

التوصيات

ضرورة الاهتمام بالتراث الإسلامي كمصدر للدراسات التربوية في ظل عصرنا الحاضر الذي ما هو إلاّ تقليد للكتّاب الغربيين، مع التوسع في مثل تلك الدراسات، ودراسة جوانب أخرى للموهوبين لم تتناولها هذه الدراسة.

---

(٦٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٣٦.

(٧٠) المرجع نفسه، ج٢، ص٤٣٦.

(٧١) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٤٣٨.

قائمة المصادر والمراجع

١- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، د. ط، د. ت.

٢- ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد البنا، دار الشعب، د. ط، د. ت.

٣- ابن حنبل، أحمد، المسند، د. ط، د. ت.

٤- ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د. ط، د. ت.

٥- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١، د. ت.

٦- ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ.

٧- أبو سليمان، عبد الحميد، أزمة العقل المسلم، الرياض، الدار العالمية ط٣، ١٩٩٤م.

٨- أبو فراش، حسين، دليل الأسرة والمعلم لتربية الموهوبين والمبدعين، عمان، جهينة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦م.

٩- البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البهيقي، دار الفكر، د. ط، د. ت.

١٠- الجديبي، رأفت محمد علي، رعاية الموهوبين في ظل منهج التربية الإسلامية، جدة، شمس للطباعة، ط١، ٢٠٠٤م.

١١- جروان، فتحي عبد الرحمن، الموهبة والتفوق والإبداع، دمشق، دار الفكر ط١، ١٩٩٩م.

١٢- جمل، محمد جهاد والهويدي زيد، أساليب الكشف عن المبدعين والمتفوقين وتنمية التفكير والإبداع، العين، دار الكتاب الجامعية، ط١، ٢٠٠٣.

١٣- حواشين، زيدان نجيب ومحمد نجيب، تعليم الأطفال الموهوبين، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٨٩م.

١٤- الدار قطني، علي بن عمر، سنن الدار قطني، القاهرة، دار المحاسن، د. ط، د. ت.

١٥- داوودي، صفوان، أعلام المسلمين، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٩٠.

١٦- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة ط٢، د. ت.

١٧- الزعبي، أحمد محمد، التربية الخاصة للموهوبين والمعوقين وسبل رعايتهم وإرشادهم، دمشق، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٣م.

١٨- الزيات، فتحي مصطفى، المتفوقون عقلياً ذوو صعوبات التعلم، د. ن، د. ط.

١٩- سرور، ناديا هايل، تربية المتميزون والموهوبين، عمان، دار الفكر، ط١، ١٩٩٨م.

٢٠- سليمان، عبد الرحمن، المتفوقون عقلياً، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، د. ط، ٢٠٠١م.

٢١- شقير، زينب محمود، رعاية المتفوقين والموهوبين والمبدعين، مصر، مكتبة النهضة، ط٢، ٢٠٠١م.

٢٢- طنطاوي، رضوان عبد الحميد، الموهوبون أساليب رعايتهم وأساليب تدريسه عمان، دار الثقافة، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٣- عجين، علي ابراهيم، رعاية الموهوبين في السنة النبوية -ابن عباس- نموذجاً، المفرق، جامعة آل البيت،

د. ط، ٢٠٠٣م.
٢٤- العزة، سعيد حسني، تربية الموهوبين والمتفوقين، عمان دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٥- العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ظ، د. ت.
٢٦- العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، د. ط، ١٣٧٩.
٢٧- الفسوي، يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ، تحقيق، خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت، ج١.
٢٨- ماردیني، عبد الرحيم، رجال حول الرسول ﷺ، دمشق وبيروت دار المحبة، دار بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

١٣- المسؤولية التقصيرية الناتجة عن أضرار شبكات الهاتف المحمول

Tortious liability resulting from damage to mobile networks

• د. نسرين سلمان حسن

Nessrein sulman hussan

ملخص

أصبحت الأضرار الناتجة عن شبكات الهاتف المحمول محل جدل واسع لدى الكثير من المهتمين وبخاصة القانونيين منهم وفي هذا البحث حاولنا إلقاء الضوء على المسؤولية التقصيرية الناتجة عن تلك الأضرار التي قد تسببها شبكات الهاتف المحمول للغير، وناقشنا المسؤولية التقصيرية الناتجة عن الخطأ الشخصي وكذلك المسؤولية التقصيرية الناتجة عن حراسة الأشياء وعرضنا للأساس القانوني لتلك المسؤولية ثم ختمنا البحث بقائمة من النتائج والتوصيات.

The damage caused by mobile phone networks widely debated among a lot of people interested in particular legal and in this research we tried to shed light on tort liability arising from such damage that may be caused by mobile phone networks to others, and we discussed liability tort resulting from personal error and tort liability arising from guarding things and we put to the legal basis for such responsibility and then ended the search with a list of conclusions and recommendations.

• أستاذ مساعد في إحدى الكليات الأهلية.

البريد الإلكتروني: *sameh555@hotmail.com*

مقدمة

بعيداً عن الجانب المشرق لثورة الاتصالات فإنها مليئة بالآثار السلبية الغير مرغوب فيها، فقد أثبتت العديد من الدراسات الحديثة أن شبكات الهاتف المحمول تصدر نوعاً من الإشعاعات الكهرومغناطيسية والتي تسمى بالإشعاعات غير المؤينة، والتي تؤثر مع مرور الوقت على صحة الإنسان وسلامته، بالإضافة إلى وجود مجموعة من الاشتراطات القانونية التي يجب على شركات الهاتف المحمول مراعاتها عند إنشاء تلك الشبكات وفي هذا البحث سنلقي الضوء على المسؤولية التقصيرية الناجمة عن أضرار شبكات الهاتف المحمول وذلك في مبحثين متتاليين: المبحث الأول: مدى توافر أركان المسؤولية التقصيرية عن أضرار شبكات الهاتف المحمول وطبيعتها، المبحث الثاني: أساس المسؤولية التقصيرية عن أضرار الهاتف المحمول.

المبحث الأول: مدى توافر أركان المسؤولية التقصيرية عن أضرار شبكات الهاتف المحمول وطبيعتها

تمهيد

لا تقوم المسؤولية القانونية على المسؤول إلا إذا وقع ضرر[١]، والمسؤولية التقصيرية تتمثل في التزام المسؤول بتعويض الضرر المترتب على إخلاله بالتزام أصلي سابق واقع على عاتقه، وهذا الالتزام مصدره نص القانون، وقد تكون المسؤولية التقصيرية شخصية فتقوم مسؤوليته عن فعله الشخصي أو قد تكون مسؤولية عن فعل الغير أو عن الأشياء أو الحيوانات أو البناء.[٢] وأياً كان نوع المسؤولية فلا بد لقيامها من توافر أركانها والتي سنبحثها في نطاق موضوع البحث في ثلاثة مطالب كالتالي:

---

(١) انظر: د. منذر الفضل، النظرية العامة للالتزامات. دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقوانين المدنية الوضعية / مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٦، ص٣٣٤.

(٢) انظر: د. عبد الرزاق السنهوري: الوسيط في شرح القانون المدني، الجزء الأول، مصادر الالتزام، دار إحياء التراث العربي عام ١٩٥٢ ص ٧٦٣ وما بعدها.

المطلب الأول: الخطأ أو الفعل الضار

عرف الفقه الخطأ بأنه «انحراف ايجابي أو سلبي في سلوك المدين يؤدي إلى مؤاخذته»[٣].

ويعتبر الشخص قد ارتكب خطأ عندما يخل بالتزام قانوني واقع على عاتقه، ويتمثل هذا الالتزام القانوني في ضرورة توخي الحذر واليقظة والتبصر في السلوك العادي للشخص لكي لا يوقع الضرر بغيره[٤] وفي نطاق بحثنا سنرى متى يعتبر القائم على أبراج المحمول قد ارتكب خطأ يستوجب قيام مسؤوليته التقصيرية إذا ما لحق الضرر بالغير.

وبموجب القوانين التي نظمت تركيب شبكات المحمول داخل المناطق السكنية يمكن اعتبار الخطأ كركن من أركان المسؤولية التقصيرية متوافراً إذا أخل المسؤول عن هذه الشبكات بأحد الالتزامات التي يفرضها عليه القانون والتي يعد من أهمها:

١- أن يكون ارتفاع المبنى الذى تركب فوقه الهوائيات من خمسة عشر متراً (كحد أدنى) إلى خمسين متراً (كحد أقصى) من مستوى سطح الارض وذلك داخل الكتلة السكنية وفى حالة تعذر وجود هذا الارتفاع يتم تركيب الهوائيات على برج معدني أو صاري بحيث يصبح ارتفاع الهوائيات عن سطح الارض من خمسة عشر متراً (كحد أدنى) إلى خمسين متراً.

٢- أن يكون ارتفاع هوائيات محطة التليفون المحمول أعلى من المباني المجاورة للمبنى المختار في دائرة نصف قطرها عشرة أمتار.

٣- أن يكون سطح المبنى الذى يتم تركيب الهوائيات عليه من الخرسانة المسلحة.

٤- يجب عند تركيب الهوائيات ألّا تقل المسافة الأفقية بينها وبين العنصر البشري عن ستة أمتار في اتجاه الشعاع الرئيسي.

---

(٣) انظر: د. أنور سلطان، مصادر الالتزام في القانون المدني، دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع الأردن، ٢٠١٠، ص٢٣٢.

(٤) انظر: د السنهوري، المرجع السابق. ص ٧٧٨.

٥- أن لا يقوم بتركيب الهوائيات أعلى الشرفات التي بدون سقف خرساني مسلح.

٦- أن لا يقوم بتركيب الهوائيات فوق أسطح المباني المستغلة بالكامل كالمستشفيات حتى لا يحدث تداخل موجي مع الأجهزة الطبية بالمستشفى.

٧- يجب عليه أن يقوم بغلق السطح الموجود عليه شبكة المحمول بالكامل بباب مغلق أو أن يقوم بوضع سور غير معدني من جميع الاتجاهات، مع وضع إشارات تحذيرية.

٨- يجب عليه عند تركيب المحطات أن يلتزم بالمواصفات العالمية الخاصة بكثافة القدرة الكهرومغناطيسية المنبعثة من الهوائيات.

٩- ويجب ألّا تقل المسافة الأفقية بين الهوائيات وسور مدارس الأطفال (حضانة – ابتدائي – إعدادي) عن عشرين متراً وذلك لكونهم في مرحلة نمو تجعلهم أكثر حساسية.[٥]

ويجب على المدين (المسؤول) أن يبذل في سبيل تنفيذ تلك الالتزامات عناية الرجل العادي.

ويقع عبء إثبات الخطأ في جانب المسؤول عن الشبكات على عاتق المضرور والذي عليه أن يثبت بأن ذلك المسؤول أو القائم على شبكات المحمول قد قصر أو أخلّ بتنفيذ أحد أو بعض الاشتراطات التي تفرضها عليه القوانين المعنية ذات الصلة، فإن استطاع أن يثبت ذلك قامت المسؤولية التقصيرية في مواجهة المسؤول أو القائم على الشبكات، فعبء الإثبات يقع على عاتق المدعي.[٦]

---

(٥) انظر في جميع هذه الاشتراطات وغيرها البروتوكول المعـدل لاشتراطات تركيب المحطات الاساسية للتليفون المحمول (ماكروسيل) والصادر عن الجهاز القومي لتنظيم الاتصالات في مصر سنة ٢٠٠٥ وكذلك قانون تعليمات الوقاية من الإشعاعات غير المؤينة الصادرة عن الأبراج الرئيسية والقانونية للهواتف النقالة العراقي لسنة ٢٠٠٧.

(٦) انظر: د. منذر الفضل، المرجع السابق، ص ٣٤٢ وما بعدها.

المطلب الثاني الضرر

يعرف الفقه الضرر بأنه هو الأذى الذي يصيب الشخص نتيجة المساس بمصلحة مشروعة له أو الاعتداء على أي حق من حقوقه[٧]، والضرر يعتبر ركن أساسي لقيام المسؤولية التقصيرية إذ لا يكفي توافر الخطأ لقيامها وإنما لا بد من وجود الضرر، فإن انتفى الضرر، انتفت معه المسؤولية لانتفاء المصلحة[٨]، وبطبيعة الحال ينقسم الضرر إلى نوعين، ضرر مادي وضرر أدبي، ولاشك في أنّ الضرر المقصود في بحثنا هذا يقتصر على الضرر المادي فقط إذ لا مجال للحديث عن الضرر الأدبي لعدم تصوره هنا، ويشترط في الضرر الذي تقوم به المسؤولية التقصيرية إذا ارتبط بالخطأ أن يكون ضرراً محققاً لا محتملاً، وبناءاً على ذلك لا يجوز رفع دعوى المسؤولية على شركات الهاتف المحمول لمجرد احتمال وقوع أضرار مستقبلية، قد تقع وقد لا تقع، ولكن يجب أن يكون الضرر قد وقع بالفعل وأصاب المضرور نتيجة الخطأ الذي ارتكبه المسؤول بمخالفته للشروط والالتزامات التي فرضتها على القوانين ذات الصلة.

وبناء على ذلك يعتبر ضرراً فيما يتعلق بموضوع البحث، كل أذى لحق بالشخص وناتج عن شبكات الهاتف المحمول نتيجة إخلال المسؤول عنها بالتزاماته التي فرضتها عليه القوانين المختصة، مما أدى إلى إصابة الشخص المضرور في مصلحة مشروعة له أو أي حق من حقوقه التي يحميها القانون ومنها حقه في الحياة وفي سلامته الجسدية وفي بيئة خالية من الملوثات والإشعاعات المضرة وبعيدة عن مسسببات الأمراض بكافة أشكالها وخطورتها وحقه في حماية ماله وأسرته ومسكنه ومزارعه وحيواناته ومأكله ومشربه... وغير ذلك.

(٧) د. بلحاج العربي، النظرية العامة للالتزام في القانون المدني الجزائري، ج ٢، د م ج، ط ١٩٩٩، ص١٣٤.
(٨) انظر: د. أنور سلطان، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

المطلب الثالث: علاقة السببية

تعتبر رابطة أو علاقة السببية ركناً هاماً من أركان المسؤولية التقصيرية، فليس من القانوني أن يسأل شخص عن ضرر لم ينتج عن خطأه، فعلى المضرور أن يثبت قيام العلاقة السببية بين خطأ المسؤول والضرر الذي لحق به، فإن استطاع أن يثبت ذلك قامت مسؤولية المسؤول التقصيرية والتزم بجبر وتعويض ذلك الضرر، أما إذا لم يتمكن من إثبات ذلك، انتفت المسؤولية التقصيرية في حق المدعى عليه وهو في بحثنا هذا شركات الاتصالات أو الشركة المسؤولة عن شبكات الهاتف المحمول، وجدير بالذكر أنه إذا كان المضرور في صدد إثبات مسؤولية أحد الأشخاص التابعين للمسؤول ففي هذه الحالة يقع عبء نفي قيام العلاقة السببية على المسؤول وذلك لأن المسؤولية هنا تقوم على أساس الخطأ المفترض.

غير أنه قد تتعدد الأسباب التي أدت إلى حدوث الضرر، كما هو الحال إذا اشترك المضرور مع المسؤول في إحداث الضرر، كأن يكون المضرور قد قام بالسكن على نفس السطح الموجود عليه شبكة المحمول أو ربط حيواناته فيه، أو قام بفتح باب السطح مما أدى إلى دخول حيواناته مثلاً إلى السطح فحدث الضرر، ففي هذه الحالة تكون المسؤولية مشتركة، أما لو شاركت القوة القاهرة مع خطأ المدعى عليه، كقيام رياح عاتية أدت إلى فتح باب السطح المغلق دون إحكام مما أدّى إلى دخول المضرور أو حيواناته أو أحد الأطفال إلى السطح الموجود عليه شبكة المحمول، فهنا تكون مسؤولية المدعى عليه كاملة، غير أنه إذا كان المضرور لديه استعداد مسبق للإصابة بالضرر الذي أصابه جراء خطأ المدعي عليه، كتاريخ مرضي مثلاً، ففي هذه الحالة يكفي أن يكون خطأ المدعى عليه هو الذي حفز هذا الاستعداد المرضي المسبق لدى المضرور لكي تقوم مسؤولية المدعي عليه التقصيرية الكاملة. [٩]

(٩) للمزيد عن علاقة السببية راجع أنور سلطان، المرجع السابق، ٣٣٦.

المبحث الثاني: أساس المسؤولية التقصيرية عن أضرار الهاتف المحمول

المطلب الأول: الأساس القانوني للمسؤولية التقصيرية عن أضرار الهاتف المحمول في ضوء النظريات الفقهية (النظرية الشخصية والنظرية الموضوعية)

لاشك في أن المسؤولية التقصيرية أصبحت تعتبر من أهم مصادر الالتزام نظراً للتطور الهائل الذي طرأ على الحياة، في شتى المجالات الصناعية والتكنولوجية وكثرة الآلات الميكانيكية والأجهزة الالكترونية وغيرها الكثير، والتي ازداد بازديادها نسبة الإصابة بالأضرار نتيجة الأخطار الناشئة عن سوء استخدام تلك المستجدات والتطورات[١٠]، ويعرف أساس المسؤولية بشكل عام بأنه «الأسباب التي دعت في الشرائع الوضعية إلى قيام الالتزام بتعويض الضرر الذي يصيب الغير»[١١]، وبناء على هذا التعريف يمكننا تعريف الأساس القانوني للمسؤولية عن أضرار شبكات الهاتف المحمول بأنها «تلك الأسباب التي تدعو إلى التزام القائم على شبكات الهاتف المحمول بتعويض الأضرار التي أصابت الغير» وفي البحث عن الأساس القانوني للمسؤولية التقصيرية بشكل عام وجدنا أن المشرّع الفرنسي وتبعه في ذلك المشرّع المصري، أقام تلك المسؤولية على أساس الخطأ سواء الخطأ الواجب الإثبات إن كان عن الفعل الشخصي أو الخطأ المفترض إن كان عن فعل الغير وذلك فيما يعرف فقها بالنظرية الشخصية، أما الفقه الإسلامي ومن حذا حذوه كالمشرّع الأردني والإماراتي فقد اعتمدوا الفعل الضار كأساس للمسؤولية التقصيرية وذلك فيما يعرف فقها بالنظرية الموضوعية، والتي تقيم المسؤولية التقصيرية حتى لو لم يكن هناك تعدي أو تقصير من جانب مرتكب الفعل الضار[١٢]، غير أنه حتى لدى من تبنى فكرة الخطأ أو النظرية الشخصية في أساس المسؤولية التقصيرية، أصبح العديد من الفقهاء فيه ينادون بضرورة قيام المسؤولية التقصيرية على أساس فكرة الضرر لا فكرة الخطأ[١٣]، لا سيما بعد انتشار استخدام الآلات الميكانيكية وتطور الصناعات الحديثة وكثرة المخاطر المنبعثة

---

(١٠) انظر: فخري رشدي مهنا، المسؤولية التقصيرية ومسؤولية عديم التمييز، دراسة مقارنة، مطبعة الشعب، عام ١٩٧٤، ص ٨ وما بعدها.

(١١) انظر: د. محمود جمال الدين زكي، الوجيز في النظرية العامة للالتزامات في القانون المدني المصري، ط ٣، مطبعة القاهرة، ١٩٨٧، ص ٤٦.

(١٢) انظر: د. عبد الرزاق السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني (مصادر الالتزام)، ص ١٠٩٨، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٦٨.

(١٣) راجع: أنور سلطان، المرجع السابق، ص ٢٩١ وما بعدها.

عن التقدم التكنولوجي الحاصل، وذلك لأن الضرر قد يقع، حتى دون وجود تعدي أو خطأ، فبقاء المسؤولية التقصيرية قائمة على أساس فكرة الخطأ معناها ضياع حق المضرور في التعويض، في حال عدم تمكنه من إثبات الخطأ في جانب المدعى عليه، ولذلك وجدنا بعض الشراح ذهبوا إلى قيام المسؤولية التقصيرية في مثل هذه الحالات الخطرة على أساس الضرر أي يكفي حدوث الضرر للالتزام بالتعويض، وفي بحثنا هذا قد يكون المسؤول عن شبكات الهاتف المحمول قد التزم بكل الشرائط التي وضعتها القوانين المنظمة وذات الصلة، ومع ذلك لحق ضرر بشخص ما، فمن الذي يتحمل ذلك الضرر، هل المضرور الذي لا يد له في ذلك، أم محدث الضرر وهو الذي بفعله أنشأ وضعاً خطراً ترتب عليه هذا الضرر، وفي ذلك يرى الفقه بأنه في هذه الحالة ينبغي أن يتحمل محدث الضرر التبعة، لأنه هو الذي استفاد من الوضع الخطر الذي أوجده، فما تقتضيه العدالة هنا هو أن يتحمل هو ما يترتب على فعله من ضرر أخذاً بقاعدة الغنم بالغرم، وتعرف هذه النظرية بنظرية تحمل التبعات المستحدثة وفيها تقوم المسؤولية التقصيرية على أساس فكرة الضرر وحده، غير أن نظرية تحمل التبعة لم تجد لها مكاناً في العديد من القوانين الوضعية ومنها القانون المدني المصري وظل يقيم المسؤولية التقصيرية على أساس الخطأ سواء الواجب الإثبات أو الخطأ المفترض، وإن كنا ننادي بضرورة التعديل على هذا الأساس والأخذ في بعض الحالات بنظرية تحمل التبعة خاصة إذا كان الأمر يتعلق بالأفعال الخطرة التي قد تسبب الأضرار للغير حتى دون أي تعدي أو تقصير، وهذا ما ينطبق على موضوع بحثنا هذا.

المطلب الثاني: المسؤولية التقصيرية عن أضرار شبكات الهاتف المحمول في ضوء النصوص القانونية

أولاً: مسؤولية شركات الهاتف المحمول عن خطأها الشخصي

تنص المادة ١٦٣ مدني مصري على «كل خطأ سبب ضرر للغير يلزم من ارتكبه بالتعويض» والخطأ هنا هو خطأ واجب الإثبات، أي يجب على من يدعي وقوعه في جانب المدعى عليه أن يثبت ذلك، ولاشك في أن إثبات الخطأ في جانب شركات الهاتف المحمول المسؤولة عن أبراج أو شبكات الهاتف المحمول ليس من الصعب، إذ يكفي أن يثبت المضرور عدم التزام تلك الشركات بالاشتراطات التي فرضتها عليها القوانين ذات الصلة، حتى تقوم مسؤوليتها التقصيرية إذا ارتبط ذلك الخطأ بعلاقة السببية مع الضرر الذي لحق بالمضرور.

ثانياً: مسؤولية حارس الأشياء الخطرة

بالرجوع إلى نص المادة ١٧٨ من القانون المدني المصري والتي تنص على «كل من تولى حراسة أشياء تتطلب حراستها عناية خاصة أو حراسة آلات ميكانيكية يكون مسؤول عما تحدثه هذه الأشياء من ضرر، مالم يثبت أن وقوع الضرر كان بسبب أجنبي لا يد له فيه، هذا مع عدم الإخلال بما يرد في ذلك من أحكام خاصة» ويقابله في القانون المدني الأردني نص المادة ٢٩١ وبناءاً على هذا النصوص تقوم مسؤولية حارس الأشياء والتي يمكن اعتبار شبكات الهاتف المحمول من ضمنها، على أساس الخطأ المفترض والذي لا يقبل اثبات العكس[١٤]، ولا يستطيع المدعى عليه (شركة الهاتف المحمول) نفي مسؤوليته إلا إذا استطاع نفي العلاقة السببية بين خطأه وبين الضرر الذي لحق بالغير، وذلك بإثبات السبب الأجنبي.

ويشترط لقيام مسؤولية حارس شبكات الهاتف المحمول أيا كان توافر شرطين وهما:

١- أن يتولى شخص حراسة شبكة الهاتف المحمول بكل مكوناتها، بحيث تكون له السيطرة الفعلية على هذا الشيء، والأصل أن تكون تلك الشبكات تحت حراسة مالكها (شركة الهاتف المحمول)، ما لم يثبت أن الشيء وقت وقوع الضرر كان في حراسة شخص آخر أو تحت تصرفه[١٥].

٢- أن يقع الضرر بفعل شبكة الهاتف المحمول أو أحد مكوناتها.

وفي التشريع المصري وكذلك الأردني ربط المشرّع مسؤولية حارس الأشياء الناتجة عن تقصيره أو خطأه بأن تكون حراسة الشيء في حاجة إلى عناية خاصة[١٦]، ولاشك في أن شبكات الهاتف المحمول تحتاج في حراستها إلى عناية خاصة تضمن عدم إلحاق الأذى بالغير ممن يقطنون بجوارها، وهما بذلك أخذا بمعيار قريب من المعيار الذي أخذ به المشرّع الفرنسي فيما يتعلق بالشيء الخطر وعلى ذلك على أساس أن الشيء قد يكون خطر بطبيعته أو بظروف ملابسة فيتطلب هذه العناية[١٧].

---

(١٤) انظر: د. عبد الرزاق السنهوري، الوجيز في النظرية العامة للالتزام، تنقيح المستشار أحمد مدحت المراغي، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٤، ص ٥، ٣.

(١٥) انظر: أنور سلطان، المرجع السابق، ٣٨٠.

(١٦) انظر: د. أحمد عبد الكريم أبو شنب/الأساس القانوني للمسؤولية عن فعل الشيء في القانون المدني الأردني والفقه الإسلامي دراسة قانونية مقارنة.

(١٧) انظر: أنور سلطان، المرجع السابق، ص ٣٨٣.

الخاتمة

بينا في هذا البحث أهمية الأخذ بالنظرية الموضوعية والتي تقيم المسؤولية التقصيرية على أساس الضرر لا الخطأ فيما يتعلق بموضوع البحث، ثم بحثنا تلك المسؤولية في نطاق النصوص القانونية في القانون المدني وخلصنا إلى قيام مسؤولية شركات الهاتف المحمول الشخصية إذا ما أخطأت في التزامها بالشرائط التي فرضتها عليها القوانين ذات الصلة وأساسها الخطأ، وكذلك مسؤوليتها عن حراسة الأشياء القائمة على أساس الخطأ المفترض الغير قابل لإثبات العكس.

النتائج

١- خلصنا في هذا البحث إلى قيام مسؤولية شركات الهاتف المحمول عن الأضرار التي تلحق الغير نتيجة مخالفتها للشرائط التي فرضتها عليها القوانين ذات الصلة.

٢- وكذلك قيام مسؤولية تلك الشركات عن الأضرار التي تلحق الغير بناء على مسؤولية حارس الأشياء القائمة على أساس الخطأ المفترض.

٣- هناك بعض الأضرار التي تلحق المضرور دون إمكانية نسبتها إلى تلك الشركات لعدم مخالفتها للقانون أو تقصيرها، ومع ذلك من الممكن أن تقوم مسؤوليتها لأنها هي التي أقامت ذلك الوضع الخطر.

التوصيات

١- نوصي المشرّعين بضرورة تنظيم المسؤولية القانونية عن الأضرار الناتجة عن شبكات الهاتف المحمول لا سيما مع تزايد تلك المخاطر والتحذيرات منها حتى دون تقصير أو تعدي من الشركات.

٢-نوصي المشرّعين بفرض المزيد من القيود على تلك الشركات حتى لا تتهاون في المحافظة على سلامة البيئة المحيطة بتلك الشبكات والمحافظة على الحقوق الأساسية للأفراد كالمسكن والمأكل والمشرب وسلامة الجسد وضمان الحياة في بيئة خالية من الملوثات الإشعاعية.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

١٤- ضمانات حماية المبادئ الإنسانية في الحروب

دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني

Guarantees the protection of humanitarian Principles in the wars

A comparative study between islamic law and international humanitarian law

• **د. دليلة براف**

Dr. Dalila Berraf

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله الكريم المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد، فخير ما يحضرني لافتتاح مقالتي هذه هي عبارات الدكتور محمد المجذوب في كتابه القانون الدولي العام، تركت في نفسي أثراً يجعلني أسوقها في هذا المقام مستعيرة في ذلك قلم الباحث المنوّه به فأقول «إنّه لمن المفارقات العجيبة أنّ الإنسان هو الذي ابتدع أسباب الحرب وخاض غمارها بلا رحمة ولا شفقة، هو ذاته الذي يعمل في لحظات التعقل إلى أنسنتها والتخفيف من ويلاتها، هذا المخلوق العجيب هو أصل الداء وهو مبتدع الدواء، وبين نزعتي الخير والشر تسعد البشرية أو تشقى». جاء في مقدمة اليونسكو: (**لما كانت**

• أستاذة محاضرة، كلية الحقوق، جامعة سعد دحلب، البليدة/الجزائر.
البريد الإلكتروني: *berraf.d@hotmail.fr*

الحروب تبدأ في عقول الناس، ففي عقول الناس يجب أن تبنى حصون السلام). ويقرّر الدكتور صلاح الدين عامر فيقول «فليس بالحرب تحلّ المشاكل الإنسانية، بل بها تبدأ. وأنّه في حروب اليوم حروب الضغط على الأزرار حروب الذرة والهيدروجين ليس هناك رابح وخاسر إذ البشرية كلها خاسرة». وتفادياً لهذه الخسائر والشرور علت نداءات الخير والإنسانية داعية إلى تهذيب المشاعر وتبادل المصالح، وبدأت البشرية تعمل على إرساء قواعد تحاول من خلالها التخفيف من ويلات الحروب وما تخلّفه للبشرية من دمار وعدم احترام حقوق الإنسان. هذه القواعد تمثلت في مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات الدولية، والتي عرفت(بالقانون الدولي الإنساني) وهو إفراز لمجموعة من القيم والمبادئ الأخلاقية التي تدعو في إطارها العام إلى نبذ الحروب بين الدول والشعوب...، وإذا ما وقعت... فإن ثمة اعتبارات ذات طابع إنساني يجب مراعاتها.

والشريعة الإسلامية فصّلت في هذا كله، فهي بحق نظام سام ومبتكر. فقد أرست نظاماً قائماً على الأخلاق والفضيلة وعلى الإنسانية، شاملاً كافة الأحكام والضوابط الخاصة بالقتال.

لكن ما هي ضمانات تطبيق هذه القواعد وهذه المبادئ الإنسانية في الحروب؟ وإلى أي مدى وفقت كل من قواعد الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي الإنساني في إثبات فاعليتها أو قصورها في تأمين التطبيق اللازم لنصوص قواعدها أثناء النزاعات المسلحة؟

للإجابة على هذه الإشكالية قسمت هذا البحث إلى مبحثين، في الأول منهما تكلمت عن حماية المبادئ الإنسانية في الحروب في الشريعة الإسلامية، أما الثاني فخصّصته لآليات حماية المبادئ الإنسانية في الحروب في القانون الدولي الإنساني.

المبحث الأول: حماية المبادئ الإنسانية في الحروب في الشريعة الإسلامية

لم تكن الحروب في القديم تخضع لأيّ ضوابط أو قوانين، وإنّما كانت الوحشية والعنف اتجاه الجميع سمتها، وقد كان لظهور الإسلام واضح الأثر في إرساء ضوابط العلاقات الدولية في الحرب والتي التزمت بها الدولة الإسلامية في حروبها، فكانت بحق عقيدة وشريعة، نظمت الحياة الإنسانية على أسس من الرحمة والعدل والفضيلة، إذ قيّدت الحرب وجعلتها ضرورة تقدر بقدرها، فلا تتجاوز أهدافها، فإذا ما قامت هذه الحرب للحفاظ على الحرية، فلا يجب أنّ تجرح الكرامة الإنسانية والشرف الإنساني، وألاّ يتعرّض للمدنيين العزل وأن يرأف بالأسرى وتحسن معاملتهم وأن يعتني بالجرحى وتحترم جثث القتلى.

وفي هذا المبحث أتناول بالتفصيل ضمانات تطبيق هذه القواعد في الشريعة الإسلامية.

المطلب الأول: الوفاء بالعهد والتحرّز من الغدر

إنّ أفضل ضمان لتطبيق قواعد القانون الدولي الإنساني يكمن في احترام الدول لمبدأ الوفاء بالعهد. وعدم الغدر والإخلال بالثقة في التصرفات التي ينظمها العرف والمعاهدات والاتفاق بين أطراف النزاع له أهمية كبرى في حماية ضحايا النزاعات المسلّحة، فإلى أي مدى وصلت الشريعة الإسلامية في ذلك؟

لقد أوجب الإسلام الوفاء بالعهود والمواثيق لما له من دور كبير في المحافظة على السلام وفض المشكلات وحل النزاعات وتسوية العلاقات بين المجتمعات. كما حذّر أشد الحذر من الغدر والخيانة لما في ذلك من تقطيع أواصر العلاقات بين الناس وزرع الشك والريبة بينهم، وما تؤدي إليه من الفتن والدسائس والمؤامرات التي لا تخلف وراءها إلا الدمار والهلاك[1]. فقد جاء في القرآن والسنة النبوية التأكيد على الوفاء بالعهد ومنع الغدر، حتى غدا ذلك أصلاً عظيماً في العلاقات الدولية والاجتماعية بين المسلمين وغيرهم، وقد أثمر هذا الوفاء من المسلمين في فتح قلوب غير المسلمين من الأمم الأخرى، حيث أصبحوا أعواناً لهم على أعدائهم، فإنهم لما رأوا وفاء المسلمين وحسن السيرة منهم صاروا أشداء على عدو المسلمين من المسلمين على عدوهم[2].

المطلب الثاني: خصائص الشريعة الإسلامية

تتميّز الشريعة الإسلامية بجملة من الخصائص تجعل الجندي المسلم والقادة المسلمين يسيرون على النهج الدقيق من التوازن المحكم بين هدف الحرب الذي هو القضاء على مقاومة القوات المقاتلة، وبين غاية الإسلام التي هي إقامة مجتمع جديد له قيم مميزة[٣]. فللشريعة الإسلامية خصائص كثيرة تؤثر في أعمال الجند وتقيّد مهماتهم ووظائفهم وسلوكهم الحربية بشكل تام وملزم، ومن أبرز هذه الخصائص:

أولاً: ربانية المصدر

هذه الخاصية تميّز الشريعة الإسلامية عن جميع الأنظمة والقوانين الوضعية. فإذا اعتقد الإنسان أن هذه الشريعة من ربه، فإنها تؤثّر في نفسه وتكسبه قدسية لهذه الأحكام. فالجندي المسلم والقادة العسكريون المسلمون لما يعلموا أن احترامهم للمبادئ الإنسانية المطبقة أثناء النزاعات المسلحة من هذا القبيل، فلا يخالفونها، ويقع لهم من الهيبة والاحترام لها ما لا يقع في القوانين التي يضعها البشر لأنفسهم[٤]، لهذا كان الجنود المسلمون الأوائل يسألون رسول الله ﷺ عن أهل الدار من المشركين يبيتون فيصاب من ذراريهم ونسائهم[٥]، لأنهم أحسّوا بالذنب الذي اقترفوه في حقهم، فلم تهدأ نفوسهم لخوفهم من عقاب الله، وكان لهم ألا يخبروه، ولكنه الإيمان بالله.

ثانياً: خاصية الإنسانية والعالمية

من خصائص الشريعة الإسلامية أنها شريعة إنسانية شرعت للإنسان من حيث هو إنسان، بغض النظر عن جنسه أو لونه أو وطنه أو طبقته، وهذا ما يعطيها صفة العالمية، لأنها تنظر إلى سكان هذا الكوكب بوصفهم وحدة متماسكة وكلاً لا ينقسم، وبنظرة خلقية تعلي من قدر الإنسان وتمنع كل ما يؤدي إلى امتهانه، أو انتهاك حرمته[٦]. هذه المكانة التي احتلّها الإنسان في الإسلام، تجعل الجنود والقادة العسكريين في الإسلام يصونون هذه الكرامة فلا يعتدوا عليها إلا بالحق، كقتل المقاتل في الحرب، أما الأسرى والمدنيين والجرحى والمرضى والقتلى، فتثبت لهم هذه الكرامة الإنسانية، فلا يعتدى عليهم.

ثالثاً: ارتباط أحكام الشريعة بالعقيدة والأخلاق

يحتّم الإسلام الترابط بين العقيدة والشريعة لأن الأولى هي الأصل والثانية منبثقة عنه وتقوم عليه. لهذا راعت الشريعة الإسلامية الأخلاق في كل مجالاتها وجوانبها فهي شريعة أخلاقية، ومن هذا الباب جاءت أخلاق الحرب في الإسلام. وقانون الأخلاق في الإسلام قانون عام وشامل، فإنّ ما تصنعه مع ابن وطنك شر يكون كذلك مع محاربك، لأن المعاملة بمقتضى قواعد السلوك الفاضل حق لكل إنسان، يستحقها بمقتضى الإنسانية التي هي وصف مشترك بين كل أبناء آدم، ولذلك نجد أن القرآن الكريم كلما أمر بالجهاد كان بجواره الأمر بالتقوى، وتقوى الله قوامها الاستمساك بالفضيلة[٧].

هكذا تؤثر العقيدة والأخلاق في نفوس أفراد الجيش الإسلامي قادة ومقودين، فيمتنعون عن مخالفة قوانين وأعراف الحرب، ويمتثلون لأوامر الإسلام في احترام المبادئ الإنسانية في الحروب بفضل إيمانهم وقوة يقينهم. وليس من قبيل التعصب الديني، أن نؤكد بأن المسلمين هم الأمة الأولى التي رفعت المبادئ الأخلاقية إلى مستوى القواعد الشرعية الإلزامية في مجال معاملة الشعوب الأخرى، وهذه القواعد الأخلاقية ظلّت نبراساً يهدي المسلمين في سلوكهم تجاه العدو على مرّ العصور، وخاصة في معاركهم مع الروم والأوروبيين خلال فتح الأندلس والحروب الصليبية[٨].

رابعاً: العدل وصفة الجزاء والعقوبة

العدل سمة من سمات الشريعة الإسلامية البارزة، شملت جميع جوانب التشريع، وهي في العلاقات الدولية ألزم وأهم لما فيها من اختلاف وشقاق يؤدي أحياناً إلى الظلم وضياع الحقوق والبغي والطغيان، لذلك يأتي العدل ليعيد الأمور إلى نصابها. والدولة الإسلامية لا تنظر إلى العدل مصلحة ذاتية أو مسألة داخلية، بحيث يكون قائماً على المصالح التي تكسبها الدولة من علاقاتها بالآخرين، أو أن يكون العدل بين المسلمين أنفسهم وما عداهم فلا عدل معهم، بل العدل في الإسلام شامل للمسلمين وغيرهم، الصديق منهم والعدو، للموافق منهم والمخالف[٩]. ولقد تكررت الأدلة الشرعية التي تأمر بالعدل فلم تكن نصوصاً تحفظ، أو يرددها المسلمون، بل أخذت طريقها إلى التطبيق العملي في الحياة، وما حكم القاضي في حادثة سمرقند على جيش المسلمين بالخروج من سمرقند بعد فتحها دون إنذار لأروع مثال.

وهنا ننوّه بدور القضاء في متابعة انتهاكات القانون الدولي الإنساني، لما يولّده لدى أطراف النزاع من الهيبة واحترام المبادئ الإنسانية في الحروب، وأن تكون أحكامه العادلة ملزمة لأطراف النزاع، ونافذة في حقهم، حتى تكون عبرة لمن تسوّل له نفسه التجرؤ على انتهاك القانون.

كما أن الجزاء في الشريعة الإسلامية له لون خاص يخالف به التشريعات الوضعية، فإذا نجا العباد من العقوبة التي يوقعها الحاكم، أو التي تكون من الله تعالى مباشرة، فلن يستطيعوا النجاة من عذاب الآخرة. فكل هذه الأمور توّلد في نفوس الجنود والقادة خضوعاً تاماً لأوامر الله تعالى في تطبيق واحترام القانون الدولي الإنساني الإسلامي.

المطلب الثالث: دور قادة الجيش والفقهاء في تطبيق المبادئ الإنسانية في الحروب

تميّز القادة المسلمون في حروبهم بحسن المعاملة ولين الجانب مع أعدائهم، وحسبنا هنا أن نستخلص من أخلاقهم الحربية، ما يدلنا على تطبيقهم واحترامهم للمبادئ الإنسانية في الحروب.

أولاً: وصايا قادة الجيش لأجل تطبيق قانون الحرب الإسلامي

إن المتأمل لوصايا الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين إلى الجيوش والقادة المسلمين، يجد فيها جملة من القيم الإنسانية الرفيعة التي ينبغي أن تميّز الجندية المسلمة عن غيرها، فالإسلام لا يريدهم أبطالاً في مواجهة أعدائهم فقط، بل يريدهم أن يكونوا مثلاً أخلاقية[١٠] وفي هذا الشأن كتب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أحد قواده في العراق يوصيه «أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإنّ تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا

عدّتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلاّ ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أنّ عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألوه النصر على عدوكم[١١]».

فالمتأمل في هذه الوصية يعلم كم هي عظيمة هذه الأمة في قيمها وأخلاقها، وكم كان ذلك الجيل قمة في حروبه، وهذا ما أقرّ به الأعداء قبل الأصدقاء، حينما وصف أحد رجال هرقل المسلمين حينما سئل عن سبب نصرهم في المعارك بالرغم من قلتهم في العدد والعدّة: «إنّ القوم يصومون النهار، ويقومون الليل، ويفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يظلمون أحدا، ويتنافسون فيما بينهم[١٢]».

ثانياً: مشاورة ذوي الرأي من الفقهاء في أمور الحرب

تعتبر المشاورة من أصول الدين، وهي عين الهداية وسبيل الرشاد إلى الأمر. ومن هذا المنطلق أخذ الرسول ﷺ في إدارته العسكرية باستشارة من معه من الصحابة في غزواته، وعلى هذا النهج سار الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم في تطبيق مبدأ الشورى العسكرية، سواء كان ذلك عند اتّخاذ القرار العسكري، أو في مرحلة الإعداد والتدبير أو التنفيذ، فالقادة يطلبون من القيادة العليا المركزية الشورى فيما أشكل عليهم من أمور الإدارة العسكرية لمرحلة وضع الخطط الحربية والتنفيذ ومعاملة الأسرى[١٣]. والاستشارة العسكرية تشمل الاستشارة الحربية والفقهية، فإذا أشكل على القادة أمراً يتعلق بالخطط الحربية، فإنهم يستشيرون أهل الحرب المختصين في ذلك، وإن تعلق الأمر بالجانب الشرعي استشاروا الفقهاء والعلماء الذين كانوا بمثابة المستشارين القانونيين يبصّرون القادة والجنود بحكم الله، فيكون بذلك ضمان لتطبيق قانون الحرب في الإسلام. جاء في كتاب الأموال: » أنه في ولاية عبد الملك بن صالح أحدث أهل قبرص حدثا، فأراد نقض صلحهم والفقهاء متوافرون، فكتب إلى الليث بن سعد ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة، وغيرهم من الفقهاء في أمرهم فأجابوه[١٤].

المبحث الثاني: آليات حماية المبادئ الإنسانية في الحروب في القانون الدولي الإنساني

تتطلب حماية المبادئ الإنسانية في الحروب تنفيذ القانون الدولي الإنساني، وذلك بالعمل على احترام أحكامه ومراقبة الالتزام بها، مع قمع ما قد يقترف من انتهاكات أو مخالفات، ولا شك أن وجود أي نظام قانوني إنما يتوقف على تطبيق القواعد التي يتضمنها هذا النظام تطبيقاً فعلياً، فإذا ظل القانون الدولي الإنساني دون تطبيق لن يتسنى له تحقيق الهدف الذي من أجله تمّ إعداده وصياغته. وسنحاول الآن عرض الوسائل التي نظمها القانون الدولي الإنساني في حمايته للمبادئ الإنسانية في الحروب.

المطلب الأول: وسائل المنع أو الوقاية

لقد وفّر القانون الدولي الإنساني مجموعة من الإجراءات الخاصة للتعريف به ونشره بين العسكريين والمدنيين، مما يساهم في الوقاية من الانتهاكات لأحكامه حتى لا يتعذر أحد لجهله بالقانون.

أولاً: احترام الدول المعنية للقانون

إنّ أفضل ضمان لتطبيق القانون الدولي الإنساني يكمن في احترام الدول لمبدأ الوفاء بالعهد، ذلك أنّ الدول بموافقتها رسمياً على اتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩م وبانضمام بعضها إلى بروتوكوليها الإضافيين، فإنما هي قد تعهدت بضمان احترام هذه الاتفاقيات من جانب كل منها في إطار سلطتها[١٥]، وهذا ما نصت عليه المادة الأولى المشتركة بين اتفاقيات جنيف، والتي تنصّ على «تتعهد الأطراف السامية المتعاقدة بأن تحترم هذه الاتفاقية وتكفل احترامها في جميع الأحوال». ونص هذه المادة ينطوي على التزامين:

١- **الالتزام بالاحترام:** وهو التزام الدولة أن تفعل كل ما في وسعها لضمان أن تكون القواعد المعنية موضع احترام من طرف أجهزتها.

٢-**الالتزام بكفالة الاحترام:** وهو اتخاذ الدول جميع التدابير الممكنة التي تكفل احترام القواعد من قبل الجميع وخاصة أطراف النزاع[١٦].

إنّ التزام الدول باحترام اتفاقيات القانون الدولي الإنساني والوفاء بها، وحده كفيل

بحماية المبادئ الإنسانية في الحروب، وهذا الالتزام يتطلب القيام بأعمال مناسبة في زمن السلم وفترات النزاعات المسلحة حتى يتحقق هذا الهدف.

ثانياً: التعريف بالقانون الدولي الإنساني ونشره

لا يمكن للمرء أن يحترم قانوناً إذا لم يعرفه، وهو الحال مع القانون الدولي الإنساني، فمن أجل ذلك التزمت الأطراف المتعاقدة بنشر نصوص القانون الدولي الإنساني على أوسع نطاق ممكن في زمن السلم والحرب، وأن تدخل دراستها ضمن برامج التعليم الحربية وإذا أمكن المدنية، حتى تصبح مبادئها معروفة لجميع السكان، وعلى الأخص القوات المقاتلة وأفراد الخدمات الطبية والدينية[١٧]. وخصّت القيادة العسكرية بدور بارز في نشر القانون والتعريف به فضلاً عن مراقبة تطبيقه، وقمع انتهاكاته، ويتحمّلون المسؤولية إن أقدم مرؤوسون جاهلون بالقانون على تصرف يشكل انتهاكاً لأحكامه.

ثالثاً: تدريب العاملين المؤهلين

دعا البروتوكول الإضافي في مادته السادسة إلى إعداد عاملين مؤهلين قادرين على العمل في مجال تنفيذ القانون الدولي الإنساني، وذلك لمساعدة الدول الحامية على أداء واجباتها بتقديم النصيحة أو المشورة لضمان عدم إهمال تطبيقه.

رابعاً: المستشارون القانونيون في القوات المسلحة

يتولّى المستشارون القانونيون مهمة تقديم المشورة للقادة العسكريين على المستوى المناسب بشأن تطبيق الاتفاقيات والتعليمات المناسبة التي تصدر إلى القوات المسلّحة فيما يتعلق بهذا الموضوع[١٨]، فدورهم هنا هو تيسير مهمة القادة العسكريين وجعلها أكثر فعالية في السلم والحرب.

خامساً: ترجمة نصوص الاتفاقيات وقوانين التطبيق

تلتزم الدول بتبادل المعلومات والترجمات الرسمية للمعاهدات والاتفاقيات وكذلك القوانين والأنظمة التي يمكن سنها لتطبيقها، وذلك لتفادي الاختلافات في التفسير أو التأويل حتى لا تترتب عليه عواقب وخيمة.

المطلب الثاني: وسائل الإشراف والمراقبة

أولاً: التزام الدول الأطراف بوضع حدّ للمخالفات

يلزم القانون الدولي الأطراف المتعاقدة وضع حد للانتهاكات التي تحدث أثناء النزاعات المسلّحة، كما يكلّف القادة العسكريين بمنعها وقمعها إذا لزم الأمر، وتبليغها إلى السلطات المختصة، واتخاذ الإجراءات التأديبية والجنائية عند الحاجة، ويتعلق الأمر بأفراد القوات المسلحة الذين تحت إمرتهم وإشرافهم[١٩].

ثانياً: نظام الدول الحامية

الدولة الحامية هي الدولة التي تكون مستعدّة بالاتفاق مع إحدى الدولتين المتنازعتين لكفالة الرعاية لمصالح أحد الطرفين لدى الطرف الآخر، ولحماية رعايا الطرف والأشخاص التابعين له. فالدولة الحامية تسهم من خلال مندوبيها في التطبيق المباشر للقانون الدولي الإنساني بتوليها أعمال الإغاثة والحماية لصالح الضحايا، وتشرف في الوقت نفسه على وفاء أطراف النزاع بالتزاماتها، لكن تعيين الدول الحامية لم يتحقق إلا في حالات نادرة، الشيء الذي جعل المعنيين يبحثون عن بدائل لها، وتعدّ اللجنة الدولية للصليب الأحمر واحداً من هذه البدائل، دون المساس بسائر أنشطتها المعترف بها[٢٠].

ثالثاً: دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر

تقوم اللجنة الدولية للصليب الأحمر بمعاينة معسكرات الأسرى والمدنيين والتحقيق عن مدى تطبيق اتفاقيات جنيف، فتقابل كل واحد من هؤلاء على انفراد، وتسألهم عن أوضاعهم، وتعدّ تقريراً في ذلك وترسل صورة منه إلى أطراف النزاع، وعند وجود مخالفات خطيرة تتصل بأعلى السلطات.

على هذا، فإنّ القانون الدولي الإنساني يلزم أطراف النزاع بوضع حد للمخالفات، ويوجب نظام الدولة الحامية، وعند فشل هذا الإجراء تقبل أطراف النزاع العرض الذي تتقدم به اللجنة الدولية للصليب الأحمر، للعمل بديلاً عن الدولة الحامية، ما دام أنها رفضت فكرة إنشاء جهاز خاص لمراقبة ومتابعة تطبيق القانون الدولي الإنساني.

المطلب الثالث: وسائل القمع

لا تكمن وسائل القمع في مجرد العقوبة، بل لقيامها بدور رادع كبير لمن ينتهك القوانين، ونظام العقوبات الجزائية في اتفاقيات جنيف، يقوم على التمييز بين الانتهاكات الجسيمة وغيرها، ففي الحالة الأولى على الدول اتخاذ أي تدبير تشريعي يلزم لفرض عقوبات رادعة على الأشخاص الذين يرتكبون أو يأمرون بارتكاب أي من الانتهاكات الجسيمة[٢١].

و قد حددت الاتفاقيات الانتهاكات الجسيمة بأنها تشمل:

- القتل العمد أو التعذيب أو المعاملات الغير إنسانية ضد الأشخاص الذين تحميهم الاتفاقيات.
- أعمال ترتكب ضد الجرحى والمرضى والغرقى والمدنيين وتحطيم الأملاك ومصادرتها دون ضرورة عسكرية.
- أعمال ترتكب ضد أسرى الحرب والمدنيين، كإجبارهم على الخدمة في قوات دولة معادية، وحرمانهم من حقهم في محاكمة عادلة.
- أعمال ترتكب ضد المدنيين كالترحيل أو الإبعاد والاعتقال غير القانونيين، واحتجازهم رهائن.

وقد وسعت المادة ٨٥ من البروتوكول الأول قائمة الانتهاكات الجسيمة لتشمل أعمالاً أخرى ترتكب عمداً وتؤدي إلى موت الأشخاص المحميين أو تسبب أضراراً خطيرة بسلامتهم البدنية أو صحتهم، وكان يتعين على الدول سن التشريعات اللازمة لتحريم مثل هذه الأعمال ذلك أنه لا يمكن محاكمة شخص إلا إذا كان ما ارتكبه يعتبر جريمة أيضاً بموجب قانونه الوطني[٢٢].

أما بالنسبة إلى مسؤولية القادة فإن الانتهاك الذي يرتكبه مرؤوس لا يعفي رئيسه من المسؤولية الجزائية أو التأديبية، وعلى القادة قمع الانتهاكات التي يرتكبها مرؤوسوهم، أو إبلاغ ذلك إلى سلطاتهم، كما يجب التعاون الدولي في الشؤون الجنائية مما يسهل تسليم المجرمين ومحاكمتهم[٢٣].

كما يمكن قمع انتهاكات القانون الدولي الإنساني بواسطة

أولاً: التحقيق الدولي

إذا تبادل أطراف النزاع الاتهام بانتهاك القانون الدولي الإنساني يتم إجراء التحقيق في ذلك وهو مرهون بموافقة أطراف النزاع، وقد فشل هذا الإجراء لأن الدول في الغالب لن تقبل بالطعن في معاييرها الإنسانية وتفضل الدخول في مفاوضات سرية بهذا الصدد[٢٤].

ثانياً: اللجنة الدولية لتقصي الحقائق

وهي جهاز دائم محايد غير سياسي وليست هيئة قضائية، تتكون من ١٥ عضواً على درجة عالية من الخلق ومشهود لهم بالنزاهة، وهي تتولى التحقيق في الوقائع المتعلقة بأي ادعاء يتصل بالانتهاكات الجسيمة[٢٥].

ثالثاً: اللجنة الدولية للصليب الأحمر

تقوم اللجنة بتقديم تقارير سرية إلى السلطات المختصة في حالة حدوث انتهاكات للقانون الدولي الإنساني، وهي تتوخى الحذر إذا طلب منها المشاركة في التحقيق للمحافظة على حيادها وطبيعة عملها.

رابعاً: التعاون مع منظمة الأمم المتحدة

في حالة انتهاكات جسيمة للقانون الدولي الإنساني تتعهد الأطراف المتعاقدة بأن تعمل مجتمعة أو منفردة بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة بوصفها تعتني بحماية حقوق الإنسان في فترة النزاع المسلح، وبموضوعات الجرائم التي ترتكب ضد السلام وفي حق الإنسانية[٢٦]، وقد أنشأ مجلس الأمن محكمتين جنائيتين دوليتين لمحاكمة الأشخاص المسؤولين عن الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي الإنساني التي وقعت في يوغسلافيا ورواندا.

خامساً: المحكمة الجنائية الدولية

كان أول اقتراح لإنشاء محكمة جنائية دولية دائمة في اتفاقية جنيف أوت ١٩٤٩، وقد تلازم تأسيسها في الخمسينات مع موضوع تقنين القانون الدولي ولم تشأ القوى العظمى في الأمم المتحدة أن يبصر هذا المشروع النور، لأنه يتعارض مع مبدأ سيادة الدولة وقواعد

اختصاصها الداخلي، كما أنه سيخلق جواً من الاضطراب والتنازع القانوني والقضائي[٢٧]

فالمحكمة الجنائية الدولية هي الأداة المفترضة لمراقبة تنفيذ ما أقره القانون الدولي الإنساني من قواعد والتزامات. فهي كيان دولي دائم نشأ بموجب معاهدة اتفق أطرافها على ضرورة التحقيق ومحاكمة مرتكبي أشد الجرائم خطورة وأكثرها اهتماماً من جانب المجتمع الدولي، وهي الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب.

نلخص مما سبق أن وجود آليات قوية ومستقلة قائمة على تحقيق العدالة والرامية إلى تنفيذ قواعد القانون الدولي الإنساني لمن أهم مقومات الحفاظ على الأمن الدولي وإعادة السلام إلى كافة أنحاء المعمورة إذا طبقت بشفافية تامة دون تمييز.

الخاتمة

ترتهن فعالية القانون الدولي الإنساني بدرجة كبيرة بالتسيير الفعلي لآليات التطبيق التي استعرضناها. وهو لا يمكن تحقيقه إلاّ بالعمل الفعال، وينبغي أن يمتدّ هذا العمل ليشمل زمن السلم وفترة النزاع المسلّحة على حدّ السواء. ففي زمن السلم يكون المناخ مواتياً للإعداد والوقاية، وعندئذ يتوجب العمل على نشر القواعد المطبقة والإعداد المستمر للأشخاص المقرر لهم أن يضطلعوا بالأدوار الرئيسة في التدريب المدني أو العسكري. أما في فترة النزاع المسلح، فإن القواعد المستفادة والمستوعبة سوف تساعد القادة في مهمتهم كما ستسهم في كفالة الاحترام لكافة المعايير الإنسانية. وهكذا يتعلق الأمر بعمل تعليمي يستغرق وقتاً طويلاً وتسانده وتدعمه في مرحلة لاحقة أساليب الرقابة والقمع. ولا يشكل القمع غاية في حدّ ذاته بل وسيلة ضمن وسائل أخرى تستهدف وقف التجاوزات والحيلولة دون أن ترتكب مخالفات وتمر بلا عقاب[٢٨]. ولا بدّ أن تدخل هذه المبادئ والأحكام أعماق الرجال المحاربين، وأن تصبح عقائد يؤمنون بها، وأهمية التعليم والتدريب المرتبط بالعقيدة أنه يتغلغل في كيان الإنسان ووجدانه، ومن ثم يشكل سلوكه وعمله، لذلك كان الجندي المسلم يحمل مصحفه وعقيدته قبل سلاحه، ومن ثم يكون هذا السلاح نفسه ذا أخلاق، إذا سلّ فإنما يسلّ بقانون، وإذا وجّه إلى عدو فهو بقانون، وكذلك إذا أغمد فبقانون.

الملخص

هذه الورقة دراسة وصفية تحليلية مقارنة للضمانات الكفيلة بحماية المبادئ الإنسانية في الحروب. فكل من الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني حرصاً على منح ضحايا النزاعات المسلّحة الحماية والاحترام والمعاملة الإنسانية الكريمة... وفي طيات هذا البحث دراسة لهذه الضمانات، فهو يوضّح شمولية قواعد النظامين ومدى فاعليتهما في توفير الحماية وخاصة للمدنيين، فمبادئهما السامية وآلياتهما النافذة تبقى المظلة الأولى التي يستظلّ بها داعمو القانون وحماته.

الهوامش

(١) سعيد المهيري، **العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية**، ص١٥٥، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٥م.

(٢) أبو يوسف، **الخراج**، ص١٣٩، دار المعرفة، بيروت.

(٣) بسام العسلي، **المذهب العسكري الإسلامي**، ص٣٤، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٩٩٣م.

(٤) عثمان جمعة ضميرية، **القانون الدولي الإسلامي**، ص٢٠، مجلة الداعي، الجامعة الإسلامية بالهند، السنة ٢٥، العدد١٢، ٢٠٠٢.

(٥) أخرجه البخاري.

(٦) عابد بن محمد السفياني، **الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية**، ص٦١، مكتبة المنار السعودية، ١٩٨٨.

(٧) حامد سلطان، **أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية**، ص٢٢٢.

(٨) إحسان هندي، **أثر الثقافة والأخلاق والدين في القانون الدولي الإنساني**، محاضرات في القانون الدولي الإنساني، اللجنة الدولية للصليب الأحمر

(٩) سعيد المهيري، مرجع سابق، ص٣٦٩.

(١٠) سعيد الزهراني، **القيم الأخلاقية في الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام**، ص٢٩١، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

(١١) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج١، ص١٣٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣.

(١٢) ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ج١، ص١٢٦، دار الكتاب العربي، بيروت.

(١٣) سليمان آل كمال، **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية**، ص ٢٤٣، ٢٦٣، جامعة أم القرى السعودية، ١٩٩٨م.

(١٤) أبوعبيد، **الأموال**، تحقيق محمد خليل هراس، ص١٨٤-١٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥.

(١٥) إيف ساندو، **نحو إنفاذ موسوعة اتفاقيات القانون الدولي الإنساني**، دراسات في القانون الدولي الإنساني، ص٥١٢.

(١٦) سعيد سليم الجويلي، **تنفيذ القانون الدولي الإنساني**، ص ١٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١ ١، ٢٠٠٢م.

(١٧) شريف عتلم، **موسوعة اتفاقيات القانون الدولي الإنساني**، ص ٨٥، ١٠٩، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(١٨) عامر الزمالي، **تطبيق القانون الدولي الإنساني، محاضرات في القانون الدولي الإنساني**، ص ١٢٩، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، الطبعة٦، ٢٠٠٦م..

(١٩) سعيد سليم الجويلي، **تنفيذ القانون الدولي الإنساني**، ص٢٦، ٢٧، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

(٢٠) عامر الزمالي، **مرجع سابق**، ص١٢٤.

(٢١) سعيد سليم الجويلي، **مرجع سابق**، ص ٤٠.

(٢٢) المرجع السابق، ص٤٠.

(٢٣) زيدان مريبوط، **مدخل إلى القانون الدولي الإنساني**، حقوق الإنسان٢، ص ١١٦.

(٢٤) إيف ساندو، **مرجع سابق**، ص٥٣٥.

(٢٥) محمد فهاد الشلالدة، **القانون الدولي الإنساني**، ص ٣٣٠، منشأة المعارف، مصر.

(٢٦) عامر الزمالي، **مرجع سابق**، ص ١٤١.

(٢٧) إبراهيم الدراجي، **جريمة العدوان ومدى المسؤولية القانونية الدولية عنها**، ص ٩٢٤، منشورات الحلبي، ط١، بيروت.

(٢٨)عامر الزمالي، **مرجع سابق**، ص١٤٣، ١٤٤.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

١٥- منهج التربية الإسلامية في تحقيق الضبط الاجتماعي

• محمد حبيب الله الشنقيطي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد،،،

فإن من أعظم مطالب المجتمعات الإنسانية أن تعيش متماسكة في أمن وسلام، ولا يمكن أن يتحقق لها ذلك إلا بتحقيق الضبط الاجتماعي الذي يجعل الفرد يحترم النظام فيؤدي الواجبات التي عليه، ويطالب بحقوقه مستخدماً الطرق الصحيحة المناسبة، وإذا كان لكل مجتمع فلسفته أو طريقته التي يستخدمها لتحقيق هذا الضبط الاجتماعي، والتي قد تصيب فتؤدي إلى المطلوب، وقد تخطئ، فإن مجتمعنا المسلم له تجربة تربوية رائدة في تحقيق الضبط الاجتماعي تستحق أن تكون موضع الدراسة والإشادة ليستفيد منها المسلمون وغيرهم.

فقد جاء في الأثر أن أبا بكر ﷺ حين تولي الخلافة بعد رسول الله ﷺ عين عمر بن الخطاب ﷺ قاضياً على المدينة، فمكث عمر سنة لم يختصم إليه فيها اثنان، ولم يعقد جلسة قضاء واحدة، حتى طلب من الصديق إعفاءه من القضاء، قال أبو بكر ﷺ: أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟ فقال عمر ﷺ: لا يا خليفة رسول الله ولكن لا حاجة بي عند

• البريد الإلكتروني: habeeb.sh@hotmail.com

قوم مؤمنين، عرف كل منهم ماله من حق، فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب فلم يقصر في أدائه، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادوه، وإذا افتر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب عزوه وواسوه، دينهم النصيحة، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففيما يختصمون[1]؟

وقال النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه: يا عدي بن حاتم هل رأيت الحيرة؟ قال عددي: قلت لم أرها وقد انبئت عنها، قال ﷺ: «فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله»، قال عدي رضي الله عنه: قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دُعَّارُ طيىء الذين قد سعروا البلاد، قال عدي بعد ذلك: قد رأيت الظعينة ترتحل من الكوفة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله[2].

والسؤال الذي قاد لهذا البحث: كيف استطاع النبي ﷺ أن ينقل العرب إلى هذه الدرجة من الانضباط الاجتماعي الذي ترتب عليه الأمن بعد الفوضى والجاهلية التي عاشتها جزيرة العرب قبيل بعثته وما المنهج التربوي الذي استخدمه لذلك؟

مشكلة البحث

سؤال البحث الرئيس هو: ما منهج التربية الإسلامية الذي استخدمته لتحقيق الضبط الاجتماعي؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

١- ما هدف الضبط الاجتماعي في التربية الإسلامية؟

٢- ما جوانب الضبط الاجتماعي في التربية الإسلامية؟

٣- ما مؤسسات الضبط الاجتماعي في التربية الإسلامية؟

٤- ما وسائل التربية الإسلامية لتحقيق الضبط الاجتماعي؟

---

(١) أصل القصة رواها البيهقي في سننه الكبرى برقم ٢٠٦٥١، وهو في كنز العمال برقم ١٤١٣٠.

(٢) قطعة من حديث طويل رواه البخاري برقم ٣٥٩٥.

أهمية البحث

يستمد البحث أهميته من أهمية الضبط الاجتماعي الذي يعتبر ضرورة من ضروريات حفظ الحياة واستمرار بقاء الإنسانية، لأن الإنسانية لن تكون قادرة على الحياة الاجتماعية إلا إذا خضعت تصرفات الفرد لقيود ونظم اجتماعية، تحدد المسالك والدروب التي تحكم السلوك البشري وتسمو بالتعامل الانساني، والذي يمكنه من العيش في سلام واطمئنان مع غيره من أفراد عشيرته أو قومه وأمته، وحيث يتبادل مع سائر الأفراد الاحترام والتقدير والأمن[٣].

وتزداد أهمية البحث لتعلقه بالتربية الإسلامية، لأنه يحاول أن يكشف عن منهجها في تحقيق هذا الضبط، وأنها ليست موجهة فحسب وإنما كذلك ضابطة، يراد من خلالها تشكيل الفرد ليخضع سلوكه مع ما ترتضيه الجماعة التي ينتمي إليها فهي تعمل على تمكين الضوابط الإسلامية في سلوك الفرد لجعلها التزاماً محبباً يعمله عن رغبة دون إجبار أو إكراه.

مصطلحات البحث

١- **المنهج**: المنهج في اللغة هو الطريق البين الواضح يقال: «انهج الطريق أي استبان وصار نهجاً واضحاً بيناً، ونهجت الطريق إذا أبنته وأوضحته»[٤]، قال ابن عباس ﷺ: «لم يمت رسول الله حتى تركك على طريق ناهجة»[٥]. وفي تعريف الباحث هو: طريقة التربية الإسلامية في تحقيق الضبط الاجتماعي بما فيها من جوانب ومؤسساً ووسائل تربوية، والتي تنطلق من أسسها العقدية وأصولها الإيمانية.

٢- **الضبط الاجتماعي**: عرف معجم العلوم الاجتماعية الضبط الاجتماعي بأنه:

(٣) عبد المجيد سيد أحمد منصور، دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي، ص ٨٩.
(٤) اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ج ١ ص ٣٤٦.
(٥) بطرس البستاني، محيط المحيط، ص ٨٤١.

«مختلف القوى التي يمارسها المجتمع للتأثير على أفرادهِ من عرف وتقاليد وأجهزة يستعين بها على حماية مقوماتهِ والحفاظ علىَ قيمه ومواصفاتهِ أو يقاوم بها ما عسى أن يتطرق إليها من عوامل الانحراف ومظاهر العصيان والتمرد»[٦].

والتعريف الذي يختاره الباحث هو: «السيطرة الاجتماعية المقصودة التي تؤدي إلى وظيفة معينة في المجتمع»[٧].

الإطار النظري للبحث

أولاً: هدف التربية الإسلامية من الضبط الاجتماعي

تتفق المجتمعات الإنسانية على أهمية الضبط الاجتماعي، ولكنها تختلف في هدفها من هذا الضبط، وهي في ذلك بين طرفي نقيض، فالمجتمعات الغربية المعاصرة تعطي الأولوية في هدف الضبط للفرد فتعطيه هامشاً أكبر من الحرية الشخصية، وهي تعتقد أن هذه الحرية الشخصية لا تؤثر على الجماعة، فالشذوذ الجنسي على سبيل المثال، والتطرف الفكري والأخلاقي – مالم يصل إلى حد الإرهاب – مقبول ولا يحتاج إلى ضبط اجتماعي، وفي الطرف النقيض تتربع مجتمعات تقوم على الظلم والاستبداد، وكبت الحريات بحجة الضبط وهي تعتقد في ذلك أنها تقدم مصلحة الجماعة.

ويأتي الإسلام بوسطيته المعهودة في الوسط بين من يقدم مصلحة الفرد، ومن يقدم مصلحة الجماعة، لأن إعطاء الفرد حريته المطلقة ولو كان ذلك في شؤونه الشخصية يؤثر على الضبط الاجتماعي بحسب ما أثبتته الدراسات العلمية على المجتمعات المتحررة، ففي دراسة أجراها دور كايم عن ظاهرة الانتحار بعد أن ارتفعت نسبتها في المجتمعات البروتستانية أكثر من الكاثوليكية وجد أن السبب في هذه الزيادة هو أن المذهب البروتستاني

(٦) ابراهيم مدكور معجم العلوم الاجتماعية الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة، ص٣٥٧.
(٧) عبد المجيد سيدأحمد منصور، دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي، ص ٢١.

يؤمن بحرية - الفكر ويؤيد الفردية ويدعم روحها، وهو ما أدى إلى ضعف واضح في درجات الالتحام والتماسك الاجتماعي[٨].

فالانحرافات الفكرية والسلوكية لا تؤثر على أصحابها فحسب، ولكنها تؤثر على المجتمع وتؤدي إلى زيادة الانتحار والتفكك الاجتماعي، والتسيب والفوضى إلى غير ذلك من الآثار الخطيرة على المجتمع، وفي المقابل لا يؤدي الظلم والكبت للحريات نتيجة إيجابية للضبط الاجتماعي بل العكس، وخير دليل على ذلك ما حصل في بلدان الربيع العربي.

وبين هذين الطرفين يأتي المنهج التربوي النبوي الذي يراعي مصلحة الجماعة فيسعى إلى تماسكها وترابطها، ويجعل من الضبط الاجتماعي هدفاً لذلك، قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[٩]، ويراعي كذلك حرية الفرد وحقوقه الشخصية، ولكن بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى الإخلال بالضبط الاجتماعي، ولو كان إخلالاً غير مباشر، فالزنى في الإسلام مثلاً لا يعتبر حرية شخصية لما له من الآثار السيئة على تماسك الأسرة، وما يحتاجه المجتمع من حفظ الأنساب، والتعرض للآخرين بالغيبة والنميمة لا يعتبر حرية شخصية لما له من الآثار السيئة على الضبط الاجتماعي.

ثانياً: جوانب الضبط الاجتماعي في التربية الإسلامية

من عوامل نجاح التربية الإسلامية في تحقيق الضبط الاجتماعي أنها لا تركز على جانب واحد وإنما تهتم بمختلف الجوانب التي تساعد على الضبط سواء كانت وقائية أو إنمائية أو علاجية ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

أ - **الجانب الوقائي:** في هذا الجانب تحدد التربية الإسلامية لكل فرد من أفرادها ما له من حقوق، وما عليه من واجبات وحقوق للآخرين بعبارة مفصلة كما في قول النبي

(٨) سلوى سليم، الإسلام والضبط الاجتماعي.
(٩) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست قيل ما هن؟ يا رسول الله قال:إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فسمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه»[١٠].

كما توضح التربية لأفرادها الآثار السيئة لتجاوز قواعد الضبط الاجتماعي مثل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾[١١]، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» ثم بينها ﷺ[١٢]، ونلاحظ في المثالين أن الآية الكريمة قالت:(وَلَا تَقْرَبُوا) فنهت عن مجرد الاقتراب من الزنى، وفي الحديث قال ﷺ: «اجتنبوا» أي كونوا أنتم في جانب وهذه المحرمات في جانب آخر، وهذه فلسفة في الضبط تقوم على أن يبتعد الفرد عن الخطأ وعن الأسباب التي يمكن أن تجعله يقع في الخطأ.

ب- الجانب الإنمائي: عملت التربية الإسلامية في هذا الجانب على تعزيز ثقافة الانضباط والالتزام في المجتمع المسلم من خلال بيان أهمية الالتزام بالحقوق والواجبات والبعد عن الأخطاء والانحرافات التي تؤثر على تماسك المجتمع المسلم لذلك تحذر من الظلم والتعدي على حقوق الآخرين، وفي المقابل تأمر دائماً بأداء الحقوق والحرص على تماسك المجتمع قال النبي: «المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». [١٣]

ج – الجانب العلاجي: لم تترك التربية أخطاء الأفراد تكبر لتشكل خرقاً في الضبط الاجتماعي ولكنها عملت على علاجها بأحسن الأساليب التربوية، بل وعملت على استثمار هذه الأخطاء وما قد يترتب عليها من عقوبة في تعزيز الضبط الاجتماعي، كما فعل النبي ﷺ مع الصحابي الذي تكرر منه شرب الخمر، فقد عاقبه النبي ﷺ بالعقوبة المقررة على

(١٠) رواه مسلم برقم ٢١٦٢.
(١١) سورة الإسراء الآية ٣٢.
(١٢) رواه البخاري برقم ٢٦١٥.
(١٣) رواه مسلم برقم ٦٧٠٦.

هذه الجريمة، وفي نفس الوقت احتواه وقربه إليه فشهد له بحب الله ورسوله، ليفصل بين الجريمة وفاعلها بأسلوب تربوي فريد فالجريمة مرفوضة ولكن شخص هذا الصحابي مقبول مرحب به. [١٤]

ثالثاً: مؤسسات الضبط الاجتماعي

للتربية الإسلامية مجموعة من المؤسسات التي تساعد على تحقيق الضبط الاجتماعي أهمها:

١- **الأسرة**: وتعتبر أهم مؤسسة تربوية تمارس مع الفرد أول أساليب الضبط الاجتماعي كالإشارات التي تعبر عن وجوب الامتناع عن تصرف معين أو الإشارات التي تدل على التهديد بإنزال العقاب أو تعابير الوجه التي تعبر عن الرفض أو القبول، من ذلك قول النبي ﷺ للحسن وقد رأى في يده تمرة من الصدقة: «كخ كخ». ليطرحها [١٥] كما تقوم الأسرة بدور تربوي هام في في تشكيل الاتجاهات وا لآراء[١٦] والانتماءات الاجتماعية.

٢- **المدرسة**: وتتميز بأنها أول بيئة اجتماعية تحتضن الطفل بعد أسرته، ودورها في التربية لا يقتصر على توصيل المعلومات، وإنما يتعدى ذلك إلى التربية وإحداث التغيير المرغوب والشامل في شخصيات الطلاب وسلوكياتهم، أو تفاعلهم مع بعضهم، ومع الآخرين من أفراد المجتمع، مما يكسبهم قويم الأخلاق وصالح السلوك[١٧].

٣- **المسجد**: والمسجد في الإسلام يختلف عن دور العبادة التي في الأديان الأخرى فهو

---

(١٤) انظر تفصيل القصة في صحيح البخاري برقم ٦٣٩٨.
(١٥) رواه البخاري برقم ١٤٢٠.
(١٦) عبد القادر رمزي، العلاقة بين الفقه الإسلامي والدراسات التربوية والاجتماعية، ص٩.
(١٧) عبد الله عبد الدائم، دور التربة والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة، ص٨٨.

مؤسسة تربوية يرتبط المسلم بها من خلال أنواع العبادات اليومية من الصلوات الخمس والجمعة وما يقام فيه من محاضرات أو ندوات، وفي ضوء أثر الصلاة وما يقدمه المسجد من محاضرات أو دروس تحدد هذه المؤسسة التربوية سلوك الفرد الصحيح وترسم حركاته وتفاعلاته وعلاقته مع الآخرين بما يساعد على تحقيق الضبط الاجتماعي في مختلف النواحي.

٤- **المجتمع**: والمجتمع في التربية الإسلامية كالمدرسة والمسجد له دور تربوي يقوم به، لأن المجتمع المسلم مجتمع متماسك يقوم على النصيحة وحب الخير للآخرين، شعاره قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة قلنا لمن؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[١٨] وهو مما يحقق الضبط الاجتماعي.

٥- **وسائل** الإعلام: للإعلام دور في الضبط الاجتماعي سواء كان هذا الإعلام قديماً بوسائله التقليدية كالذي كان يقوم به الشعراء والقصاص، وأصحاب المجالس والندوات العلمية، أو كان حديثاً بعد تفجر المعرفة وتعدد التقنيات.

لهذا تهتم التربية الإسلامية بالإعلام وتفعيل دوره في الضبط، فالكلمة مهما كانت طريقة تحركها، تعتبر أمانة في عنق صاحبها يسأل عنها يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١٩].

رابعاً: أساليب الضبط الاجتماعي

يقصد بأساليب الضبط الاجتماعي: الطرق والممارسات التي تتحكم في تصرفات الأفراد وتعمل كقوى تجبر الأفراد على الخضوع للمعايير الاجتماعية، فكل مجتمع من المجتمعات البشرية له أساليب ضبط تنظم حياة البشر وتحكم طرق معاملاتهم

(١٨) رواه مسلم برقم ٥٥.
(١٩) (سورة ق: ١٨).

وسلوكياتهم، وتتميز التربية الإسلامية بأن أساليبها ربانية من عند الله تعالى، فهي مستمدة من القرآن الكريم بما يحمله من هداية وإرشاد، يؤكد ذلك المسلم وغير المسلم، يقول الكاتب الفرنسي مارسيل كابي: «القرآن الكريم يحمل للناس باسم الإيمان الثابت على وجه الإطلاق أصول العدالة والنظام الاجتماعي الذي يخضع الفرد لمراعاة آداب الاجتماع، ويفرض على الجماعات حماية الأفراد، وهو بهذا الأسلوب يوافق في جواهر مبادئه أحدث القواعد الاجتماعية العصرية... وقد نظم حدود حياة كل فرد وحياة المجموع»[٢٠]، ومن الأساليب التي تستخدمها التربية الإسلامية لتحقيق الضبط:

١- **تقوية الوازع الديني:** حيث تستخدم التربية الإسلامية الوازع الديني في الضبط الاجتماعي، لأن المسلم مطالب بأن يلتزم بالدين ظاهراً وباطناً، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ أي أطيعوا الله تعالى في جميع الإسلام وهو الدين الشامل الذي ينظم للأفراد جميع شؤون حياتهم الفردية والاجتماعية «فالإسلام منهاج للحياة وطراز خاص للتفكير والعمل، وهو يعني طاعة الإنسان لربه وإسلام وجهه إليه، وأن يقبل المسلم المنهاج الفكري والعملي الذي أنزله الله لهداية البشر، ويتبعه منقاداً له منسلخاً من الفوضى الفكرية والعملية». [٢١]

٢- **العبادات:** للعبادة في الإسلام فوائد كثيرة وآثار حسنة تخدم المعاملات في المجتمع بما يؤدي إلى تحقيق الضبط الاجتماعي، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصوم يهذب النفس ويشعرها بمرارة الحرمان فيجود الفرد على البائس الفقير، والزكاة عنوان للتكافل الاجتماعي، والحج لا يخرج له الفرد إلا بعد أداء ما عليه من واجبات نحو الأفراد الآخرين [٢٢]، والمسلم الذي يلتزم بهذه العبادات تحجزه عن أذية الغير بما يساعد على الضبط.

---

(٢٠) نقلاً عن: عمر عودة الخطيب، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، ص ١٩٣.

(٢١) نبيل محمد السمالوطي، : الدين والبناء الاجتماعي، ص٢٢.

(٢٢) عبد المجيد سيد أحمد منصور، دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي، ص ١٣.

٣- **الدعوة للأخلاق الفاضلة:** تعتبر الأخلاق الفاضلة ضابطاً اجتماعياً ينبع من داخل الضمير الإنساني، لأنها تحمل صاحبها على احترام الآخرين والوفاء لهم بحقوقهم، وعدم التعدي على حرماتهم، حتى لو قصروا هم في ذلك قال النبي ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[٢٣] لهذا تدعوا التربية الإسلامية للأخلاق الفاضلة، وتجعل لها مكانة عظيمة في الدين، حتى قال الرسول ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[٢٤].

٤- **تنظيم المعاملات:** فنظمت التربية الإسلامية قواعد وضوابط المعاملات بما يساعد على تحقيق الضبط الاجتماعي، كما هو مبسوط في كتب الفقه الإسلامي والتي حوت أبواباً للمعاملات فيها قواعد عامة ومفصلة تشمل معاملات الناس بينهم على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم، وفي مختلف شؤون الحياة التجارية والاجتماعية والسياسية، فيها الكثير من الآيات والأحاديث التي تحقق الضبط الاجتماعي من خلال هذه المعاملات، ففي علاقات التجار مثلاً قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾[٢٥] وفي العلاقة بين الحاكم والمحكوم يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[٢٦].

٥- **مبدأ المحاسبة:** وهو مطلوب في التربية الإسلامية، سواء كانت هذه المحاسبة ذاتية من الشخص لنفسه، قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[٢٧]، أو خارجية كما فعل الرسول مع صحابي عينه على الصدقات فلما رجع حاسبه قال أبو حميد الساعدي رضي الله عنه: استعمل النبي رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة

(٢٣) رواه أبو داود برقم ٣٥٣٤، وقال الألباني في تعليقه عليه صحيح.
(٢٤) رواه أبو داود برقم ٤٧٩٨، وقال الألباني في تعليقه عليه صحيح.
(٢٥) سورة النساء: ٢٩.
(٢٦) سورة النساء: ٥٩.
(٢٧) رواه الترمذي برقم ٢٤٥٩.

فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي لي. قال: «فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر يهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته... الحديث»[٢٨].

٦- **الثواب والعقاب:** تستخدم التربية الإسلامية الثواب والعقاب لضبط سلوك الفرد في المجتمع، ولا يقتصر هذا الثواب أو العقاب على الدنيا بل يتعدى ذلك إلى الآخرة، ففي الدنيا يثاب المسلم المنضبط المستقيم بالبركة واتساع الرزق والعافية واستجابة الدعاء وطول العمر، وفي الآخرة برضوان الله تعالى ودخول جنته ولذة النظر لوجهه الكريم، أكرمنا الله تعالى بذلك، بينما يستحق العبد العاصي العقوبة في الدنيا بضيق العيش والمرض وخيبة الدعاء، وفي الآخرة قد يعذبه الله تعالى في جهنم أعاذنا الله تعالى منها.

٧- **تحريم النفس البشرية:** فالنفس في الإسلامية لها مكانة خاصة، والاعتداء عليها جريمة كبيرة، تعد خرقاً خطيراً في سياج الضبط الاجتماعي، قال الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[٢٩] وقتل النفس محرم في الإسلام حتى لو كانت هذه النفس غير مسلمة ما لم تكن عدواً محارباً، قال النبي ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً»[٣٠].

٨- **حفظ الكرامة الإنسانية:** للمسلم كرامة وحرمة عظيمة حتى قال النبي ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٣١]، وقد حفظ الإسلام هذه الكرامة وحرم التعدي عليها وذلك بتحريم

(٢٨) رواه البخاري برقم ٢٤٥٧.
(٢٩) سورة المائدة: ٣٢.
(٣٠) رواه البخاري برقم ٢٩٩٥.
(٣١) رواه مسلم برقم ٢٥٦٤.

القذف والسب وغير ذلك مما فيه إهانة أو أذية وتحقير للإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[٣٢].

٩- **حفظ العقل الإنساني:** فالعقل في التربية الإسلامية نعمة كبيرة من الله تعالى يجب المحافظة عليها، ويحرم التفريط بها، فهو مناط التكليف وسبب تكريم الله تعالى لبني آدم قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾[٣٣].

١٠- **الاهتمام بالأموال وحفظها:** فالإسلام يراعي الطبيعة البشرية وحب الإنسان للمال مع تهذيب هذه الطبيعة وكبح جماحها، وتوجيهها التوجيه الصحيح، لهذا يعتبر المال نعمة من الله تعالى لا يجوز تضييعها ولا الإسراف فيها، كما يحرم أشد التحريم الاعتداء على أموال الآخرين بغير حق، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾[٣٤].

١١- **تكوين الرأي العام:** نقصد بالرأي العام اتفاق الناس نحو قضية ما، إذا كان هؤلاء الناس من مجتمع واحد، حيث يعتبر هذا الاتفاق وسيلة ضاغطة لتحقيق الضبط الاجتماعي، كما أنه يعتبر سبباً لتكون القيم والاتجاهات الاجتماعية المشتركة، التي تعزز الضبط الاجتماعي، هذه الوسيلة استثمرتها التربية الإسلامية أحسن استثمار، بتكوين الرأي الاجتماعي الصحيح أولاً، ثم استخدامه كوسيلة للضبط، يدل على ذلك ما جاء في قصة الثلاثة الذين خلفوا فهم ثلاثة صحابة ارتكبوا خطأ عظيماً فقاطعهم المجتمع المسلم حتى تابوا عن قناعة وهو المطلوب[٣٥].

---

(٣٢) سورة الأحزاب: ٥٨.
(٣٣) سورة الأحزاب: ٧٢.
(٣٤) سورة النساء: ٢٩.
(٣٥) انظر تفصيل قصتهم في صحيح البخاري برقم ٤١٥٦.

١٢- **المسؤولية الاجتماعية**: يربي الإسلام أتباعه على أن كل واحد منهم له مسؤولية اجتماعية يتحملها في أسرته وجيرانه ومجتمعه، وإذا كان حاكماً أو له منصب في المجتمع أصبحت له مسؤولية أخرى في حدود ولايته قال النبي ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[٣٦] أي: أنه سوف يسأل عما استُرعي من شؤونهم، مما يجعله يشدد الرقابة على نفسه، ويهتم بهذه المسؤولية.

١٣- **التشريعات الإسلامية (القانون)**: يحتوي الدين الإسلامي على حدود للعقوبات مفصلة ومنظمة إذا اعتبرناها قانوناً، فإننا نقول إنها قانون يتميز بأنه من عند الله تعالى خالق البشر، الذي خلق الإنسان ويعلم ما يصلح له، كما أنه قانون سماوي لم تغيره أهواء البشر ورغبات المتسلطين، وفاعليته لا ترتبط بالسلطة والإجبار، وإنما هي أشمل من ذلك وأعم لأنها تنبع من داخل ضمير الفرد المسلم، مما يعني تأثيراً قوياً وفعالاً لهذه التشريعات أو القوانين في تحقيق الضبط الاجتماعي يقول سيد قطب: «إن العقيدة الإسلامية أوجدت ذلك الضابط النفسي الذي يحول دون الانحراف وهو ضابط يعمل دون تسلط أو قهر أو مصلحة بل برغبة نبيلة متطوعة»[٣٧].

هذه بعض وسائل التربية الإسلامية لتحقيق الضبط الاجتماعي، ولكنها لا تكون فاعلة مؤثرة إلا عن طريق التربية الصحيحة، والتنشئة الاجتماعية، وتطبيع الأفراد على تحقيقها في حياتهم الخاصة والعامة.

(٣٦) صحيح البخاري ٦٧١٩

(٣٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص١١٤.

نتائج الدراسة

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من هذه الدراسة:

١- هدف التربية الإسلامية من تحقيق الضبط الاجتماعي هدف شامل متوازن يجمع بين حقوق الفرد ومصالحه مع مصلحة الجماعة وما تحتاجه من أمن واستقرار، ومنهجها يحمل معاني الخير والصلاح للمجتمعات، وما تستخدمه من أساليب لتحقيق الضبط متوافقة وطبيعة المجتمع البشري، بعيدة عن سلطة الظلم وكبت الحريات، لأن مصدرها من عند الخالق سبحانه وتعالى وهو سبحانه أعلم بخصائص النفوس وطبائعها وما تحتاج لضبطها.

٢- تهتم التربية الإسلامية في تحقيقها للضبط الاجتماعي بمختلف الجوانب الوقائية والانمائية والعلاجية، لكنها تركز على مبدأ وقاية الفرد من الخطأ قبل الوقوع فيه، وتركز على قواعد بناء المجتمع المسلم وما يتميز به من أخوة وترابط، وذلك يعتبر عاملاً مساعداً على تحقيق الضبط الاجتماعي.

٣- أكثر أساليب الضبط الاجتماعي في التربية الإسلامية داخلية تنبع من الضمير الإنساني، وتقوم على العبادة وتهذيب النفس ومراقبة الله تعالى مع الرغبة في الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة، وهذه الأساليب أنجح من الأساليب الخارجية مثل: العقوبة وسلطة النظام والتي قد يترتب عليها آثار جانبية غير مرغوبة.

٤- منهج التربية الإسلامية منهج ناجح في تحقيق الضبط الاجتماعي، وما قد يحدث في بعض المجتمعات المسلمة من خلل في هذه الضبط سببه البعد عن شريعة الله تعالى وعدم التقيد بالمنهج الرباني.

المراجع

- ابراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية الشعبة القومية للتربية،الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٥م.
- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية،الهند، حيدر آباد، ١٣٤٤هـ.
- اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.
- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، لبنان، بيروت، ١٩٧٧م.
- سامية حسن الساعاتي، الجريمة والمجتمع، ط٢، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، ١٩٨٣م.
- سلوى سليم، الإسلام والضبط الاجتماعي، دار التوفيق، جمهورية مصر، القاهرة، ١٩٨٥م.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، ط٧، بيروت، ١٩٧١م.
- عبد القادر رمزي، العلاقة بين الفقه الإسلامي والدراسات التربوية والاجتماعية، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، ع٥، مجلد ٤، مطابع الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م.
- عبد الله عبد الدائم، دور التربة والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة، دار الطليعة، لبنان، بيروت، ١٩٩٨م.
- عبد المجيد سيد منصور، دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٠٧هـ.
- علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
- عمر عودة الخطيب، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٨م.
- فتحي الدريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ١٩٨٢م.
- محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، لبنان، بيروت.
- نبيل محمد السمالوطي، : الدين والبناء الاجتماعي، دار الشروق، المملكة العربية السعودية، جدة، ١٩٨١م.

Islamic education's method in achieving social control

Dr. Muhammad Habib Muhammad al-Shanqiti

The writer initiates his research with an introduction in which he explains the reason behind writing this research, its problem and the terms that needed to be explained. Then, he sheds light on the purpose of the Islamic education to demonstrate how it is a central purpose that combines the interests of the individuals and community. After that, he talks about the aspects of social control in the Islamic education and how it includes preventive, developmental and therapeutic aspects; then he talks about the institutions of social control in Islam: the family, school, mosque, the Muslim community and the media; then he moves to the methods of Islamic education to achieve social control, including the strengthening of religious faith, worship, and establishing the good morals , regulating transactions, the principle of reward and punishment, the prohibition of the human psyche, preservation of human dignity, social responsibility, legislation (Islamic law) and the formation of public opinion.

The researcher concluded that the method of the Islamic education carries the meanings of goodness and righteousness for the communities, and what this Islamic method uses in order to obtain the social control fits with the nature of human society, and it is far from the power of injustice and the suppression of freedoms because it has divine sources that come from the Almighty Creator who is the best in knowing the human soul' characteristics, nature and needs.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

١٦- مصادر وسبل تمويل الخدمات التطوعية في الحج

• د. حصة جمعان الهلالي الزهراني

تعرف الخدمات التطوعية بأنه «الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه للإسهام في تحمل مسؤولية المؤسسة التي تعمل على تقديم الرعاية الاجتماعية، كما يعرف بأنه «بذل مالي أو عيني أو بدني أو فكري يقدمه المسلم عن رضا وقناعة، بدافع من دينه، بدون مقابل بقصد الإسهام في مصالح معتبرة شرعاً، يحتاج إليها قطاع من المسلمين».[١]

ويمكن التمييز بين شكلين أساسيين للعمل التطوعي[٢]:

أ – العمل التطوعي الفردي.

ب – العمل التطوعي المؤسسي (الأهلي والحكومي).

وبالنسبة للخدمات في مجال الحج والعمرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

• أستاذ مشارك، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن/الرياض.
البريد الإلكتروني: dr.hossa@live.com

(١) النعيم، عبدالله العلي:العمل الاجتماعي مع التركيز على العمل التطوعي، في المملكة، الرياض، ص٢٥.
(٢) معلوي عبدالله الشهري:العمل التطوعي وعلاقته بأمن المجتمع، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٣.
(٣) (البقرة: ١٥٨).

وروى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى العباس فسقاه ورآهم يعملون ويسقون زمزم فقال «اعملوا فإنكم على عمل صالح ثم قال: لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه يعني عاتقه وأشار إلى عاتقه». ويدل هذا الحديث على أن سقاية الحجاج من الأعمال التطوعية التي يحث الرسول ﷺ على المداومة عليه[٤]. وفي المملكة العربية السعودية ارتبطت الخدمات التطوعية منذ بداياته بالدور الخاص المنوط بالمجتمع السعودي في خدمة حجاج بيت الله الحرام. وضرب المغفور له الملك عبد العزيز أروع الأمثلة في العمل التطوعي حيث أرسي قواعد الأمن بالمملكة وتوج الجهود السعودية التطوعية التي كان يبذلها المواطنين في خدمة حجاج بيت الله الحرام. ومن هذه البدايات المشرقة توسعت الأعمال التطوعية داخل المملكة بفضل الجمعيات الخيرية التي ساهم في إنشائها القطاعين العام والخاص، وامتدت خدماتها إلى خارج المملكة لتغطى عدداً كبيراً من الدول العربية والإسلامية والأجنبية. وقد كان لهذه المبادرات الجليلة الدور المشهود في تطوير العمل التطوعي داخل المملكة وخارجها، وساعد على ذلك أن العمل التطوعي هو جزء من طبيعة وتكوين المجتمع السعودي.

وتشهد المملكة دوراً حقيقياً للعمل التطوعي وفي مختلف المجالات باعتباره نموذجاً ينفرد بخصوصية أملتها أسس وقواعد النهضة التاريخية للمملكة وسجلها الحافل بالعطاء والذي أسهم فيه وبدرجة كبيرة القطاع الخاص والحكومي ممثلاً في رجال الأعمال الذين شاركوا في العمل التطوعي والمؤسسات والهيئات.

لذلك ومن خلال هذه الصفحات المتواضعة بإذن الله سوف نلقي الضوء على مصادر وسبل تمويل الخدمات التطوعية في الحج والعمرة[٥].

(٤) ورقة عمل:دور القطاع الخاص في تنمية وتطوير العمل التطوعي..إدارة خدمة المجتمع بالغرفة التجارية الصناعية بالرياض نموذجاً مقدمة إلى المؤتمر الرابع لجمعية متطوعي دولة الإمارات العربية المتحدة، المنعقد بإمارة الشارقة في الفترة ٢٣ – ٢٤ مارس ٢٠٠٣م إعداد مركز البحوث والدراسات بالغرفة، ص٥.

(٥) قاضي، سهيل:تطور رعاية الحجاج وخدمتهم في عهد الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ.

المصدر الأول من مصادر تمويل الخدمات في الحج والعمرة

أولاً- دور الموارد الحكومية في خدمة الحجيج

وزارة الحج هي إحدى الوزارات بالمملكة العربية السعودية وهي تختص بشؤون الحج والعمرة والأوقاف الإسلامية سابقاً ومنح التأشيرات للمسلمين القادمين إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج أو العمرة وتأمين وتسهيل انتقال الحجيج والمعتمرين من وإلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة بكل يسر وسهولة.يعود إنشاء وبدء عمل وزارة الحج والأوقاف الإسلامية إلى عام ١٣٦٥هـ[٦] وذلك عندما أصدر الملك عبد العزيز مرسوم ملكي يقضي بإنشاء مديرية الحج والحرمين الشريفين وتعيين معالي الشيخ محمد بن صالح آل الشيخ مدير لها. وكان جلالته يؤكد طوال حياته على رعايته الكاملة بأمور الحج والحجاج والمتمثل أيضاً بالإدارة العامة للحج[٧] والسمو بها لتحقيق كل ما يتعلق بها من خدمات ورغبات ومشاريع فكان أول مخصص للحرمين في أول ميزانية عامة للدولة عام ١٣٥٠ هـ، كان مبلغ ٢٠٤٨١٣٧، قرشاً أميرياً[٨].

واستمر العمل لفترة حتى صدر مرسوم ملكي رقم ر/١٤٥/٣ بتاريخ ١٣٧٤/٢/٣هـ، على تغيير اسم مديرية الحج والحرمين الشريفين إلى اسم مديرية الحج والأوقاف الإسلامية وتعيين حسن عرب رئيسا لها ودخلت تطورات كبيرة بعد تغيير اسمها فكانت تهتم بالحرمين الشريفين والحج فأصبحت تهتم بالمساجد والحرمين الشريفين. ولوحظ بأن أعداد الحجاج يزداد عاماً بعد عاماً فصدر مرسوم ملكي من الأمير فيصل بن عبد العزيز

(٦) كانت سابقاً عبارة عن لجنة للحج شكلت عام ١٣٤٦هـ من ثلاثة أعضاء ورئيس هيئة التمييز لجنة القضايا وفي عام ١٣٥٠ هـ تشكلت لجنة مكونة من ١٨ عضواً من المهتمين بأمور الحج، وفي عام ١٣٥٥هـ كان عدد أعضائها يمثلون الهيئات التي تقوم بخدمة الحجاج وفي عام ١٣٦٥هـ، بقيت لجنة إدارة الحج على ارتباطها بالنائب العام إلى أن ألحقت بوزارة المالية عام ١٣٦٥هـ.
العتيبي، إبراهيم: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز، ط١، الرياض، ١٤١٤هـ، ص ٣١٦.

(٧) من الدوائر المرتبطة بالإدارة العامة للحج نظام الطوافة والمطوفين، رؤساء الزمازمة، نظام الإدلاء، نظام الوكلاء، نظام هيئة مراقبة الحجاج، النقابة العامة للسيارات.. إلخ.
البابطين، هيا: التنظيمات الإدارية لشؤون الحج في عهد الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٣هـ، ص١٧٨.

(٨) العقبى، أحمد:رعاية الحرمين الشريفين في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ، ص ١٤.

بتحويل مديرية الحج والأوقاف الإسلامية إلى وزارة الحج والأوقاف الإسلامية، وتعيين الأمير خالد بن عبد العزيز وزيراً لها وتطورت وزارة الحج والأوقاف الإسلامية بفترة توليه ٢٠ عاماً حتى عام ١٤٠١هـ.

وزاد عدد الحجاج والمعتمرين وزاد مع ذلك عدد سكان المدن المقدسة، فكان لابد من زيادة الميزانية الضخمة لهذه المناطق من أجل الحصول على عناية أكبر وأشمل، ولا سيما المناطق التي لها مساس بالحج والعمرة فكانت النهضة الكبرى في عهد الملك فهد رحمة الله والذي بذل الغالي والنفيس لخدمة حجاج بيت الله.

وفي عام ١٤٠٨هـ أنشئت الإدارة العامة لشؤون حجاج الداخل، وصدر قرار مجلس الوزراء رقم (٨٢) وتاريخ ١٤١٠/٥/٦هـ القاضي بالموافقة على قواعد تنظيم خدمات حجاج الداخل.

وصدر بعد ذلك نظام خدمة حجاج الداخل الصادر بالمرسوم الملكي الكريم رقم (م/٥٨) وتاريخ ١٤٢٦/١٠/٢٨هـ ولائحته التنفيذية بالقرار الوزاري رقم ٦٨١٢١/ق م وتاريخ ١٤٢٨/٤/٢٧هـ[٩].

الأعمال التطوعية في عهد المؤسس

من الأعمال التي قدمتها الحكومة في عهد الملك عبدالعزيز للحجاج:

١- سن الأنظمة والتشريعات[١٠].

٢- قام بإنشاء الهجر للبوادي فأرسى ذلك حالة الأمن في البلاد.

٣- قام ببث الدعاة والمطاوعة ونشرهم بين أفراد القبائل لتعليمهم أصول الدين وطاعة الله في إتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه[١١].

---

(٩) الشبكة العنكبوتية. وأحمد، عمر هاشم «الحج فريضة إسلامية «مجلة الجاهد» العدد ٢٤٧، ذو القعدة ١٤٢١ - فبراير ٢٠٠١، إدارة الشؤون المعنوية للقوات المسلحة.

(١٠) جمعة، رابح:حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، الدارة، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص٥٣.

(١١) الزركلي، خير الدين:الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ط٢، د ت، ص ١٠٤.

٤. منع في حج عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م حمل السلاح في مكة لكائن من كان من أهل نجد وغيرهم، وجعل مراكز في الطرق خارج البلاد يستلمون السلاح من كل قادم، براً وبحراً، ويعطونهم وصلاً بما قبض منهم، فيردونه عليهم حين خروجهم من مكة، ونفذ ذلك حقاً، وعمم منع السلاح. كما منع جلالته التجول بالسلاح في البلاد المقدسة لكائن من كان من أهل نجد وغيرهم، وعلى الأخص أيام الحج، صيانة لراحة حجاج المسلمين من سائر بلاد الله.

٥. اهتم في السنة نفسها التي أعلن فيها توحيد المملكة العربية السعودية ١٣٥١هـ/١٩٣٢م بربط أجزاء المملكة كلها بشبكة من الخطوط غير السلكية، وكان آخرها مركز غير السلكي الكبير الذي رُكب في الرياض في أواسط شهر شوال من هذه السنة. وبهذا يصبح في المملكة ثمانية وعشرين مركزاً غير سلكي تجرى عليها المخابرات للأنحاء كافة. ومن هذه المراكز تسعة عشر مركزاً برقياً وهاتفياً في آن واحد، أربعة منها نقالة موضوعة على سيارات لاستعمالها في التنقلات، وهذا المشروع يعد الأول من نوعه في جزيرة العرب.

٦. أسست إدارة البرق والبريد مركزاً عاماً للهاتف في الرياض حيث ربطت الدوائر الرسمية وغيرها بشبكة من الهواتف غير السلكية، وفي يوم الخميس ٢٣ المحرم ١٣٥٢هـ جرت أول مكالمة هاتفية غير سلكية بين مكة والرياض[١٢].

٧. اهتم بالطرق وتسهيلها أمام الحجاج مع رصف شارع المسعى.

٨. عمل على توفير السيارات لنقل الحجاج تيسيراً عليهم. ومن ثم فقد سمح لبعض أهالي البلاد وبعض الشركات بجلب السيارات من الخارج لاستعمالها في نقل الحجاج، فتأسست شركة للسيارات سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، وقامت بإحضار خمسة وعشرين سيارة كبيرة تقوم بنقل الحجاج بين جدة ومكة بصورة منتظمة على الرغم من أن الطريق لم يكن قد عبد بعد بالإسفلت لسير السيارات[١٣]. وأخذت

(١٢) العتيبي: مرجع سابق، ص٢٢٤.

(١٣) نظراً لنفور الإبل التي تحمل شقادف الحجاج من صوت السيارات وحركتها فقد منعت حكومة الملك عبد العزيز سيرها في شوارع مكة في حج سنة ١٣٤٤هـ(٩٦)؛ مما يدل على اهتمام جلالته وحرصه على راحة الحجاج وأمنهم.

السيارات في الانتشار، فلم تأت سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م، وهي السنة التي توفي فيها الملك عبد العزيز إلا واختفى تماماً استخدام الجمال لنقل الحجاج[١٤].

٩. أما الخدمات الصحية فنتيجة لما كان ينتشر بين الحجاج والأهالي من أمراض وأوبئة بسبب عدم وجود مؤسسات صحية في الحجاز قبل الملك عبد العزيز، فقد كانت عناية جلالته عظيمة بالشؤون الصحية، فأصبحت الصحة بعد الأمن أول شيء صرفت إليه الحكومة جل اهتمامها وكان أول عمل قامت به الحكومة في هذا الموضوع هو تنفيذ بعض التدابير الصحية اللازمة لوقاية الحجاج من الأمراض الوبائية التي تنتشر بين الناس لأسباب مختلفة[١٥]:

١ - تشكيل ثلاثة مناطق في البلدة، يؤسس في كل منها أماكن يتم فيها تداوي الوقائع المستعجلة في أيام الحج وغيرها وقيد الوفيات والولادات، وفتح عيادات طبية لمعالجة الفقراء مجاناً، ويتم أيضاً عن طريقها مراقبة الأمور الصحية وسيرها.

٢- تأسيس إدارة صحية وتشكيلها من مدير وسبعة أطباء على الأقل.

٣ - تبديل المؤسسات الحاضرة بمؤسسات صالحة أو إفراغها في قالب يمكن فيه اتخاذ التدابير الصحية بسرعة، وعلاج المحتاجين من الفقراء والمساكين.

٤- تأسيس نقاط إسعاف في منى ومزدلفة وعرفات، وكانت نقطة مزدلفة تتكون من ست خيام وثلاثة أزيار ماء وما يلزم من أدوية وخدمة كافية.

٥- تأسيس ثلاثة مراكز إسعاف في عرفات، ويتألف كل مركز من عشر خيام وطبيب مع الممرضين والخدمة اللازمة وستة أسرة، ويرفع علم على كل المراكز الصحية نهاراً ونور ساطع ليلاً.

٦- حفر ٣٠ حفرة كبيرة في منى لأجل الأضاحي؛ إذ يردم ما يمتلئ منها يومياً[١٦].

ما بعد عهد المؤسس

(١٤) البابطين: مرجع سابق، ص١٩.
(١٥) أم القرى، العدد ١١، السنة الأولى، ٢٦ رجب ١٣٤٣، ص٤.
(١٦) أم القرى، العدد ٢٩، السنة الأولى، ٢٥ /١٢/ ١٣٤٣، ص٣.

لم تتوقف جهود الملك سعود في إعمار المسجد النبوي والتوسعة الكبرى والتي افتتحت عام ١٣٧٥هـ ويشهد للملك سعود الكثير من الأعمال التي بذلها خدمة للحجيج وسخر موارد الدولة في تنفيذها علاوة على التوسعة منها:

١- إنشاء محطة خاصة لتوليد الكهرباء للمسجد النبوي.

٢- تحسين موارد الأوقاف وذلك بتغطيتها برصيد يساعدها على القيام بالخدمات الخاصة بالحرم.

٣- إنشاء ٤٠ دكاناً على الشارع الممتد من باب الرحمة إلى باب الخليفة عمر ﷺ مع اشتمالها على شقق سكنية يوقف دخلها على خدمة المسجد.

وفي عهد كل من الملك فيصل والملك خالد والملك فهد، فقد استمرت التوسعة للحرمين الشريفين والعناية بحجاج بيت الله تحت إشراف ومتابعة منهم جميعاً فتمت بذلك التوسعة الثانية والثالثة والرابعة ولم يكتفوا رحمهم الله بهذه التوسعة لأعظم مسجدين على الأرض بل تعدى ذلك من أجل خدمة الحجيج إلى إنشاء مصنع جديد لكسوة الكعبة عام ١٣٩٥هـ.

كذلك أمر بإزالة المباني الصغيرة حول الحرم ووضعت ساحات للمصلين اتسعت لآلاف مصلين مع فرشها بالرخام والمظلات ودورات المياه وغيرها من المرافق الخدمية.

إذن فقد سخرت ميزانية ضخمة من موارد الدولة من أجل خدمة حجاج بيت الله وتهيئة جميع الأماكن المقدسة في استقبالهم[١٧].

وسارعت المملكة العربية السعودية في عهدها الزاهر على الاهتمام بالحرمين الشريفين والكعبة المشرفة والمسعى بين الصفا والمروة والمشاعر المقدسة الأخرى في منى وعرفة ومزدلفة وموقع الجمرات الثلاث وقامت بتطويرها وتوسيع ساحاتها وما حولها من طرق ومباني سكنية وأمكنة إقامة الحجاج ومدها بوسائل الخدمات برفاهيتهم

(١٧) العقبي: مرجع سابق، ص ٢٥/٢٦.

وراحتهم.. إن مشاريع المملكة فيها صروح عظيمة كلفت المليارات من الدولارات.. وفي كل عام تضيف الحكومة السعودية إلى هذه الصروح صروحاً أخرى هائلة نتيجة دراسات وأبحاث مجدية لراحة الحجاج لتمكنهم من توفير تسهيلات عظيمة.

وفي العهد السعودي الزاهر أنشئت هذه الصروح العظيمة في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة لخدمة ضيوف الرحمان من مختلف الجنسيات الإسلامية ولا يمكن حصرها في عجالة كهذه.

المصدر الثاني من مصادر تمويل الخدمات في الحج والعمرة

ثانياً: القطاع الخاص (الشركات والمؤسسات)

وكان للقطاع الخاص دورة في خدمة حجاج بيت الله والمعتمرين فصدرت من الدولة لائحة منظمة لهذه الشركات من أجل تنظيم العمل والوصول بخدمة الحجيج إلى أعلى المستويات.

المادة الأولى: تُقدَّم خدمات المُعتمرين وزوار المسجد النبوي الشريف القادمين من خارج المملكة - ويُشار إليهم فيما بعد بالمُعتمرين - من قِبَل مؤسسات أو شركات سعودية، بما فيهم الطوائف التي تقوم بخدمة الحُجاج أو أحد أعضاء هذه الطوائف، بعد الحصول على سجِل تجاري وِفق ما تقضي به الأنظِمة والتعليمات دون استثناء، وبعد الحصول على الترخيص اللازِم من وزارة الحج[١٨].

المادة الثانية: تتولى وزارة الحج مسؤولية الإشراف على المؤسسات والشركات المُرخص لها، ومُراقبة حُسن أدائها، والتأكُد من دقة تنفيذ التزاماتِها والعمل على رفع كفاءة العاملين بِها، وتصدُر التراخيص اللازِمة لها وِفقًا لما يأتي:

١- أن يكون رأس مالِها مملوكاً بالكامل لسعوديين، وألا يقل عن خمسمائة ألف ريال.

٢- أن تُقدم ضماناً بنكيّاً بمبلغ مائتي ألف ريال لصالِح وزارة الحج من أحد البنوك

(١٨) المركز الوطني للوثائق والمحفوظات لائحة تنظيم خدمات المعتمرين وزوار المسجد النبوي الشريف القادمين من خارج المملكة، قرار مجلس الوزراء رقم ٩٣ بتاريخ ١٠ / ٦ / ١٤٢٠.

المحلية المُعتمدة، ساري المفعول طيلة مُدة الترخيص، وغير قابِل للإلغاء إلا بموافقة الوزارة في حالة إنهاء صاحب الترخيص العمل في هذه الخدمة. وإعادة الترخيص وِفق طلب يُقدم منه بذلك بعد التثبُّت من وفائه بالتزاماته كافة.

٣- أن تكون مُدة الترخيص خمس سنوات قابِلة للتجديد.

المادة الثالثة: تلتزم المؤسسة أو الشركة المُرخص لها بما يأتي:

١- أن تقوم بخِدمة المُعتمرين بأمانة وإخلاص، وأن تؤدي خدماتِها وِفقاً لأحكام هذا التنظيم.

٢- أن يكون مُديرها العام ورؤساء فروعِها والمُشرفون على مجال الخدمات بِها على الأقل سعوديين حسني السيرة والسلوك.

٣- أن يكون لها مكتب في كل من مكة المُكرمة والمدينة المنورة وجدة.

المادة الرابعة: تقوم مُمثليات المملكة في الخارج بالتأشير للمُعتمرين وِفقاً للآتي:

١- أن يكون قدوم المُعتمرين عن طريق الجهات المُرخص لها رسميًّا لمُزاولة تنظيم رحلات السفر في الدولة التي يقدمون منها.

٢- توفر الاشتِراطات الصحية الصادِرة من وزارة الصحة.

٣- التأكُد من حصول المُعتمر على تذكرة الذهاب والعودة، وعلى شيك مصرفي صادِر من أحد البنوك المُعتمدة من مؤسسة النقد العربيّ السعوديّ لِكُل مُعتمر بكامل استحقاقات المؤسسة أو الشركة التي تقوم بخدمته في المملكة، بما فيها أُجرة سكنه وتنقُلاته، وغير ذلك من الخدمات التي يختارُها المُعتمر حسب المُستوى الذي يتفق عليه ووِفقاً للقائمة المنصوص عليها في البند (٣) من المادة الخامسة.

٤- ترتبط المؤسسات والشركات المُرخص لها بخدمة المُعتمرين في المملكة مع الجهات المُرخص لها في الخارج بعقد مُصدق من وزارة الحج، وتُحدِّد اللائحة التنفيذية التفصيلات اللازِمة لهذا العقد، ويتم التصديق عليه من وزارة

الخارجية وِفقاً للقواعد المُتبعة لديها.

٥- يُحدَّد في التأشيرة اسم المؤسسة أو الشركة المُرخص لها بخدمة المُعتمر في المملكة.

المادة الخامسة:

١- تلتزم المؤسسات والشركات المُرخص لها في المملكة بخدمة المُعتمرين القادمين عن طريقها بما يلي:

أ- استقبال المُعتمرين وتأمين سكنِهم في الفنادق والشقق المفروشة المُصنفة والمرخص لها من وزارة التِجارة، وتأمين تنقُلاتِهم، وغير ذلك من الخدمات التي يختارُها المُعتمر حسب المستوى المُتفق عليه، وكذلك الإشراف على توفير سُبل الراحة لهم أثناء وجودِهم وتنقلاتِهم في جميع مناطِق المملكة ومُتابعة سفرِهم، وتأكيد حجوزاتِهم خِلال المُدة المُحدَّدة لهم في التأشيرة، وإشعار وزارة الحج بما يُفيد ذلك.

ب- الاحتِفاظ بمعلومات تشمل أسماء وجنسيات وتذاكر وأرقام جوازات القادمين، ووسائط النقل التي قدموا عليها، وتاريخ القدوم، واسم الناقِل ووكيله، وكذلك المسؤول عن كل حملة من حملات القادمين عن طريق البر إليها، وغير ذلك من المعلومات التي تُحدِّدُها اللائحة التنفيذية.

٢- تنفيذ الإجراءات والضمانات التي تكفل مُغادرة المُعتمر والزائر للمملكة وِفق ما تُحدِّدُه اللائحة التنفيذية.

٣- تُعِد وزارة الحج مع وزارة التِجارة بعد موافقة وزير الداخلية ورئيس لجنة الحج العُليا قائمة مُفصلة بمُستويات الخدمة وأنواعِها ودرجاتِها ومواصفاتِها وأسعار كُل منها، تُراجع كُل ثلاث سنوات أو كُلما دعت الحاجة إلى ذلك.

المادة السادسة: توضِح اللائحة التنفيذية الترتيبات المُناسِبة التي تُيسر على القادمين عن طريق (الترانزيت) القيام بأداء العُمرة.

المادة السابعة:

١- مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد يُعاقب عليها النِظام، تُعاقب المؤسسة أو الشركة المُرخص لها التي تُخِل بأي حُكم من أحكام هذا التنظيم ولائحته التنفيذية بعقوبة أو أكثر من العقوبات الآتية:

أ- غرامة مالية لا تزيد عن خمسين ألف ريال.

ب- إيقاف العمل بالترخيص لِمُدة لا تزيد عن ستة أشهُر من مُدة تأشيرات العُمرة.

ج- إلغاء الترخيص الممنوح للمؤسسة أو الشركة.

٢- مع عدم الإخلال بحق المُطالبة بالحق المدني، تُحرم الجهة المُرخص لها في الخارج من التعامُل مع المؤسسات والشركات المُرخص لها في المملكة إذا أخلت بالتِزاماتِها التعاقُدية.

٣- يُعاقب من يقوم بخدمة المُعتمرين دون الحصول على الترخيص اللازِم بغرامة مالية لا تزيد عن مائة ألف ريال[١٩].

المادة الثامنة: تُشكل لجنة دائمة في وزارة الحج من وزارة الداخلية ووزارة التِجارة ووزارة الحج يكون أحد أعضائها مؤهلاً شرعيّاً، تختص باستقبال الشكاوى المُقدمة من المُعتمرين أو من الجِهات الرسمية، والتحقيق فيها والتوصية بتوقيع العقوبة المنصوص عليها في المادة السابعة من هذا التنظيم، واستحصال قيمة الخدمات التي لم يؤدها المُرخص له وردِها إلى المُعتمرين وِفقاً لما تُحدِّدُه اللائحة التنفيذية.

المادة التاسعة: يتم تطبيق العقوبات المنصوص عليها في المادة السابعة من هذا التنظيم بقرار من وزير الحج.

المادة العاشرة: يحق لمن صدر بشأنه قرار العقوبة التظلُم مِنه أمام ديوان المظالِم خِلال ستين يوماً من تاريخ إبلاغه بذلك.

---

(١٩) المركز الوطني للوثائق والمحفوظات لائحة تنظيم خدمات المعتمرين وزوار المسجد النبوي الشريف القادمين من خارج المملكة، قرار مجلس الوزراء رقم ٩٣ بتاريخ ١٠ / ٦ / ١٤٢٠.

المادة الحادية عشرة: تقوم وزارة الحج بتحصيل الغرامات المنصوص عليها في هذا التنظيم وتوريدها لخزينة الدولة.

المادة الثانية عشرة: تُستثنى الشخصيات السياسية من الشروط الواردِة في المادة الرابعة. ويجوز لرؤساء البعثات الدُبلوماسية السعودية في الخارج استثناء الشخصيات الإسلامية والشخصيات التي لها وضع اجتماعي خاص من كل الشروط الواردِة في المادة الرابعة أو بعضِها. وفيما عدا ذلك يكون الاستثناء وفقاً لما تُحدِّدُه اللائحة التنفيذية[٢٠].

المادة الثالثة عشرة: يُصدِر وزير الحج بالاتِفاق مع وزير الداخلية اللائحة التنفيذية لهذا التنظيم بما في ذلك القواعد المُنظِمة لتنقل المعتمرين داخل المملكة وذلك خلال مُدة لا تتجاوز ستة أشهُر.

المادة الرابعة عشرة: يُنشر هذا التنظيم في الجريدة الرسمية، ويُعمل به بعد تسعين يومًا من تاريخ صدور لائحته التنفيذية، ويلغي كل ما يتعارض معه من أحكام.

يتضح من خلال هذه الوثيقة ومن خلال بنود اللائحة أنها استوفت الكثير من الشروط اللازمة لخدمة الحجيج وتيسير أمورهم.

ولم يكتفي بذلك بل فرضت عقوبات صارمة على كل من يخالف تلك اللائحة أو يتسبب في الإخلال بأمن الحجيج والمعتمرين حيث وجدت لجان للنظر في مخالفات خدمة حجاج الداخل والخارج على السواء وفقاً لما جاء بنظام خدمة حجاج الداخل الصادر بالمرسوم الملكي الكريم رقم (م-٥٨) وتاريخ ٢٨-١٠-١٤٢٦هـ المكلفة بالنظر في المخالفات والتجاوزات التي يتم رصدها في موسم الحج[٢١].

---

(٢٠) المركز الوطني للوثائق والمحفوظات لائحة تنظيم خدمات المعتمرين وزوار المسجد النبوي الشريف القادمين من خارج المملكة، قرار مجلس الوزراء رقم ٩٣ بتاريخ ١٠ / ٦ / ١٤٢٠.

(٢١) مقال مستل من صحيفة البلاد الأحد ١٩ يونيو ٢٠١١م.

المصدر الثالث من مصادر تمويل الخدمات في الحج والعمرة

ثالثاً: الأوقاف[٢٢]

الوقف مشروع مستحب، وقد دلت على ذلك آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم ﷺ، ومن الأدلة عليه:

قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، ولما سمعها أبو طلحة ﷺ بادر إلى وقف أحب أمواله إليه وهو بستان كبير كثير النخل اسمه (بيرحاء) وقول المصطفى ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» والصدقة الجارية محمولة على الوقف عند العلماء، فإن غيره من الصدقات ليست جارية، بل يملك المتصدق عليه أعيانها ومنافعها.

وكانت أوائل الوقفيات في عهد الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، ونذكر منها التالي:

- وقف النبي ﷺ لمسجد قباء عند قدومه مهاجراً إلى المدينة.
- وقف النبي ﷺ بساتين بالمدينة كانت لرجل يهودي

وفي العهد السعودي رعى الملك عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - الأوقاف، وعني عناية فائقة بتنظيمها، وأوكل شؤونها إلى قضاة ثقات في مختلف أرجاء البلاد السعودية، واهتم اهتمامًا بالغًا بأعمال الخير، وأعتني ببناء المساجد وبالحرمين الشريفين وشؤونهما بصفة خاصة.

ويتولى مدير الأوقاف في كل بلدة الإشراف المباشر على تلك الأوقاف في تلك القرية

(٢٢) الوقف لغة: الحبس. الوقف اصطلاحاً: تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة، ويمكن وقف كل عين مباحة مما يصح فيها التصرف بالبيع والشراء والهبة، والوقف يشمل الأصول الثابتة كالعقارات، والمزارع وغيرها، والأصول المنقولة كالنقود والأسهم وغيرها. وينقسم الوقف إلى قسمين: الوقف الأهلي: وهو الوقف الذي يختص بالأهل والذرية. والوقف الخيري: وهو الوقف الذي يعم نفعه عموم المسلمين من الأقرباء وغيرهم.

ورعايتها والدخول في الدعاوي المتعلقة بها وتأجيرها وصيانتها واستلام غلالها والإنفاق منها أو صرفها في أوجه الخير حسبما نص عليه شرط الواقف وذلك في حدود الصلاحيات التي يحددها مجلس الأوقاف الأعلى. ويكون لدوائر الأوقاف الإشراف والمراقبة العامة على الأوقاف الخيرية. ويراعى أن يتم الوقف وفق القواعد المقررة بيع واستبدال الأوقاف ضعيفة الغلة أو التي لا غلة لها فيرفع من خلال اللجنة تقريرا عن حالة الوقف وعلى أساس ذلك يتخذ الإجراء المناسب لذلك الوقف[٢٣] وقد تتابع الاهتمام بالأوقاف ورعايتها وتنظيمها في المملكة حتى أنشئت وزارة الحج والأوقاف عام ١٣٨١هـ.

صدر هذا النظام بموجب المرسوم الملكي ذي الرقم م/٣٥ المؤرخ في ٧/١٨ / ١٣٨٦هـ[٢٤].

ثم خصصت للحج عام ١٤١٤هـ، وزارة مستقلة وأنشئت بجانبها وزارة خاصة للشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. وكانت قطاعات الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد والأوقاف من ركائز الدولة وأسس أركانها، وأحد الوجوه المشرقة لتمسكها وأصالتها، فأنشأت لها أجهزة ضخمة، وتعاهدنها بالرعاية والدعم والتطوير.

وكان تاج هذا الدعم والتطوير صدور الأمر السامي الكريم ذي الرقم أ/٣ في ١٤١٤/١/٢٠هـ بإنشاء وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لتتولى كل ما له علاقة بالشؤون الإسلامية وشؤون الأوقاف والمساجد والإرشاد والدعوة إلى الله، ولكي تقوم بخدمة بيوت الله، ورعاية الأوقاف وتطويرها، ونشر الدعوة، والاهتمام بالقضايا الإسلامية،

(٢٣) المملكة العربية السعودية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الأمانة العامة لمجلس الأوقاف، لائحة تنظيم الأوقاف الخيرية،

(٢٤) وتم إضافة بعض المواد وتعديل مواد أخرى بموجب بما يأتي: المرسوم الملكي ذو الرقم م /٢ المؤرخ في ١٢/ ٢/ ١٣٩٤هـ. والمرسوم الملكي ذو الرقم م/ ٧١ المؤرخ في ١٣٩٥/٨/١١هـ. وقرار مجلس الوزراء ذو الرقم٣٠٤ المؤرخ في ١٣٩٨/٢/٢٩هـ. وقرار مجلس الخدمة المدنية ذو الرقم ١١٨ المؤرخ في ١٣٩٩/٤/٢٠هـ. والمرسوم الملكي ذو الرقم م/٥٦ المؤرخ في ١٤٠٢/١٢/١٨هـ. وقرار مجلس الوزراء ذو الرقم ٢١ المؤرخ في ١٤١٩/١/١٥هـ.

والتواصل مع الجمعيات والمراكز الإسلامية، والتعاون معها فيما يعين المسلمين على القيام بعبادة الله وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهدي الخلفاء الراشدين من بعده، والإشراف على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وترجمة معانيه، وطباعة الكتب الإسلامية وترجمتها وتوزيعها، ورعاية الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وإقامة المسابقات القرآنية لحفظ كتاب الله. ومن ضمن أهداف الوزارة العناية بالأوقاف بضبط أعيانها وحصرها، والعمل على تحقيق شروط واقفيها:

١- حصر أعيان الأوقاف، وضبطها، واستخراج حجج الاستحكام الشرعية لها، والبحث عن المجهول منها.

٢- إعداد الرفع المساحي والرسومات التوضيحية والطبوغرافية لها، وإدخال جميع المعلومات الخاصة بها في الحاسب الآلي.

٣- العناية بأعيان الأوقاف والأربطة وصيانتها والمحافظة عليها ونظافتها.

٤- رعاية المدارس الدينية الخيرية القائمة على الأوقاف، وتطوير المكتبات الموقوفة وتزويدها بأوعية المعلومات

٥- تنمية موارد الأوقاف، وتطويرها واستثمارها بالطرق المتاحة، وفق الضوابط الشرعية، وبما يحقق شروط الواقفين.

٦- تلمس أفضل الفرص لاستثمار غلال الأوقاف؛ سعيًا إلى تحقيق شروط الواقفين.

٧- المحافظة على الأربطة والعناية بصيانتها ونظافتها، والعمل على زيادتها بما يمكنها من تأدية واجبها الاجتماعي، وإجراء دراسات المتابعة الاجتماعية للساكنين فيها.

ومن أهم ألأوقاف بالمملكة أوقاف الحرمين الشريفين وتوسعتها والإنفاق السخي عليهما منذ عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله إلى عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز يحفظه الله، ووقف عين العزيزية التي أنشأها الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله -، حيث اشترى عيونًا في وادي فاطمة وأوصلها إلى جدة وأوقف عليها وجعل لها إدارة تختص بإنشاء

سكن للحجاج في المطار والميناء،

وأخيراً؛ فإن العمل الخيري سمة من سمات المجتمعات الإسلامية حيث اهتم الإسلام بالأعمال الخيرية كما ورد في كثير من الآيات وحث على المساهمة في تخفيف المعاناة التي يتعرض لها أفراد المجتمع. كما اهتمت الشريعة الإسلامية بتنمية الجوانب الخيرية والإنسانية في بنائها للفرد والمجتمع وجعلت من إتيان الصالحات وفعل الخير ركناً أساسياً في العقيدة ووسيلة إلى النجاح وجزيل المثوبة.

وتوجد العديد من الأدلة في القرآن الكريم تدل على مشروعية الخدمة الاجتماعية وبيان فضل وعظم أجر التطوع، فقد حث سبحانه وتعالى عباده بالإحسان إلى الغير والمساعدة في قضاء حوائجهم فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾[٢٥]. وقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢٦]، وقوله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾[٢٧]. كما وردت في السنة أدلة كثيرة تدل على مشروعية الأعمال التطوعية فهي لا تعد ولا تحصى.

ومن فضل الله على المملكة العربية السعودية أنّ جعلها القائمة على الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة، فأدركت المملكة عظم مسؤولية هذه الشعيرة وأولتها اهتمامها ورعايتها منذ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز.

وامتدت رعاية المملكة للحج والحجاج من قبل الملوك من أبناء الملك عبدالعزيز فكانوا خير من حمل الأمانة ورعى المسيرة؛ إدراكا منهم أن مناسبة الحج مناسبة إسلامية

(٢٥) (سورة النساء: ٣٦)
(٢٦) (سورة المائدة: ٣)
(٢٧) (سورة الزمر: ١٠)

كبرى يجتمع فيها المسلمون كل عام على هذه الأرض اجتماعاً سنوياً مفروضاً على من استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ورغم ذلك فيجب إشراك كافة الأجهزة ذات الصلة بالعمل التطوعي في وضع الخطة الاستراتيجية ويستوي في ذلك الأجهزة الرسمية والأهلية باعتبار أن خطة العمل التطوعي هي جزء من الخطة الشاملة للعمل الاجتماعي، من اجل الوصول إلى أعلى مستوى من الخدمة الكاملة للحجيج والمعتمرين[٢٨].

(٢٨) تفعيل **دور المنظمات التطوعية في المملكة**، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر السعودي الثاني للتطوع، الرياض محرم ١٤٢١هـ، إبريل ٢٠٠١م، إعداد: مركز البحوث والدراسات، ص١٩.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أحمد، عمر هاشم: الحج فريضة إسلامية، مجلة **الجاهد**، العدد ٢٤٧، ذو القعدة ١٤٢١ – فبراير ٢٠٠١، إدارة الشؤون المعنوية للقوات المسلحة.

٣- أم القرى، العدد ١١، السنة الأولى، ٢٦ رجب ١٣٤٣.

٤- أم القرى، العدد ٢٩، السنة الأولى، ٢٥ /١٢/ ١٣٤٣.

٥- البابطين، هيا: **التنظيمات الإدارية لشؤون الحج في عهد الملك عبدالعزيز**، الرياض، ١٤٢٣هـ.

٦- **تفعيل دور المنظمات التطوعية في المملكة**، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر السعودي الثاني للتطوع، الرياض، محرم ١٤٢١هـ، إبريل ٢٠٠١م، إعداد: مركز البحوث والدراسات.

٧- جمعة، رابح: **حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، الدارة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٨- **دور القطاع الخاص في تنمية وتطوير العمل التطوعي**.. إدارة خدمة المجتمع بالغرفة التجارية الصناعية بالرياض نموذجاً مقدمة إلى المؤتمر الرابع لجمعية متطوعي دولة الإمارات العربية المتحدة، المنعقد بإمارة الشارقة في الفترة ٢٣ – ٢٤ مارس ٢٠٠٣م، إعداد مركز البحوث والدراسات.

٩- الزركلي، خير الدين: **الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز**، ط٢، د ت.

١٠- الشبكة العنكبوتية.

١١-العتيبي، إبراهيم: **تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز**، ط١، الرياض، ١٤١٤هـ.

١٢- العقبي، أحمد: **رعاية الحرمين الشريفين في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز**، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٢- قاضي، سهيل: **تطور رعاية الحجاج وخدمتهم في عهد الملك عبدالعزيز**، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٣- **المركز الوطني للوثائق والمحفوظات** (لائحة تنظيم خدمات المعتمرين وزوار المسجد النبوي الشريف القادمين من خارج المملكة)، قرار مجلس الوزراء، رقم ٩٣، بتاريخ ١٠ / ٦ /١٤٢٠.

١٤- معلوي، عبدالله الشهري:**العمل التطوعي وعلاقته بأمن المجتمع**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

١٥- **مقال مستل من صحيفة البلاد** الأحد ١٩ يونيو ٢٠١١م، المملكة العربية السعودية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الأمانة العامة لمجلس الأوقاف، لائحة تنظيم الأوقاف الخيرية.

١٦- النعيم، عبدالله العلي: **العمل الاجتماعي مع التركيز على العمل التطوعي**، الرياض.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

١٧- التقنيات الحاسوبية ودورها في تطوير الدراسات القرآنية

• د. قتيبة فوزي جسام الراوي

مقدمة

الحمد لله القائل:﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨)، والصلاة والسلام على من كان خُلُقه ومُعجزتهُ ومَنْهَجُه القرآن، سيدنا محمد المبعوث بأفضل كتاب، وعلى آله وأصحابه الذين ألهمهم الله تعالى تفسيره وفصل الخطاب، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم المآب.

وبعد. فإن لتقنيات الحاسوب الأثر الكبير في تطوير الأبحاث العلمية والدراسات التخصصية، وتأتي أهمية هذا البحث من أهمية التقنيات الحديثة وأثرها في الأفراد والمجتمعات المختلفة، ولذلك فإن التعليم والأجهزة التعليمية تفقد دورها المأمول إن لم تتعامل معها، وإننا بوصفنا أكاديميين بحاجة إلى هذا التنسيق الفعال بين تقنيات الحاسوب والدراسات القرآنية، بل لابد من وضع الأهداف العامة للسياسة التعليمية في هذا الإطار؛ لكي تُنَفَّذ هذه السياسة ضمن برامج محددة ومتضافرة.

وإن مسؤولية العلماء والأكاديميين ولاسيما المتخصصين في الدراسات القرآنية لمسؤولية كبيرة جداً، أمام مواكبة هذا التطور الذي لم يعد خافياً على أحد، وذلك أن أوضح

• أُستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم.
البريد الإلكتروني: kutiba78@yahoo.com

تغيير في مجتمع اليوم الذي أحدث تأثيراً هائلاً في المجتمع المسلم وغير المسلم، هو الحادث بسبب التقنيات الحديثة بفضل الكلمة المطبوعة في مختلف المواد المنشورة، والكلمة المسموعة والمقروءة عبر التقنيات الحديثة، وفي العالم الآن مئات المواقع الإسلامية على الشبكة العالمية، وكلها تتلقى أسئلة عن الإسلام، وقد اهتدى بفضل الله تعالى عن هذا الطريق، وما تزال تهتدي أعداد كبيرة من الناس في شتى بقاع العالم.

فلا بد للعلماء والباحثين في دراسات القرآن الكريم في عصرنا، أن يجعلوا تقنيات الحاسوب وسيلتهم المثالية في تطوير دراساتهم وأبحاثهم في القرآن الكريم وفي دعوتهم إلى دين الله تعالى، فبينت بمشيئة الله تعالى في هذا البحث بعض المحاور المهمة التي تخص عنوان بحثي وهي:

المحور الأَول: الثقافة القرآنية بين المواقع الإسلامية والقنوات الفضائية.

والمحور الثاني: أحدث تقنيات الإنترنت ودورها في نشر الثقافة القرآنية.

والمحور الثالث: أحدث تقنيات الحاسوب والإنترنت واستخداماتها في تطوير الدراسات القرآنية.

والمحور الرابع: الآداب القرآنية وأحكامها في التعامل مع وسائل الاتصال الحديثة.

المحور الأول

الثقافة القرآنية بين المواقع الإسلامية والقنوات الفضائية

اتصالاً بمفهوم الثقافة وملازمة له يُقدم مفهوم الثقافة المعاصرة، ويكسوها أصحابها بأزياء زاهية ويحملونها الكثير من المعاني، ومن أبرز معالمها العلم والتقنية، وكأن العلم والتقنية مسألة طارئة على المجتمعات البشرية، ولم تكن حالة عاشتها المجتمعات الإنسانية عبر المراحل التاريخية بأساليب وكيفيات انسجمت وتناغمت مع طبيعة المراحل، وطبيعة الحاجات، وطبيعة معارك التنمية، ويكفي أن نقول إن التراكمات التي أحدثتها حركة العلم والتقنية هي التي أفضت إلى الانفجارات الهائلة التي نشهدها اليوم في هذين المجالين وتحت عناوين كثيرة من أهمها (الثورة المعلوماتية، والثورة العلمية والمعرفية، وثورة الاتصالات والتكنولوجيا)، وهذه الانفجارات لا تمثل حدثاً ثقافياً معاصراً أتى على ثقافة الأجيال السابقة وعلى الرصيد الثقافي للأمم والشعوب، بقدر ما مثل إضافة نوعية في جانبه الإيجابي، وتغذية دسمة في جزئه الحي والإنساني للرصيد الثقافي الإنساني، بوصف العلم والتقنية من عناصر الثقافة وليسا بديلاً وثقافة جديدة مكملة.[1]

وتناغماً مع رؤيتي في التعامل مع التحديات، فإنني أرى في التقنيات الحديثة تحدياً من التحديات الثقافية الهائلة إذا لم يُحسن التعامل معها وتوظيفها لصالح المجتمع المسلم وخدمته، وتسخير النافع منها لخدمة القرآن الكريم، على نحو يمكنه من التعامل مع الحياة المعاصرة بعقلية واعية لمسؤولياتها تجاه أمتها، وضمن هذه الظروف والتحولات ذات الصبغة العالمية ما يطلق عليه اسم الثورة المعلوماتية التي من شأنها إعادة تشكيل وسائل الاتصال وطبيعة الاتصال الإنساني معها، فهي لم تعد ثورة في شكل المعلومة، بل في مضمونها، وبما يترتب عليها من تأثير واضح وعميق على (الدين، واللغة، والتعليم، والثقافة).[2]

---

(١) ينظر الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي، د. عبد الله أحمد الذيفاني، بيت الحكمة، بغداد، ط١ (٢٠٠١م): ١٧٥ – ١٧٦، والتلفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية، د. سعيد مبارك آل زعير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار الشروق، جدة، (١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م): ١٧٥ – ١٨٠.

(٢) ينظر الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي، د. عبد الله أحمد الذيفاني: ١٧٦ – ١٧٧.

ويتصل بهذا التحدي المعلوماتي، ما ظهر من انتشار واسع لقناة جديدة للمعلومات أصبحت ذات تأثير بالغ الأهمية والخطورة في نفس الوقت، كونها أصبحت من القنوات التي دخلت المنازل، ولازمت الإنسان في تفاصيل حياته، فكانت تكنولوجيا الإنترنت أسرع مما سبقها في نزع قناعها التقني، بالكشف عن مغزاها الثقافي بصفتها ساحة ثقافية في المقام الأول، بجانب كونها بنية تحتية لصناعة الثقافة، وكيف لا، وشبكة الإنترنت تتعامل مع جميع عناصر المنظومة الثقافية، التي باتت القضية المحورية الشاغلة للجميع، بعد ما اتضح ما لوسائل الاتصال الحديثة وعلى رأسها الإنترنت، من إمكانات تؤهلها لتصبح أمضى أسلحة الهيمنة الثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية، وعلى هذا النحو تمثل شبكة الإنترنت دون أدنى شك تحدياً قوياً وشديداً لكل أمم العالم وشعوبه، وعليها أن تجد السلاح المناسب لمواجهة مثل هذا التحدي الموجه إلى الوجود والهوية والتربية، كما أن ثقتنا بقدرتنا على المواجهة راسخة وقوية، لامتلاكنا أسباب المواجهة وزادها، وسنة الخلق القائمة على التنوع والتعدد، ولذا فلنثق بأن هويتنا الحضارية ستظل راسخة ما دامت تقوم على مثلث القوة: (اللغة والعقيدة والتاريخ) في محيط جغرافي واقتصادي ملتحم بالمثلث ومتلاحم معه.[٣]

وبما يسمح به المقام بخصوص المواقع الإسلامية على الشبكة الدولية (الإنترنت)، فإن المتأمل في واقع الإعلام الموجه لخدمة القرآن الكريم من خلال وسائل الاتصال الحديثة، يجد بعض القصور في خدمة كتاب الله تعالى، إذا ما قورن بالإعلام المخالف لتلك الرسالة الخالدة، لذا لا بد من تفعيل دور وسائل الاتصال والإعلام في خدمة كتاب الله الكريم بما يليق ومكانته العالية، وربط الأمة بكتاب الله تعالى تعلماً وتعليماً وعملاً، وتشجيع الشباب والناشئة من البنين والبنات على العناية بكتاب الله الكريم، وحفظه، وإجادة تلاوته، ومعرفة معانيه، والعمل به، والإعانة على إعداد جيل صالح متخلق بآداب القرآن ملتزم بأحكامه، ومن هذه المواقع المهتمة بخدمة القرآن الكريم ونشر الثقافة الإسلامية على سبيل الذكر لا الحصر:

(٣) ينظر الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي، د. عبد الله أحمد الذيفاني: ١٧٧ – ١٧٩.

(أولاً) دليل سلطان للمواقع الإسلامية والعربية /www.sultan.org. (ثانياً) نور الله /www.nourallah.com. (ثالثاً) دليل المواقع الإسلامية /www.trytop.com you/islam. (رابعاً) دليل العرب الشامل /www.star28.com. (خامساً) موسوعة المواقع الإسلامية /www.khayma.com. (سادساً) عيون المواقع / www.eyoon.com. (سابعاً) الشبكة الإسلامية /www.islamweb.net. (ثامناً) دليل المواقع العربية /www. raddadi.com. (تاسعاً) صيد الفوائد /www.saaid.net. (عاشراً) قلعة الإسلام دليل المواقع الإسلامية والعربية /www.islamcastle.com. (أحد عشر) دليل المواقع الإسلامية /www.55a.net.

ومن القنوات الفضائية الإسلامية الدعوية المباشرة عبر الإنترنت على سبيل الذكر لا الحصر:

- البث الحي من مكة المكرمة - قناة القرآن الكريم: http://www.chofoo.com/mekka.htm
- البث الحي من المدينة المنورة - قناة السنة النبوية: http://www.chofoo.com/sunna.htm
- قناة الرحمة الفضائية: http://www.chofoo.com/alrahmah.htm
- قناة الناس الفضائية: http://www.chofoo.com/alnas.htm
- قناة الحكمة: http://www.chofoo.com/alhekmah.htm
- قناة الرسالة: http://www.chofoo.com/ressalah.htm
- قناة اقرأ: http://www.chofoo.com/iqrae.htm
- قناة الهدى بالإنجليزية: http://www.chofoo.com/huda.htm
- قناة السلام بالإنجليزية: http://www.chofoo.com/peace.htm

المحور الثاني
أحدث تقنيات الإنترنت ودورها في نشر الثقافة القرآنية

بعد ظهور شبكة الإنترنت ازدادت خدمات تقنية المعلومات للقرآن الكريم وعلومه متمثلة بمئات المواقع على الشبكة العنكبوتية وبلغات متعددة، متمثلة بمواقع تفسير القرآن الكريم، ومعاني كلماته وترجمته، ومخطوطات القرآن الكريم ونسخه، وتعليم القرآن الكريم وحفظه، وتعليم التجويد وأحكام التلاوة، وتقديم كتب الأولين بسهولة ويسر، وتعدد أشكال العرض بالصوت والصورة، وأخيراً إمكانية البحث في كلمات القرآن الكريم وجذوره وآياته ومواضيعه من خلال تقنية المعلومات بإمكاناتها المذهلة، وبتطبيقاتها المتعددة في مختلف جوانب الحياة كان لها الأثر الكبير في خدمة العلوم الشرعية بأشكالها كافة بما فيها علوم القرآن الكريم، ولا يزال التطوير في تقنية المعلومات يتسارع ليغطي جميع أنحاء العالم وفي جميع المجالات، فنجد في هذه الخدمات السرعة الفائقة في الوصول إلى المعلومة، وإمكانية البحث اللفظي والموضوعي، وإمكانية النسخ واللصق، والحجم الهائل من المعلومات المخزّنة فيها، والقدرة على تحليل البيانات والربط فيما بينها، بالإضافة إلى سهولة عرض النتائج وبأشكال متعددة، وكذلك إمكانية ربط العلماء وطلبة العلم فيما بينهم للتدارس ولمناقشة أفكارهم وتبادل خبراتهم.(٤)

وبدأ تاريخ استخدام الحاسب في خدمة القرآن الكريم مع بداية تسعينات القرن الماضي وشيوع أنظمة ويندوز على الحاسوب الشخصي حيث بدأت برامج متنوعة للقرآن الكريم بالظهور، وكان التشكيل جزءًا لا يتجزأ من معظمها، وقد ساعد انتشار الخطوط العربية الجميلة الشكل على الحاسوب في إظهار نص القرآن الكريم بشكل جميل، وحيث إن هذه الفترة صاحبت دخول الحاسوب بشكل واسع إلى عمل المطابع فقد ظهرت برامج (مثل برنامج أبجد) تحوي إمكانية إظهار النص القرآني بالرسم العثماني وبخطوط جميلة

(٤) أنظمة المعلومات في خدمة القرآن الكريم، د. أكرم محمد زكي وأ. د. محمد زكي خضر، الملتقى الإقليمي الأول لكليات القرآن الكريم، تنظيم مركز الوحدة الإسلامية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والهيئة العالمية لتحفيظ القرآن، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور ١٢ – ٢٠١١/١٢/١٥ *http://www.al-mishkat.com/khedher/wp-admin/Papers/paper26.pdf: 1 – 2*

وإدخالها ضمن نصوص الكتب أو المطبوعات الأخرى، وفي منتصف التسعينات بدأت برامج تفسير القرآن بالظهور وكان من أولها تفسير ابن كثير ثم أعقبه عدد آخر من التفاسير الأخرى كالقرطبي وفي ظلال القرآن وغيره، وكانت خدمة بعض هذه التفاسير على الحواسيب متواضعة بشكل عام حيث احتوت على خصائص البحث عن الكلمة كما هي دون بحث صرفي أو جذر الكلمة.[٥]

وما إن بدأت ثورة الإنترنيت بالاتساع حتى كانت المواقع التي تعنى بالقرآن الكريم من أول المواقع العربية التي حظيت بالرعاية، فنجد عشرات البرامج التي تخدم القرآن الكريم ومئات المواقع على شبكة الإنترنت المهتمة بعلوم القرآن الكريم، وعلى الرغم من أن معظم هذه المواقع هي باللغة العربية لكن الشبكة لا تخلو من لغات أخرى فنجد من بين هذه اللغات اللغة الإنجليزية واللغة الألبانية واللغة البوسنية واللغة الهولندية واللغة الفنلندية واللغة الألمانية واللغة الإيطالية واللغة البولونية واللغة الروسية واللغة الأوردية واللغة البنغالية واللغة الصينية واللغة الفارسية واللغة الفرنسية واللغة الإندونيسية واللغة اليابانية واللغة الماليزية ولغة البشتو واللغة البرتغالية واللغة الإسبانية ولغة التاميل واللغة السواحيلية ولغة الثاي واللغة التركية.[٦]

ويمكن تصنيف مواقع القرآن الكريم على شبكة الإنترنت وأهم محتوياتها حسب المواضيع الآتية:

(١) مواقع نص القرآن الكريم (٢) تفاسير القرآن (٣) علوم القرآن (٤) التسجيلات الصوتية لتلاوة القرآن (٥) القراءات القرآنية (٦) إعراب القرآن (٧) مواضيع القرآن (٨) إحصائيات عن القرآن الكريم (٩) الإعجاز العلمي للقرآن الكريم (١٠) كتب حول القرآن الكريم (١١) جمعيات العناية بالقرآن الكريم (١٢) مجلات عن القرآن الكريم (١٣) إذاعات القرآن الكريم (١٤) متفرقات (١٥) برامج ومواقع تحفيظ القرآن الكريم[٧].

(٥) المرجع نفسه: ٢

(٦) المرجع نفسه: ٢

(٧) ينظر أنظمة المعلومات في خدمة القرآن الكريم، د. أكرم محمد زكي وأ. د. محمد زكي خضر، *http://www.al-mishkat.com/khedher/:3 - 5*

ومن أهم برامج الحاسب في مجال تحفيظ القرآن الكريم:

- (القرآن مع التجويد): *http://www.quranflash.com*
- (المنتخب في تفسير القرآن الكريم): *http://www.islamic-council.org*
- (موسوعة القرآن الكريم):
  http://www.islamspirit.com/islamspirit_program_001.php
- (موسوعة علوم القرآن):
  http://www.islamspirit.com/islamspirit_program_031.php
- (برنامج تعليم القرآن (القارئ) – قرص مدمج) بالإنجليزية، المؤسسة:
  Sound Vision: http://www.soundvision.com/shop/pview.asp?Item=312
- (معالم التجويد – قرص مدمج) بلغة الأردو: المؤسسة:
  Sound Vision: http://www.soundvision.com/shop/pview
  برنامج تعليم التجويد بلغة الأردو.
- (برنامج سجل الحفظ لجزء عم) بالإنجليزية:
  http://www.soundvision.com/shop/pview.asp?item
- (تبسيط التجويد): *www.soundvision.com*
- (برنامج حفص): *http://www.hafss.com/*

بالإضافة إلى البرامج أعلاه، فهناك العديد من مواقع الإنترنت التي تساهم في خدمة تحفيظ القرآن الكريم وتعليم التجويد وأسس التلاوة ومن أهمها:

- ✔ موقع حرف للأطفال – صفحة تحفيظ القرآن: *http://www.harfkids.com/quraan.aspx*
- ✔ موقع تحفيظ القرآن الكريم: *http://quran.muslim-web.com*
- ✔ موقع ترديد: *http://www.tardeed.com*
- ✔ موقع إذاعة طريق السماء: *http://www.samaway.com*
- ✔ موقع التحفيظ – موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف:
  www.qurancomplex.org/quran، صفحة تحفيظ القرآن الكريم.
- ✔ موقع تعليم القرآن الكريم بالتوجيه الصوتي: *http://qsound.qurancomplex.gov.sa*
- ✔ برنامج إدارة الحلقات (تحفيظ): *http://www.tahfeed.net/xsite* [٨].

(٨) المرجع نفسه: ٥ – ٩.

المحور الثالث
أحدث تقنيات الحاسوب والإنترنت واستخداماتها في تطوير الدراسات القرآنية

أولاً: تقنية النانو ودورها في كشف الإعجاز القرآني

(بالإنكليزية: Nanotechnology) أو تقنية الصغائر: وهي تقنية تهتم بدراسة معالجة المادة على المقياس الذري والجزيئي، وتهتم تقنية النانو بابتكار تقنيات ووسائل جديدة تقاس أبعادها بالنانومتر وهو جزء من الألف من الميكرو متر أي جزء من المليون من الميليمتر، عادة تتعامل تقنية النانو مع قياسات بين ١, ٠ إلى ١٠٠ نانومتر أي تتعامل مع تجمعات ذرية تتراوح بين خمس ذرات إلى ألف ذرة، وهي أبعاد أقل كثيراً من أبعاد البكتيريا والخلية الحية، حتى الآن لا تختص هذه التقنية بعلم الأحياء بل تهتم بخواص المواد، وتتنوع مجالاتها بشكل واسع من أشباه الموصلات إلى طرق حديثة تماماً معتمدة على التجميع الذاتي الجزيئي، هذا التحديد بالقياس يقابله اتساع في طبيعة المواد المستخدمة، فتقنية النانو تتعامل مع أي ظواهر أو بنايات على مستوى النانو الصغير، مثل هذه الظواهر النانوية يمكن أن تتضمن تقييد كمي quantum confinement التي تؤدي إلى ظواهر كهرومغناطيسية وبصرية جديدة للمادة التي يبلغ حجمها بين حجم الجزيء وحجم المادة الصلبة المرئي، تتضمن الظواهر النانوية أيضاً تأثير جيبس- تومسون - وهو انخفاض درجة انصهار مادة ما عندما يصبح قياسها نانويا، أما عن بنايات النانو فأهمها أنابيب النانو الكربونية.[٩]

تقنية النانو تكشف خصائص إعجازية ومذهلة لماء زمزم

فقد كشف العالم الياباني ماسارو إيموتو رئيس معهد هادو للبحوث العلمية عن خصائص إعجازية لماء زمزم بعد أن أجرى عليه عدة تجارب باستخدام تقنية النانو، وقد أكد ذلك في كلمة ألقاها في الندوة العلمية التي نظمتها كلية دار الحكمة للبنات في مدينة جدة وقال: «إن ماء زمزم يمتاز بخاصية علمية لا توجد في الماء العادي، بعد أن بيّنت الدراسات

(٩) موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت *http://ar.wikipedia.org/wiki*

والبحوث العلمية التي أجراها على الماء بتقنية النانو أنها لم تستطع تغيير أي من خواصه الأصلية».[١٠]

وأشار الباحث الياباني، وهو مؤسس نظرية تبلور ذرات الماء التي تعد اختراعاً علمياً جديداً في مجال أبحاث الماء ومؤلف كتاب «رسائل من الماء»، إلى أن البسملة في القرآن الكريم لها تأثير عجيب على بلورات الماء، وقال في حديثه أمام أكثر من ٥٠٠ باحث ومهتم في أبحاث المياه، «إن إضافة قطرة واحدة من ماء زمزم إلى ١٠٠٠ قطرة من الماء العادي تجعل الماء العادي يكتسب الخصائص ذاتها لهذا الماء المقدس».

وأضاف في كلمته التي نقلتها وكالة الأنباء السعودية (واس) قائلاً «إن بداية معرفته بماء زمزم كانت عندما حصل على ماء زمزم من شخص عربي كان يقيم في اليابان «، وبيّن إيموتو أن ماء زمزم فريد ومتميز ومقدس ولا يشبه في بلوراته أي نوع من المياه في العالم أيا كان مصدرها.[١١]

ولفت هذا العالم الياباني إلى أن كل الدراسات في المختبرات والمعامل لم تستطع أن تغير خاصية هذا الماء وهو أمر لم نستطع معرفته حتى الآن وأن بلورات الماء الناتجة بعد التكرير تعطي أشكالاً رائعة لذلك لا يمكن أن يكون هذا الماء عادياً، وأوضح أنه حين تعرضت بلورات الماء للبسملة عن طريق القراءة أحدثت تأثيراً عجيباً وكونت بلورات فائقة الجمال في تشكيل الماء، وأكد بالإضافة إلى البسملة فإن لأسماء الله الحسنى أثراً كبيراً على خاصية بلورات ماء زمزم إذ تم عرض أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين على الماء ولكن عند عرض اسم «العليم» على بلورات الماء شكل هذا الاسم تأثيرات خاصة في شكل الماء وخواصه.

وأشار إيموتو إلى تجربة إسماع الماء شريطاً يتلى فيه القرآن الكريم فتكونت بلورات من الماء لها تصميم رمزي غاية في الصفاء والنقاء مؤكداً أن الأشكال الهندسية المختلفة التي تتشكل بها بلورات الماء الذي قرأ علية القرآن أو الدعاء تكوّن اهتزازات ناتجة عن

(١٠) موقع رحماء على الإنترنت: *http://www.rohama.org/ar/news/3555*
(١١) موقع رحماء على الإنترنت: *http://www.rohama.org/ar/news/3555*

القرآن على هيئة صورة من صور الطاقة، ورأى أن ذاكرة الماء هي صورة من صور الطاقة الكامنة والتي تمكنه من السمع والرؤية والشعور والانفعال واختزان المعلومات ونقلها والتأثر بها إلى جانب تأثيرها في تقوية مناعة الإنسان وربما علاجه أيضاً من الأمراض العضوية والنفسية.[١٢]

وتكمن صعوبة تقنية النانو في مدى إمكانية السيطرة على الذرات بعد تجزئة المواد المتكونة منها، فهي تحتاج بالتالي إلى أجهزة دقيقة جداً من جهة حجمها ومقاييسها وطرق رؤية الجزيئات تحت الفحص، كما أن صعوبة التوصل إلى قياس دقيق عند الوصول إلى مستوى الذرة يعد صعوبة أخرى تواجه هذا العلم الجديد الناشئ، بالإضافة ما يزال هناك جدل ومخاوف من تأثيرات تقنية النانو، وضرورة ضبطها.[١٣]

ثانياً: استخدامات شبكة الإنترنت في تطوير الدراسات القرآنية

وتتلخص بالآتي:

(١) البحث عن المعلومات في الشبكة العنكبوتية من خلال محركات البحث.

(٢) المشاركة في المنتديات الإسلامية المهتمة بدراسات القرآن الكريم.

(٣) الاستفادة من المواقع المتخصصة بالدراسات القرآنية.

(٤) الاستفادة من البريد الإلكتروني في إرسال البحوث والدراسات بين الجامعات المختلفة، ولاسيما بحوث المؤتمرات الدولية.

(٥) الاستفادة في معرفة عناوين البحوث السابقة في موضوع معين، ولاسيما ما يتعلق بالترقيات العلمية للأكاديميين في الجامعات.

---

(١٢) موقع رحماء على الإنترنت: *http://www.rohama.org/ar/news/3555*

(١٣) موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت: *http://ar.wikipedia.org/wiki*

(٦) خاصية تحميل ورفع الملفات من وإلى الإنترنت (download & upload) وبمختلف الامتدادات، وتتضمن:

(أ) رفع الأبحاث المتخصصة بدراسات القرآن الكريم إلى شبكة الإنترنت؛ للاستفادة منها بنشرها ولإعلام المتخصصين بوجودها.

(ب) تحميل الكتب النادرة من المكتبات الإلكترونية التي يتعذر توفرها بطبعات ورقية ولاسيما الكتب بامتداد (pdf) لدقتها وعدم الشك في المعلومة التي تتضمنها، ومن خلال تجربتي فإن أفضل مواقع لتحميل هذه الكتب هو (rapidshare و4shared).

(٧)مشروع المدرسة الإلكترونية: ويقوم هذا المشروع على إنشاء موقع إلكتروني تعليمي مرتبط بشبكة الإنترنت، مخزن عليه المناهج التعليمية كافة بصورة حديثة ومتطورة، مع استخدام خدمات الوسائط المتعددة لإيضاح الدروس، هذا بالموازاة مع المدرسة العادية التي تنظم ذلك وتوفر بالإضافة له الحصص البعيدة عن الإلكترونيات، مع إمكانية الدراسة في البيت من خلال الموقع المذكور سابقاً بعد الحصول على الصلاحيات؛ لأن الموقع مزود بنظام حماية لتحديد الفئات المستفيدة، ولهذه المواقع فوائد، منها:

(أ) التعلم عن بعد، وذلك من خلال الاستفادة من المحاضرات والدروس التي ينشرها الأساتذة على الموقع.

(ب) الحوار الإلكتروني بين الطلاب والمدرسين، وبين الطلاب مع بعضهم البعض لتبادل الخبرات عبر البريد الإلكتروني، كما يمكن للطالب أن يرسل واجباته المنزلية لمدرسه الذي يردها إليه بعد التصحيح.

(ت) نقل المعلومات بسرعة، وسهولة تحديثها وتطويرها.

(ث) إمكانية الدخول إلى المكتبات العالمية، والاستفادة من كتبها كمكتبة المسجد النبوي الشريف، والمكتبة الوقفية على الإنترنت، ومكتبة الإسكندرية والمكتبة الافتراضية وغيرها من المكتبات الإلكترونية على الشبكة العالمية.

(ج) تشجيع الطلاب على البحث والدراسة، لاسيما أنهم يستخدمون آخر تقنيات العصر الحديثة.

(ح) يستطيع الطالب الدراسة بحرية في الوقت والمكان اللذين يختارهما.[١٤]

ثالثاً: استخدام الموسوعات الإلكترونية في تطوير الدراسات القرآنية

تتسم الموسوعات الإلكترونية بالميزات الآتية:

(١) اختصار الوقت والجهد والتكلفة والسهولة في البحث عن معلومة معينة.

(٢) مساعدة الباحثين والأساتذة في توفير بيئة علمية جذابة، لا تعتمد على مكان أو زمان محددين.

(٣) توفر بيئة علمية تفاعلية لجذب اهتمام الدارسين، وحثهم على تبادل الآراء والخبرات من خلال الاتصال بالخبراء أو بزملاء لهم الاهتمام نفسه عبر غرف الحوار والمنتديات المتاحة عبر الإنترنت، وقد ناقش العديد من الباحثين الفوائد المتعددة والتطبيقات المتعلقة بالتعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد.

(٤) مواكبة الانفجار المعرفي وثورة المعلومات؛ فقد ظهر الحاسب كأفضل وسيلة لحفظ هذه المعلومات واسترجاعها بسرعة.

(٥) انخفاض أسعارها مقارنةً بالكتب الورقية.

(٦) توفر طريقة جديدة ومتطورة في خدمة الدراسات القرآنية، تحطم الروتين اليومي، مما يشكل حافزاً لدى الباحثين في رفع مستوى الدراسات القرآنية المعاصرة وتطورها.

---

(١٤) ينظر استخدام الحاسوب والإنترنت في مجال التربية والتعليم والمدرسة الإلكترونية، فرح عتمة، *http://www.zamzamworld.com/e-learning.htm*

(٧) تساعد الباحث على زيادة ثقته بنفسه لأنه إنسان متطور يماشي عصر الحداثة والتقدم

(٨) القدرة على التفاعل مع الحاسوب بلا اضطراب؛ لأن الحاسوب لا يمل ولا يغضب ولا يعاقب.[١٥]

ومن الموسوعات الإلكترونية التي تهتم بدراسات القرآن الكريم:

(أولاً) الموسوعة الإلكترونية الشاملة للقرآن الكريم (ثانياً) المصحف الجامع (ثالثاً) التفسير (رابعاً) القراءات العشر (خامساً) مكتبة القرآن (سادساً) المتشابهات (سابعاً) معجم آيات القرآن الكريم (ثامناً) إعراب القرآن (تاسعاً) المكتبات الإلكترونية: ومن هذه المكتبات: المكتبة الشاملة بجميع الإصدارات، والمكتبة الوقفية للكتب المصورة pdf، ومكتبة الإسكندرية بالإصدار الأول والثاني، ومكتبة المسجد النبوي الشريف، ومكتبة المصطفى الإلكترونية، والجامع الكبير وغيرها من المكتبات العتيدة.

المحور الرابع

الآداب القرآنية وأحكامها في التعامل مع وسائل الاتصال الحديثة

مع تهافُت المسلمين على أرقى تقنيات عصرنا الحاضر عصر الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة، نجد لَدَيهم جهلاً ذريعاً بِحُسْن اسْتِعمالها، وخَطراً مُحْدقاً مِن جَفاف الرُّوح، وضعْف القِيم، وعجز الهِمَم دُون التَّحَدِّيات التي استهدَفت كثيراً من قضايانا العقديّة والفكريّة والثقافية، كان رَافِدُها هذه الوسائل والتقنيات المعاصرة، ولن يُرْتقى بالوعي الشرعي والأدبي والثقافي في ذلك، إلاَّ إذا قُوِّمت العقول، وشُذِّبَت الثَّقافات، وهُذِّبت التعاملات والانطباعات إزاء تلك التقنيات، وما أحرانا أن نتعرف على دُرَر من كنوز شريعتنا الغرَّاء عَبْرَ بَصَائر وآداب، ووقفات سَنِيَّات، تكون تذكرة بأَخْلاقِيات تلكم الوسائل وإيقاظاً،

(١٥) المرجع نفسه: http://www.zamzamworld.com/e-learning.htm.

وتسْديداً إلى حُسْن استثمارها واستخدامها؛ تطلُّعاً واستشرافاً لخيرٍ يَعُمّ، وتحذيراً من شرور وبَوَائق تَغُمّ، بل ليُؤجَرَ مُسْتعملوها ويَغْنَموا، ولا يَأْثَموا ويَغْرَموا، ومن هذه الآداب القرآنية:

الأدب الأول: إخلاصٌ للمولى، وحمدٌ وشكرٌ للمنعم سبحانه وتعالى على هذه النِّعم العظيمة، والادِّكار والاعتبار بما سلف من الأحوال والأعصار.

الأدب الثاني: ألاّ يَهْتِف المتّصل بمُخاطبه إلاَّ في الأوقات المُناسِبة، ويبتعد عن الأوقات التي جاء الشرع الحنيف ببَيَانها.(١٦)

الأدب الثالث: إلتزام التّحيّة الشّرعيّة، قبل المبادرة بالخطاب والكلام، قال رسول الله ﷺ: (أَوَلاَ أَدُلُّكم على شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوه تحَابَبْتُم، أفشوا السلام بينكم).(١٧)

الأدب الرابع: الإيجَاز في الحديث والاختصار.

الأدب الخامس: وهو من السُّلوكيّات المقيتة، وذلك بفَتح مُكبِّر الصَّوت على الملأ، أو تَسْجيلُ مُكَالَمَةٍ، أو تنصّت خادع، دون عِلْم المُتّصل وإذْنه.

الأدب السادس: الإبتعاد عن النَّغمات والصور غير الشرعية.

الأدب السابع: الإبتعاد عن ترْك الهَواتف المَحمولة في حالة استِقبال أثْنَاء الصَّلاة وخصوصاً داخل المساجد.

الأدب الثامن: مِمَّا نَسْتبْصِرُ به في أخْلاقيَّات هذه الوسائل الخَطيرَة، أنَّها تسْتعمل دُون تَحَرُّج أو خجل حَال قيادَة المركبات.

---

(١٦) هذه الآداب هي ما حذر فيها أمام وخطيب المسجد الحرام الشيخ عبد الرحمن السديس من السلوكيات المقيتة في وسائل الاتصالات الحديثة بما فيها الهواتف المحمولات، والحاسوبات وأجهزة التقانات، وشبكات المعلومات نقلاً من المواقع الآتية:
(www.eWbas.com &www.nourallah.com 5.com & www. ArabNet)

(١٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (٢٠٦- ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١/ ٧٤، كتاب الإيمان، (باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها)، رقم الحديث (٥٤))

الأدب التاسع: مما يجب على أولياء الأمور متابعة أَبْنَائِهم ومَحْمُولاتِهم، بين الفينة والأخرى، وتعهّدُهم في عطفٍ وحُبٍّ بالنّصْح والإرشاد تلقاء تلك الأجهزة والتّقنيات.

الأدب العاشر: عدم استغلال تلك الوسائل والتقنيات الحديثة في المَسَالك الوبيئة بنشر الرذيلة، وهدم الفضيلة.[١٨]

النتائج والتوصيات

مما تقدم من محاور بحث «التقنيات الحاسوبية ودورها في تطوير الدراسات القرآنية» أخلص إلى النتائج والتوصيات الآتية:

(١) لقد تطورت صناعة البرمجيات الإسلامية في خدمة القرآن الكريم، إلا أن الجهود المبذولة في تطوير هذه البرمجيات ما زالت تحتاج إلى دعم وتحديث لتلائم التطور الهائل في تقنيات الاتصالات المعاصرة وتطويعها عبر شبكات الإنترنت، كما ينبغي أن تنتقل صناعة هذه البرمجيات من معالجة البيانات إلى معالجة المعلومات ثم معالجة المعارف الإسلامية

(٢) نستخلص من مزايا الحاسوب، أنه مصمم ليوفر العمليات والأوامر اللازمة لإجراء دراسات متخصصة، وتنمية الخبرات عن طريق الاختبارات ذات المستويات المتطورة.

(٣) العناية في انتقاء المدخلين للكتب الإسلامية بوجه عام وكتب الدراسات القرآنية بوجه خاص؛ لأن قِلَّة الأخطاء أصل وهدف، وليس أمرًا ثانويًّا، وكلما كان المدخل دقيقًا في كتابته قلَّت أخطاؤه، وسهلت عملية المراجعة بعده.

(٤) دعم المبرمجين الذين يُعدُّون الموسوعات الإسلامية والتقنيات الحديثة، والتأكيد على تطويرها بإنشاء شركات ضخمة لرفع المستوى والكفاءة خدمة للقرآن الكريم.

(٥) توحيد جهود الجهات الأكاديمية، والخيرية، وشركات تقنية المعلومات؛ لإنتاج نظم برمجية بكفاءة عالية تصمم خصيصاً لتطوير دراسات القرآن الكريم والعلوم الشرعية،

---

(١٨) نقلاً من المواقع الآتية:
(www.eWbas.com &www.nourallah.com 5.com & www. ArabNet).

واغتنام دقة تقنيات الحاسوب في تطوير الدراسات القرآنية المعاصرة.

(٦) إنشاء قاعدة معلومات متخصصة من قبل علماء متخصصين وتقنيين، تحتوي على المواد العلمية النصية والمسموعة والمرئية التي توضح مواطن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث بأَفضل كتاب وعلى آله وأَصحابه الذين أَلهمهم الله تعالى تفسيره ولقنهم الحجة وفصل الخطاب، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم المآب.

مصادر البحث ومراجعه

وهي بعد القرآن الكريم:

(١) استخدام الحاسوب والإنترنت في مجال التربية والتعليم والمدرسة الإلكترونية، فرح عتمة،

http://www.zamzamworld.com/e-learning.htm

(٢) أنظمة المعلومات في خدمة القرآن الكريم، د. أكرم محمد زكي وأ. د. محمد زكي خضر، الملتقى الإقليمي الأول لكليات القرآن الكريم، تنظيم مركز الوحدة الإسلامية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والهيئة العالمية لتحفيظ القرآن، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالالمبور ١٢ – ١٢/١٥/ ٢٠١١.

http://www.al-mishkat.com/khedher/wp-admin/Papers/paper26.pdf: 1

(٣) التلفزيون والتغير الاجتماعي في الدول النامية، د. سعيد مبارك آل زعير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار الشروق، جدة، (١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م).

(٤) الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي، د. عبد الله أحمد الذيفاني، بيت الحكمة، بغداد، ط١ (٢٠٠١م).

(٥) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (٢٠٦– ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٦) موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الإنترنت *http://ar.wikipedia.org/wiki*

(٧) موقع رحماء على الإنترنت: *http://www.rohama.org/ar/news/3555*.

(8) *www.eWbas.com.*

(9) *www.nourallah.com 5.com.*

(10) *www.ArabNet.*

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

١٨- تدخل الدولة في تحديد السعر في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

• د. طحطاح علال

مقدمة

يعتبر تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي بصفة عامة من أهم المعايير الأساسية التي تحدد معالم الاقتصاد الذي تنتهجه الدولة، ويبرز هذا الأمر في شكل جلي في تدخل وعدم تدخل الدولة في تحديد الأسعار، حيث ينادي بعض الاقتصاديين والقانونيين بعدم تدخل الدولة وهؤلاء هم الرأسماليين، في حين هناك من يقر حق الدولة في التسعير التام للسلع والخدمات والأجور وفقاً لسياسات وخطط تقوم على منهج تملك الدولة لكافة عوامل الإنتاج، وهؤلاء هم الاشتراكيين[١].

وفي الشريعة الإسلامية على اعتبارها تقر نظاماً اقتصادياً خاصاً ومتكاملاً يختلف عن كلا النظامين، فإن الإسلام يمنح الحرية الفردية للنشاط الاقتصادي، في ظل سوق إسلامية حرة ونظيفة وخالية من الغش والغرر والجهالة والمقامرة، ولا يجوز للدولة أن تتدخل إلا إذا تبين أن الأفراد لم يلتزموا الأحكام الإسلامية والأخلاق والمثل وانحرفوا عن المعايير الإسلامية التي تحكم المعاملات، فمثلا للدولة أن تتدخل في حالات الاحتكار والغش والغرر أو إحداث ضرر بالغير بصفة عامة، وبذلك تكون مسؤولية الدولة هي حماية النشاط الاقتصادي وتحافظ على حق الله في المال وهو المحافظة على تطبيق قواعد المعاملات الإسلامية[٢].

• أستاذ مساعد، جامعة خميس مليانة/الجزائر.

وفي إطار النظام الاقتصادي الجزائري أقر المشرع مبدأ تحرير الأسعار من خلال قانون المنافسة ٠٣-٠٣[٣] في مادته الرابعة[٤] التي جاء فيها «تحدد أسعار السلع والخدمات اعتمادا على قواعد المنافسة..»، لكنه أورد استثناءات ترد على هذا المبدأ تخول للدولة التدخل في تحديد الأسعار.

ويعرف البعض السعر بأنه القيمة النقدية للوحدة الواحدة من السلعة أو الخدمة، أو هو بيع السلعة بثمن المثل مع ربح يقتضيه العرف من غير إضرار بالبائع ولا بالمشتري، أو هو نسبة استبدال الشيء بالنسبة للنقود، فالسعر يعبر عن قيمة السلعة أو الخدمة سواء من وجهة نظر البائع أو من وجهة نظر المشتري، وعلى هذا يمكن التعبير عن السعر على أنه القيمة المعطاة لسلعة أو خدمة معينة والتي يتم التعبير عنها في شكل نقدي، هذا يعني أن المنفعة التي تحصل عليها الزبون من شراء سلعة أو خدمة يعبر عنها في شكل قيمة معينة يتم ترجمتها من طرف المؤسسة في شكل سعر معين يدفعه المستهلك ثمنا لهذه المنفعة، وبالتالي فإن السعر المدفوع لا يعكس فقط المكونات المادية للسلعة، ولكن يشمل العديد من النواحي النفسية، شهرة المنتج، مجموعة الخدمات المقدمة والمرتبطة ببيع السلعة أو الخدمة[٤].

فالسعر عبارة عن الشكل الذي يعبر عن قيمة السلعة، ويتم التعبير عنه بالنقود، كما يعتبر أحد عناصر المزيج التسويقي (المنتج السعر، التوزيع، الترويج)، والسعر هو العنصر الوحيد الذي يعطي إيراد للعون الاقتصادي، في حين أن باقي العناصر تحمله تكاليف[٥].

من خلال ما سبق يمكن القول أن تحديد السعر هو عملية وضع قيمة نقدية أي من جنس النقود، أو قيمة عينية أي من جنس السلع لمنتج معين سلعة كان أو خدمة، حيث يمثل تحديد السعر من وجهة نظر المستهلك تلك القيمة التي يتم تحديدها من قبل المنتج أو البائع ثمنا لسلعة أو خدمة وما تمثله من منافع وفوائد، ويمكن النظر إلى السعر على أنه تلك القوة الشرائية التي يظهرها الزبون للحصول على السلعة أو الخدمة المرغوبة أو المطلوبة، وذلك أن القوة الشرائية للزبون تعتمد على عدة عوامل ومن بينها مستوى السعر الذي يعد العنصر الوحيد المتصف بالمرونة والتعديل من حين لآخر، وبهذا يكون المتغير ذا السهولة في التغيير أكثر من المتغيرات التسويقية الأخرى من المنتج والتوزيع والترويج، وهو العنصر المهم بالنسبة لبقية العناصر الأخرى الموجودة في المزيج التسويقي، وهذا راجع إلى أنه العنصر

الوحيد الذي يحقق الإيرادات أما بقية العناصر أو المتغيرات الأخرى فهي عبارة عن نفقات أو تكاليف، لهذا فالسعر يعد مهما بالنسبة للمؤسسة، وهذا يعني أن السعر له علاقة مباشرة مع المتغيرات الأساسية لعملية التبادل، هذه التغيرات تتمثل في المبيعات، التكاليف، والأرباح. وهو لا يستمد تأثيره وأهميته من الأداء الكلي للمؤسسة فحسب بل يتعداه ليشمل الاقتصاد الوطني برمته، ومنه يمكن تلخيص أهميته في النقاط الآتية:

•إن السعر يمكن تغييره وتعديله بسرعة كلما دعت الضرورة لذلك، فهي سمة يمتاز بها عن بقية عناصر المزيج التسويقي، حيث أن النقصان في السلع يلازمه تعديل مناسب في التكلفة بالانخفاض وهذا ما يؤثر على مردودية المؤسسة.

• يلعب السعر دوراً هاماً في التأثير على سلوك المستهلك ودفعه للشراء، حيث يؤثر على الطلب بالزيادة عند انخفاضه وبالنقصان في حالة ارتفاعه.

• يمكن اعتبار السعر أسلوب منافسة في سوق المنتج، مع الأخذ في الحسبان جانب الحيطة والحذر.[٦]

• يعتبر السعر معياراً هاماً في تحديد الربح لأنه يعود على المؤسسة في شكل إيراد، فهناك علاقة وطيدة بين سعر السلعة والأرباح المنتظرة، فأي تعديل في السعر بالنقصان أو بالزيادة سيكون له تأثير مباشرة على عوائد المؤسسة.

• يلعب السعر دوراً اقتصادياً هاماً عن طريق توزيع السلع والخدمات تبعاً لظروف الطلب والعرض، وتزداد أهميته في مستويات مداخيل الأفراد المنخفضة، حيث يسعون إلى الحصول على أكبر كمية من السلع والخدمات في ظل دخلهم المحدود.

• يعد السعر عامل كمي يسهل ملاحظته من طرف المستهلك عند التغيير فيه على خلاف العوامل الأخرى للنوعية كالجودة والخدمات المقدمة.

• يوضح السعر العلاقة بين العرض والطلب الذي تتوقف عليه المرونة السعرية للسلعة.

كما أن أهمية السعر في السوق تجعله أداة لارتكاب عدة مخالفات لقواعد المنافسة، من بينها[٧]:

- استعمال السعر للبيع بالخسارة، وذلك عن طريق البيع بسعر أقل من سعر التكلفة لإغراق السوق مما يؤدي إلى انسحاب العديد من الأعوان الاقتصاديين، وبالتالي التحكم التام في السوق.

- يستعمل أيضاً في مخالفات البيع بأسعار مشروطة، وهي مخالفات لمبدأ حرية الأسعار، فتدخل العون الاقتصادي في تحديد ثمن البيع يقيد حرية المتنافس ويجعله المتحكم الوحيد في أسعار السوق.

- يستعمل السعر أيضاً في البيع التمييزي، عن طريق البيع بأسعار مختلفة بتفضيل فئة عن باقي الأعوان الاقتصاديين، مما يحد من مجال الممارسات التجارية ويجعلها حكرا عليه.

وبالنظر إلى أهمية السعر، فهل تتدخل الدولة في تحديده أم لا؟

سنحاول الإجابة على هذه الإشكالية من خلال أحكام الشريعة الإسلامية من جهة، ومن خلال القانون الوضعي من جهة أخرى، وفقا للتفصيل التالي:

المبحث الأول
تدخل الدولة في تحديد السعر في الشريعة الإسلامية

يعرف التسعير في اللغة: بأنه تقدير السعر فيقال: أسعر الأمير للناس وسعر لهم[٨].

وفي الإصطلاح يعرفه البعض بأنه قيد يضعه ولي الأمر على حركة التجارة وذلك بتقدير أثمان محددة للسلع والخدمات يراعى فيه درجة إقبال الرعية أو انصرافها عن هذه السلع وتوافرها ووقته[٩].

ويعرفه العلامة ابن القيم الجوزية رحمة الله بقوله «تطلق كلمة التسعير على مقدار من النقود يدفع نظيرا للحصول على سلعة أو خدمة»، ويقول الشوكاني رحمه الله «التسعير هو أن يأمر السلطان أو نوابه أو كل من ولي أمور المسلمين أمرا أهل السوق ألا يبيعوا أمتعتهم إلا بسعر كذا، فيمنع من الزيادة عليه أو النقصان لمصلحة»[١٠].

أما فيما يخص تدخل الدولة في تحديد السعر فيخضع لأصل واستثناء.

المطلب الأول: الأصل منع تدخل الدولة في تحديد السعر (مبدأ تحرير الأسعار)

الأصل والمبدأ العام في الشريعة الإسلامية هو تحرير الأسعار أي عدم تدخل الدولة في تحديد السعر، وأساس ذلك ما قد ثبت أن الناس قالوا يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا فقال «أن الله تعالى هو الخالق الباسط الرزاق المسعر، وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمته إياها في دم ولا مال».[١١]

وعليه فإن الأسعار تتحدد على أساس التفاعل الحر لقوى العرض والطلب دون تدخل أو تأثير على طرفي التعامل.

وفي منع التسعير تأكيد على حرية التصرف التي يكفلها التشريع الاقتصادي في الإسلام بإقراره حرية التعاقد ومنع السلطة من إعاقة حرية التراضي تحقيقا لمبدأ الخيار في البيع والشراء، وترك السعر يتحدد طبيعيا بالقبض والبسط كما في الحديث[١٢].

وفي ذلك يقول إبن تيمية رحمه الله «فإذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم وقد ارتفع السعر إما لقلة الشيء وإما لكثرة الخلق فهذا إلى الله، فإلزام الخلق أن يبيعوا بقيمة بعينها إكراه بغير حق»[١٣].

و يقول أيضا:«إن ما كثر طالبوه يرتفع ثمنه بخلاف ما قل طالبوه وبحسب قلة الحاجة وكثرتها وقوتها وضعفها فعند كثرة الحاجة وقوتها ترتفع القيمة ما لا ترتفع عند قلتها وضعفها»[١٤].

المطلب الثاني: جواز تحديد الدولة للسعر(التسعير) استثناءاً

هذا الاستثناء هو محل خلاف بين فقهاء الشريعة الإسلامية حول جوازه من عدمه، وحول شروط جوازه بين الذين أجازوه.

حيث اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على حرمة التسعير حال السعة والاختيار، واستدلوا بذلك بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾(سورة النساء: ٢٩)، وقوله تعالى ﴿اللّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾(سورة الشورى: ١٩)، ومن السنة ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال، غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا، قال عليه الصلاة والسلام،

إن الله هو المسعر القابض الباسط وإني لأرجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبني بمظلمة في دم ولا مال»، ومارواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رجلا جاء فقال يا رسول الله سعر فقال ﷺ، بل ادعو الله، ثم جاء رجل فقال يا رسول الله سعر، فقال عليه الصلاة والسلام: بل الله يخفض ويرفع، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد عندي مظلمة»[١٥]، ومن المعقول قالوا أن الناس مسلطون على أموالهم وفي التسعير حجر عليهم، وأن الإمام مأمور برعاية مصلحة جميع المسلمين، وليس نظره برعاية مصلحة المشتري برخص الثمن بأولى من نظره برعاية مصلحة البائع بزيادة الثمن، وإذا تقابل الأمران وجب تمكين الفريقين من الاجتهاد لأنفسهم، ومن جهة أخرى قد يكون التسعير سببا لارتفاع الأسعار، لأن التجار إذا علموا أنهم سوف يجبرون على البيع بسعر لا يرضيهم اتجهوا إلى مكان آخر أوفر ربحاً[١٦].

أما في حالة الضرورة فقد اختلفت أراء الفقهاء، حيث يذهب جمهور الفقهاء من الحنفية، والمالكية، والحنابلة، إلى أن التسعير على التجار في حالة الضرورة جائز، ودليلهم في ذلك ما رواه سعيد بن المسيب ﷺ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بحاطب بن بلتعه وهو يبيع زبيباً له بالسوق فقال له عمر بن الخطاب: «إما أن تزيد في السعر وإما أن ترفع من سوقنا[١٧]».

ويرى البعض[١٨] أنه حتى في حالة ارتفاع الأسعار بسبب الندرة وارتفاع التكاليف، لا يمكن التسعير لأنه ليس من المنطق أن نرفع الضرر عن المستهلك ونضعه على المنتج أو التاجر فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه لمّا طُلب منه التسعير قال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّزَّاقُ وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلا مَالٍ»، وهو امتناع صريح عن تدخل الدولة في أعمال الناس الاقتصادية عندما تكون الوضعية ليست نابعة من نشاط غير عادي، فالحديث يدل على أن النشاط الاقتصادي إذا كان يسير دون تعمد من أحد إلحاق الضرر بالآخرين، لا يمكن للدولة أن تتدخل لفرض نظام معين، وقوله

ﷺ «وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَطْلُبُنِي بِمَظْلِمَةٍ فِي دَمٍ وَلا مَالٍ» يدل على أن إجبار التجار أو المنتجين في ظل الأزمة الاقتصادية بالبيع بسعر معين قد يلحق الضرر بهم، وبالتالي يدخل ذلك في باب المظالم التي تؤثر سلبا على النشاط الاقتصادي بدل أن تحفزه.

في حين إذا كان تخفيض السعر بناءً على رغبة صاحب السلعة، يكون ذلك عمل في إطار حرية النشاط الاقتصادي، شريطة أن لا تكون تلك العملية بهدف إلحاق الضرر بالآخرين، وإنما تدخل ضمن إطار دعم استهلاك الطبقة ذات الدخل الضعيف، أو التي لا تملك دخلا أصلا، على هذا الأساس ينبغي أن تشجع الدولة هؤلاء إما بتخفيض الضرائب عنهم، أو بزيادة إعانات الإنتاج لصالحهم عندما تزول الأزمة الاقتصادية.

ويجمل الشيخ الصنعاني تفاصيل الخلاف في مسألة التسعير عند شرح حديث الرسول ﷺ السابق ذكره بالقول «والحديث دليل على أن التسعير مظلمة، وإذا كان مظلمة فهو محرم، وإلى هذا ذهب أكثر العلماء، وروي عن مالك أنه يجوز التسعير ولو في القوتين، والحديث دال على تحريم التسعير لكل متاع وإن كان سياقه في خاص، وقال المهدي أنه استحسن الأئمة المتأخرون تسعير ما عدا القوتين، كاللحم والسمن ورعاية لمصلحة الناس ودفع الضرر عنهم»[١٩].

وقد عدد بعض المجيزين للتسعير الجبري شروطا له هي[٢٠]:

- أن يكون التسعير الإسلامي عادلا لا وكس فيه (نقص)، ولا شطط (مجاوزة الحد)
- أن يكون التسعير بناءاً على دراسة مستفيضة واستشارات صادقة من الخبراء المختصين المنزهين من أي مصلحة شخصية يحتمل أن تعود عليهم
- عدم الإجحاف في السعر، أي أن يكون في التسعير مصلحة للبائع وللمشتري.

المبحث الثاني
تدخل الدولة في تحديد السعر في القانون الوضعي

كما أشرنا سابقاً فإن طبيعة النظام الاقتصادي الذي تنتهجه الدولة هو الذي يحدد قبول تدخلها في تحديد السعر من عدمه، فالنظام الرأسمالي يضيق من تدخل الدولة في تحديد السعر، بينما يتجه النظام الاشتراكي إلى خلاف ذلك.

وسوف لن نتعرض لهذه الأنظمة تفصيلا ، بل سنحاول دراسة موقف القانون الجزائري في هذا الشأن، من خلال استقراء كل من قانون المنافسة وقانون الممارسات التجارية.

ويمكن القول في هذا الإطار، أن النظام القانوني الجزائري يتبنى أصلا بشأن تدخل الدولة في تحديد السعر، ويورد عليه بعض الاستثناءات.

وهذا ما سنتعرض له تباعا.

المطلب الأول: مبدأ تحرير الأسعار

الأصل أن أسعار السلع وبدل الخدمات تتحدد وفقا لقواعد السوق، أي وفقا لمقدار العرض والطلب على السلعة أو الخدمة، دون تدخل من الدولة، ويميل سعر السوق إلى التوازن عند تعادل الكمية المطلوبة من سلعة أو خدمة ما، ومفاد ذلك أنه في حال نقص الكمية المعروضة عن الكمية المطلوبة، ووفقا لقانون العرض والطلب فإن السعر يرتفع، وإذا حدث العكس بزيادة الكمية المعروضة عن الكمية المطلوبة فإن السعر ينخفض[٢١]. وهذا ما تسعى إلى تجسيده قوانين المنافسة في ظل الاقتصاد الحر.

ومن الناحية النظرية ليس هناك أي سلطة تتحكم في الأسعار، لكن هناك تنظيم دقيق يحكم العلاقات التجارية بين الأشخاص، يخضع لقوى العرض والطلب التلقائية، حيث يسعى كل منتج أو بائع إلى بيع سلعته بأعلى سعر، وذلك لتحقيق أقصى ربح، وفي المقابل يسعى كل مشتري إلى أن يحصل على تلك السلعة بأقل سعر ممكن[٢٧].

وإذا كان السعر يحدد في الغالب على أساس حجم الطلب فهناك طرق أخرى لتحيد السعر منها[٢٨]:

♦ **تحديد السعر على أساس التكلفة:** حيث يتم تحديد السعر وفقا لهذه الطريقة عن طريق حساب تكلفة المنتج يضاف إليها هامش ربح محدد.

♦ **التسعير على أساس المنافسين:** حيث يتم تحديد السعر في هذه الحالة عن طريق المقارنة بين المنتوج ومنتوج مماثل للمنافسين من حيث الجودة والنوعية والمواصفات، ومن ثم يتم تحديد السعر.

ونشير إلى أن التزام العون الاقتصادي لا يتوقف عند حدود احترام المبادئ التي تحكم التحديد الحر للأسعار بل يجب احترام مقتضيات هذا المبدأ أيضاً، ومن مقتضياته وفقا لما جاء في نص المادة ٤ من قانون المنافسة احترام أحكام التشريع والتنظيم المعمول بهما فيما يتعلق بالأسعار وكذا قواعد الإنصاف والشفافية، لا سيما تلك المتعلقة بما يأتي:

- تركيبة الأسعار لنشاطات الإنتاج والتوزيع وتأدية الخدمات واستيراد السلع لبيعها على حالها.

- هوامش الربح فيما يخص إنتاج السلع وتوزيعها أو تأدية الخدمات.

- شفافية الممارسات التجارية.

وتحديد المنتج أو البائع لسعر السلعة أو بدل الخدمة وبسلوك منفرد منه، ودون أن يتخذ هذا السلوك صفة الفعل المدبر أو المتفق عليه بينه وبين منافسيه أو أن يكون شرطا في عقد توزيع لا يشكل مخالفة لقواعد المنافسة، بل قد يؤدي تحديد السعر بهذا الشكل إلى بث المنافسة وتنميتها بين السلع أو خدمات هذا المنتج والسلع والخدمات المشابهة لها، وهذا هو جوهر المنافسة[٢٩].

ومع هذا منع قانون الممارسات التجارية[٣٠] بعض الممارسات الفردية أو الاتفاقية التي تهدف إلى التأثير على الأسعار، وهو ما يصطلح عليه بالممارسات المنافية للمنافسة، فالمادة ٢٥ تمنع التجار من حيازة مخزون من المنتجات بهدف تحفيز الارتفاع غير المبرر للأسعار.

كما أن قانون المنافسة حظر في المادة ٦ منه كل ممارسة أو أعمال مدبرة من شأنها عرقلة تحديد الأسعار حسب قواعد السوق بالتشجيع المصطنع لارتفاع الأسعار أو لانخفاضها.

ولقد حظرت المادة ٧ من قانون المنافسة كل تعسف ناتج عن هيمنة على السوق أو احتكار لها أو على جزء منها إذا كان القصد منه عرقلة تحديد الأسعار حسب قواعد السوق بالتشجيع المصطنع لارتفاع الأسعار أو انخفاضها.

كما تمنع الاتفاقات المحددة للسعر، فتحديد الأسعار قد يتم بطرق وأشكال مختلفة كإبقائها في مستوى معين، أو تثبيت نسب الربح دون الأخذ بعين الاعتبار الإنتاج أو العمل على توحيد الأسعار من خلال نظام تسعيرة موحدة يتفق عليه من طرف أعوان اقتصاديون منخرطون في تنظيم مهني واحد ويوزع على جميع الأعضاء الذين يصبحون ملزمون بتطبيقه[٣١].

فالاتفاقات التي ترمي إلى تحديد الأسعار على خلاف ما يقضي به قانون السوق مهما كان شكلها تعتبر محظورة.

ورغم أن قانون الممارسات التجارية لم يتناول المسألة بالتفصيل فإن احترام مبدأ تحرير الأسعار يقتضي ذلك، كما أن قانون المنافسة نص على حظر هذه الاتفاقات صراحة في المادة ٦ منه.

و حظر هذه الاتفاقات مرده اعتبار تحديد الأسعار وتفادي المنافسة هدفا أساسيا لاتفاقيات التقييد الأفقي والتقييد الرأسي للمنافسة[٣٢]. لذلك فهذه الاتفاقات ممنوعة سواء كانت أفقية أو رأسية، صريحة كانت أو ضمنية.

المطلب الثاني: تدخل الدولة في تحديد السعر

حيث تتدخل الدولة بواسطة التسعير الجبري، وبعض الأنظمة المشابهة كالتسقيف والمصادقة على السعر وتحديد هامش للربح، ويشكل هذا استثناء من مبدأ حرية تحديد الأسعار.

ويجد نظام التسعير الجبري مبرره في ظروف مؤقتة أو عارضة يمر بها الاقتصاد الوطني، مثل ظروف الحروب وما يعقبها من آثار وظروف الأزمات الاقتصادية، بما يؤدي إلى نقص متوقع أو غير متوقع في المعروض من بعض المنتجات والسلع، خاصة ما تعلق بالغذاء منها الأمر الذي يشجع على المغالاة في الأسعار بهدف تحقيق اكبر قدر ممكن من الربح

استغلالا لهذه الظروف، لذا يلجأ القانون إلى فرض نظام للتسعير الجبري أو لتحديد نسبة الأرباح المعقولة التي يسمح بها، ويفرض عقوبات جنائية لمن يخالف أحكامه[٣٧].

فلا بد أن تكون هناك حدوداً لما يمكن أن نتركه من حرية للأفراد، وتجاوز تلك الحدود سيرتب عديد الأضرار الاجتماعية وغيرها، ولأجل ذلك يكون تدخل الدولة ضروري لوضع شروط وقيود لضمان منافسة مشروعة وتحقيق حماية للمستهلكين وضمان حماية المصلحة العامة[٣٨].

ويرى البعض في هذا الشأن، أن محاربة المنافسة غير المشروعة والممارسات الاحتكارية وحماية حقوق المستهلكين وتحديد هوامش الربح وفقاً لحسابات التكلفة للسلع المهمة أمر لا مناص منه، فيجب أن تستعيد الدولة جزء من دورها القديم بتدخلها في تحديد الأرباح والتسعير الجبري في حالات محددة، وذلك لضمان التحرير الصحيح للاقتصاد الوطني ولحماية الرأسمالية الوطنية من نفسها، ومواجهة جشع بعض التجار الذين لا يرون أبعد من مواطئ أقدامهم، ولا يعني هذا أنه نوع من الردة أو التراجع عن تحرير الاقتصاد الوطني، بل ينبغي فهم هذا الاتجاه على أنه يمثل إجراءات ضرورية ولازمة لضمان عملية تحرير الاقتصاد الوطني الذي لا يثمر نتائجه المرجوة في غياب التوازن بين حجم الإنتاج وحجم الاستهلاك، وبين حجم العرض وحجم الطلب، وبقول آخر تحقيق التوازن اللازم بين مصالح المنتج والتاجر وبين مصالح المستهلك، وهذا لا يتأتى إلا بضمان وجود قوانين وقواعد عادلة ومؤسسات فاعلة تضمن تنظيم السوق بما يحافظ على المنافسة الشريفة وينهي كل صور الاحتكار ويكسر موجة غلاء الأسعار[٣٩].

إذن عملية التسعير عملية مهمة للمحافظة على المستهلك والاقتصاد الوطني وفرض التوازن في السوق

ولقد نص قانون المنافسة ٠٣-٠٣ صراحة على هذا الاستثناء في نص المادة الخامسة[٤٠] (قبل تعديلها بموجب القانون ١٠-٠٥) التي جاء فيها» يمكن تقنين أسعار السلع والخدمات التي تعتبرها الدولة ذات طابع استراتيجي عن طريق التنظيم بعد أخذ رأي مجلس المنافسة.

كما يمكن اتخاذ تدابير استثنائية للحد من ارتفاع الأسعار أو تحديدها، لا سيما في حالة ارتفاعها المفرط بسبب اضطرابات السوق أو كارثة أو صعوبات مزمنة في التموين داخل قطاع نشاط معين أو في منطقة جغرافية معينة أو في حالات الاحتكار الطبيعية.

تتخذ هذه التدابير الاستثنائية عن طريق التنظيم لمدة أقصاها ستة (٦) أشهر قابلة للتجديد، بعد أخذ رأي مجلس المنافسة»

ويلاحظ من خلال هذه المادة أنها حددت حالات اللجوء إلى فرض أسعار أو تدابير استثنائية تتعلق بالأسعار، كما حددت إجراءات القيام بهذه التدابير.

وقد نصت المادة ٢٢ من قانون الممارسات التجارية على أن الالتزام العام بالنزاهة يقتضي احترام العون الاقتصادي لنظام الأسعار المقننة أو الجبرية.

بينما جاء في المادة الخامسة وفق تعديلها بموجب القانون ١٠-٠٥ ما يلي «تطبيقاً لأحكام المادة ٤ أعلاه يمكن أن تحدد هوامش وأسعار السلع والخدمات أو الأصناف المتجانسة من السلع والخدمات أو التصديق عليها عن طريق التنظيم.

تتخذ تدابير تحديد هوامش الربح وأسعار السلع والخدمات أو تسقيفها أو التصديق عليها على أساس اقتراحات القطاعات المعنية وذلك للأسباب الرئيسية الآتية:

- تثبيت استقرار مستويات أسعار السلع والخدمات الضرورية، أو ذات الاستهلاك الواسع، في حالة اضطراب محسوس لسوق،
- مكافحة المضاربة بجميع أشكالها والحفاظ على القدرة الشرائية للمستهلك.

كما يمكن اتخاذ تدابير مؤقتة لتحديد هوامش الربح لأسعار السلع والخدمات أو تسقيفها حسب الأشكال نفسها في حالة ارتفاعها المفرط وغير المبرر لا سيما بسبب اضطراب خطير للسوق أو كارثة أو صعوبات مزمنة في التموين داخل قطاع نشاط معين أو في منطقة جغرافية معينة أو في حالات الاحتكار الطبيعية».

ففي ظل المادة ٥ بعد تعديلها بموجب القانون ١٠-٠٥، تقوم الدولة بحسب الحالة بأحد الإجراءات التالية:

- تحديد هوامش وأسعار السلع والخدمات أو الأصناف المتجانسة من السلع أو الخدمات.

- تسقيف أسعار السلع أو الخدمات أو الأصناف المتجانسة من السلع أو الخدمات، أي تحديد الحد الأقصى الذي يجب أن لا يتجاوزه السعر.

- التصديق على أسعار السلع والخدمات أو الأصناف المتجانسة من السلع أو الخدمات، أي أخذ موافقة الدولة على السعر الذي يحدده العون الاقتصادي.

ويمكن اللجوء إلى الاستثناء لسبب من الأسباب التالية:

١. عندما يتعلق الأمر بتثبيت استقرار مستويات أسعار السلع والخدمات الضرورية، أو ذات الاستهلاك الواسع في حالة اضطراب محسوس للسوق، وهنا يتعلق الأمر بالسلع الضرورية أو ذات الاستهلاك الواسع.

والمقصود بالسلع الضرورية هو نفسه المقصود بالسلع الاستراتيجية.

بينما المقصود بالسلع ذات الاستهلاك الواسع هو السلع الغير ضرورية لكنها واسعة الاستهلاك من طرف أفراد المجتمع، فالبطاطا مثلا ليست ضرورية لحياة الأفراد لكنها في المجتمع الجزائري واسعة الاستهلاك.

فالجديد هنا فيما يتعلق بالسلع والخدمات هو إضافة السلع والخدمات ذات الاستهلاك الواسع.

وقد ربطت المادة السابقة الذكر هذا السبب أو الهدف بحالة اضطراب محسوس للسوق، أي لا يكفي أن تكون السلعة أو الخدمة ضرورية أو واسعة الاستهلاك لتدخل الدولة بأحد الإجراءات المذكورة سلفا، بل يجب إلى جانب ذلك أن يكون هناك اضطراب محسوس قي السوق، أي على قدر من الجسامة في حين أن المادة المذكورة قبل تعديلها كانت تعطي الحق للدولة في التدخل لمجرد اعتبار السلعة أو الخدمة إستراتجية، وإذا كانت المذكرة التقديمية لقانون المنافسة الصادرة عن وزارة التجارة جاء فيها أن «حذف على مستوى الأمر المعمول به مفهوم «السلع والخدمات الاستراتيجية» وكذا المدة المؤكدة المحددة بموجب النص الساري المفعول (٦ أشهر) فيما يخص إجراءات تأطير الأسعار والهوامش عندما تفرضها الظروف الاستثنائية وذلك كونها تضيق تدخل الدولة في هذا الميدان»، فيلاحظ

عدم حذف مفهوم «السلع والخدمات الاستراتيجية» بل المفهوم مازال قائما والذي تغير هو العبارة، بوجود عبارة «السلع والخدمات الضرورية»، فالمفهوم بين العبارة القديمة والعبارة الجديدة واحد، والذي تغير المصطلحات فقط.

كما نلاحظ أن ربط تدخل الدولة بوجود حالة اضطراب محسوس للسوق هو في حقيقته تضييق لتدخل الدولة في هذا المجال، وهو مسلك منطقي لأن كل توسيع غير مبرر بمبررات قوية يعد خرقا صارخا لمبدأ حرية التجارة والصناعة المضمون دستوريا، ومن خلاله خرق مبدأ حرية الأسعار.

ونلاحظ أن التوسيع الوحيد في تدخل الدولة الذي جاء به التعديل في هذا الشأن يظهر في إدخال السلع والخدمات ذات الاستهلاك الواسع كمجال لتدخل الدولة، إضافة إلى السلع والخدمات الضرورية التي كانت موجودة سابقاً.

٢. عندما يتعلق الأمر بمكافحة المضاربة بجميع أشكالها والحفاظ على القدرة الشرائية للمستهلك، ولا يتعلق الأمر هنا بالسلع أو الخدمات الضرورية أو واسعة الاستهلاك فقط، بل بكل السلع والخدمات التي يتجاوز سعرها حدود القدرة الشرائية للمستهلك أو التي يرتفع سعرها بسبب المضاربة، وفي هذه الحالة توسيع مبرر لتدخل الدولة، لأن المضاربة تمس بالمنافسة الحرة والنزيهة، والمحافظة على القدرة الشرائية للمستهلك هي من وظائف الدولة.

٣. حالة الارتفاع المفرط وغير المبرر لأسعار السلع والخدمات لا سيما بسبب اضطراب خطير للسوق أو كارثة أو صعوبات مزمنة في التموين داخل قطاع نشاط معين أو في منطقة جغرافية معينة أو في حالات الاحتكار الطبيعية.

وفي هذه الحالة الأخيرة يمكن فرض تدابير مؤقتة (تتمثل في أحد التدابير المذكورة آنفاً)، كما نصت عليه المادة السالفة الذكر صراحة، وهذا منطقي لارتباط هذه الحالة بأسباب آنية مؤقتة.

وإذا كانت صياغة الحالتين السابقتين قد تفيد أن التدابير قد تكون بصفة دائمة، فإن هذا القول سيكون منطقياً لو تعلق الأمر بسلع أو خدمات ضرورية أو واسعة الاستهلاك لديمومة صفتها تلك، لكن في ظل ربطها بأسباب مؤقتة فإن هذا القول غير منطقي لا سيما بالنسبة للحالة الأولى التي ربطها قانون الممارسات التجارية

بوجود حالة اضطراب محسوس في السوق، فإذا زال الاضطراب المذكور زال سبب فرض تلك التدابير بما يقتضي منطقا ربط التدبير بوجود حالة الاضطراب وجودا وعدما، والأفضل هو أن يكون التدبير دائم عندما يتعلق الأمر بطبيعة السلعة أي أنها ضرورية دون ارتباطه بسبب آخر، لأن السلع والخدمات الاستراتيجية أو واسعة الاستهلاك ترهق عاتق المستهلك ليس فقط عن ارتباطها باضطراب في السوق، بل حتى ولو لم يكن ذلك فإن كثرة استهلاكها وديمومته يؤدي إلى إرهاق المستهلك لا سيما ضعيف الدخل خاصة إذا كان سعرها مرتفعا ولو بصفة قليلة، والديمومة لا تعني استقرار السعر نهائيا، وإنما الديمومة تتعلق بتدخل الدولة في تحديد السعر، الذي لها أن تراجعه إذا دعت الضرورة لذلك.

وتتمثل الشروط والإجراءات المقررة لفرض هذه الاستثناءات فيما يلي:

١- أن يتعلق الأمر بسلع أو خدمات ضرورية أو واسعة الاستهلاك

٢- وجود ارتفاع مفرط وغير مبرر للأسعار.

٣- يجب ارتباط ارتفاع الأسعار بوجود اضطراب محسوس للسوق، أو أن يتعلق الأمر بوجود مضاربة أو عندما يتعلق الأمر بالمساس بالقدرة الشرائية للمستهلك.

٤- أن يتم تحديد الإجراء اللازم عن طريق التنظيم بالمفهوم الموضح سابقا.

٥- أن تتم هذه الإجراءات بناءا على اقتراح القطاعات المعنية ويجب صرف مفهوم القطاعات إلى الأعوان الاقتصاديين الممارسين للنشاط المعني أساساً، إلى جانب الوزارة التي يخضع لها النشاط الذي تتعلق به السلعة أو الخدمة محل التدبير والمديريات التابعة لها.

والملاحظ بهذا الشأن إلغاء استشارة مجلس المنافسة، واشتراط مكان ذلك اقتراح القطاع المعني تجسيداً وتغليباً للطابع الإداري لفرض هذه التدابير.

٦- يتعلق الأمر بمدة التدابير المفروضة، حيث رغم أن المادة الخامسة السالفة الذكر نصت صراحة فيما يتعلق بوجود ارتفاع مفرط وغير مبرر لأسعار بعض

السلع والخدمات على أن التدابير مؤقتة فإنها لم تحدد مدة التدابير، والمنطق يفرض إنهاء التدبير بمجرد زوال السبب الذي أدى إلى ارتفاع الأسعار.

أما بالنسبة لغير هذه الحالة فإن ربطها بظروف مؤقتة يفرض ضرورة أن تكون التدابير مؤقتة تزول بزوال تلك الظروف، فعلى السلطة التي أصدرت التدبير أو التي تعلوها أن تلغي التدبير بمجرد زوال أسباب فرضه، وإن كانت المادة ٥ المذكورة يظهر من خلال صياغتها أن التدبير دائم، ولكن هذا لا يتمشى مع ربط المادة فرض تلك التدابير بأسباب مؤقتة وإن طالت مدتها.

لكن بالنسبة للسلع والخدمات الضرورية لا بد أن تكون التدابير المتعلقة بها دائمة لديمومية صفتها ولذلك يجب تعديل المادة ٥ بحذف ربط أخذ التدابير المتعلقة بتلك السلع بوجود حالة اضطراب محسوس للسوق محافظة على المستهلك وحقه في الحصول وبسهولة على تلك السلع.

أما بالنسبة للسلع الواسعة الاستهلاك فلا بأس بربط أخذ التدابير بشأنها بحالة وجود اضطراب محسوس للسوق، ولكن مع النص على وقتية تلك التدابير وارتباطها بزوال ذلك الاضطراب.

ولتفعيل تدخل الدولة في تحديد الأسعار منعت المادة ٢٣ من قانون الممارسات التجارية[٤١] بعض الممارسات التي من شأنها المساس بذلك التدخل أو الإنقاص من فعاليته، حيث منعت الممارسات التالية:

القيام بتصريحات مزيفة بأسعار التكلفة قصد التأثير على هوامش الربح وأسعار السلع والخدمات المحددة أو المسقفة، حيث تطلب للدولة من الأعوان الاقتصاديين التصريح بأسعار التكلفة لسلعة أو خدمة معينة، لتحديد سعرها أو تسقيفه بناءا على ذلك، وكل تصريح غير صحيح الهدف منه التأثير على تحديد السعر أو تسقيفه يعد عملا منافيا للنزاهة يرتب جزاءات معينة.

إخفاء الزيادات غير الشرعية للأسعار، وهذا الأمر يتعلق بالأسعار المحددة أو المسقفة أو المصادق عليها، فقد يحاول العون الاقتصادي تجاوز ذلك السعر وفقا لتبريرات أو مناورات

معينة، كأن يدعي أن الزيادة في مقابل مصاريف جلبه لتلك السلعة أو غير ذلك.

عدم تجسيد أثر الانخفاض المسجل لتكاليف الإنتاج والاستيراد والتوزيع على أسعار البيع والإبقاء على ارتفاع أسعار السلع والخدمات المعنية.

عدم إيداع تركيبة الأسعار المقررة طبقا للتشريع والتنظيم المعمول بهما، حيث ألزمت المادة ٢٢مكرر من قانون الممارسات التجارية (٤٢) العون الاقتصادي بضرورة إيداع تركيبة السلع والخدمات، لا سيما تلك التي كانت محل تدابير تحديد أو تسقيف هوامش الربح أو الأسعار طبقا للتشريع والتنظيم المعمول بهما لدى السلطات المعنية قبل البيع أو تأدية الخدمة.

كما يطبق هذا الإجراء حسب نفس المادة وضمن نفس الشروط عندما تكون السلع والخدمات محل تدابير تصديق على الهوامش والأسعار.

وتركت هذه المادة تفصيل ما يتعلق بهذا الإجراء للتنظيم.

تشجيع غموض الأسعار والمضاربة في السوق.

إنجاز معاملات تجارية خارج الدوائر الشرعية للتوزيع

خاتمة

على اعتبار الأهمية القصوى التي يتميز بها السعر في العملية الاستهلاكية والتنافسية، فقد حاولت الأنظمة المختلفة تنظيمه وإخضاعه لمبادئ، بالنظر إلى الأسس التي تقوم عليها تلك الأنظمة.

فالشريعة الإسلامية أعطت للأفراد الحرية في تحديد السعر، لكن بعيدا عن الغش والغرر والخداع، دون تدخل مباشر من الدولة في تحديده، لكن من حق الدولة أن تراقب احترام الأفراد للمبادئ الإسلامية والأحكام الشرعية التي تخضع لها المعاملات، بما في ذلك تحديد السعر، فالدولة الإسلامية تراقب الأسواق، وتفرض احترام التشريع الإسلامي فيها، وهذا لا يعني تحديدها للأسعار، ومع هذا فقد أجاز بعض الفقهاء لولي الأمر تحديد السعر وفقا لظروف خاصة تبررها حالة الضرورة. فالمصلحة العامة وتجسيد مقاصد الشريعة هما الضابطان في تدخل الدولة في تحديد السعر.

وفي القوانين الوضعية الأمر يختلف بحسب طبيعة النظام الاقتصادي المنتهج، فبين التدخل السافر واللامبرر أحيانا للدولة في النظام الاشتراكي، بشكل يقيد حرية الأفراد في التملك المباح وفي الربح المشروع، إلى العزوف شبه التام للدولة عن التدخل في النظام اللبرالي، القائم على مبدأ «**دعه يعمل أتركه يمر**»، أو على مبدأ «**أن الغاية تبرر الوسيلة**»، هذان المبدآن اللذان أوصلا كثيرا من المجتمعات إلى ليبرالية متوحشة، ذهب ضحيتها الفقراء، وجنى ثروتها الأغنياء، ما جعل مختلف الدول تحاول ودون جدوى أن تخفف من وطئتها، بالإنتقال من مبدأ إلى آخر، فمن النظام الاشتراكي إلى النظام الرأسمالي إلى النظام المختلط إلى اللانظام أحيانا، مع أن الحل موجود، وقد بدأت تدعوا إليه حتى بعض الجهات الغربية، ألا وهو النظام الاقتصادي الإسلامي، القائم على أسس متينة يجمع فيها العون الاقتصادي بين محاولة جني الثروة المباحة ومحاولة إرضاء ربه تبارك وتعالى، ويستفيد فيه الفقراء وفقا لنظام الزكاة من جزء معلوم من ثروة الأغنياء بما يفيد الفقير ولا يضر الغني.

الهوامش

١- محمد لطفي السيد مرعي، تدخل الدولة في مجال الأسعار والأجور في النظم الوضعية، www.f-law.net

٢- محمد لطفي السيد مرعي، المرجع نفسه.

٣- الأمر رقم ٠٣/٠٣ مؤرخ في ١٩ جمادي الأولى عام ١٤٢٤ الموافق ل ١٩ يوليو سنة ٢٠٠٣، يتعلق بالمنافسة، جريدة رسمية العدد ٤٣ لسنة ٢٠٠٣. المعدل والمتمم بالقانونين، القانون رقم ١٢/٠٨، مؤرخ في ٢١ جمادى الثانية عام ١٤٢٩، الموافق ٢٥ يونيو سنة ٢٠٠٨، يعدل ويتمم الأمر رقم ٠٣ /٠٣ المتعلق بالمنافسة، جريدة رسمية العددى ٣٦ لسنة ٢٠٠٨ والقانون رقم ١٠-٠٥ مؤرخ في ٥ رمضان عام ١٤٣١ الموافق ١٥ غشات سنة ٢٠١٠، يعدل ويتمم الأمر رقم ٠٣-٠٣ المتعلق بالمنافسة، جريدة رسمية العدد ٤٦ مؤرخة في ٨ رمضان عام ١٤٣١ الموافق ١٨ غشت ٢٠١٠.

٤- أنظر عبد الله خبابة، سياسة الأسعار في ظل العولمة الاقتصادية (حالة الجزائر)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، قسم علوم التسيير، السنة الجامعية ٢٠٠٥- ٢٠٠٦، ص ١٠.

٥- د محمد عباس ديوب، تسعير منتجات الشركات التي تمارس التسويق الدولي عبر الإنترنت، مجلة جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٨، العدد الأول، ٢٠٠٦، ص١٦٢.

٦- عبد الله خبابة، مرجع سابق، ص ١٣.

٧- نجية لطاش، مبدأ الشفافية في قانون المنافسة بالجزائر، رسالة ماجستير، فرع قانون الأعمال، كلية الحقوق بن عكنون، جامعة الجزائر، ٢٠٠٣/٢٠٠٤، ص ٢٣.

٨-أنظر د محمد علي عكاز، القيود الشرعية الواردة على حرية التجارة وأثرها في التنمية الاقتصادية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ص ٣١٤.

٩- د الحسيني سليمان جاد، التسعير في الفقه الإسلامي، مجلة **البحوث الفقهية المعاصرة**، العدد الثاني والعشرون، السنة السادسة سبتمبر ١٩٩٤ ص١٠.

١٠- أنظر الحسيني سليمان جاد، مرجع سابق، ص ١٠.

١١- رواه أحمد وبن ماجه والترميذي.

١٢- اشوالين محمد السنوسي، المنافسة الاقتصادية بين الشريعة والقانون، رسالة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠٠١/٢٠٠٢، ص ١٥٣.

١٣- أنظر في ذلك شوالين محمد السنوسي، المرجع نفسه، ص ١٥٤.

١٤- أنظر شوالين محمد السنوسي، المرجع نفسه، ص ١٥٤.

١٥- سنن الترمذي

١٦- أنظر في نفصيل ذلك، د محمد علي عكاز، مرجع سابق، ص من ٣١٦ إلى ٣٢٦.

١٧- أنظر شوالين محمد السنوسي، مرجع سابق، ص ١٥٤.

١٨- علاش أحمد، محفزات النشاط الاقتصادي في الإسلام، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة في الاقتصاد، تخصص تحليل اقتصادي، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير، ٢٠٠٥/٢٠٠٦، ص٣١.

١٩- محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، مركز فجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣.

٢٠- أنظر في نفصيل ذلك، د محمد علي عكاز، المرجع السابق، ص من ٣١٦ إلى ٣٢٦.

٢١- شمسية عبد الكريم الكفاوين، التنظيم القانوني للمنافسة التجارية في القانون الأردني، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير في الحقوق، قسم القانون الخاص، جامعة مؤتة، عمادة الدراسات العليا، الأردن، ٢٠٠٥، ص ١٧.

٢٢- ألياس بروك، نظام الأسعار في الجزائر، مداخلة ألقيت ضمن فعاليات ملتقى حول القانون الاقتصادي، من

تنظيم جامعة أبن خلدون، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، ص٣.

٢٣- أنظر لأكثر تفصيل للطلب وأنواعه خبابة عبد الله مرجع سابق، ص٤.

٢٤- خبابة عبد الله، المرجع نفسه، ص١٠.

٢٥- عبد الله خبابة، المرجع نفسه، ص١٠.

٢٦- أنظر خبابة عبد الله، المرجع نفسه، ص ١٢.

٢٧- د حسين الماحي، تنظيم المنافسة، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص ٥.

٢٨- د محمد عباس ديوب، تسعير منتجات الشركات التي تمارس التسويق الدولي عبر الانترنت، مجلة جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٨، العدد الأول، ٢٠٠٦، ص ١٦٣.

٢٩- شمسية عبد الكريم الكفاوين، مرجع سابق، ص ١٨.

٣٠- القانون ٠٢/٠٤ مؤرخ في ٥ جمادي الأولى عام ١٤٢٥ الموافق ل٢٣ يونيو سنة ٢٠٠٤، يحدد القواعد المطبقة على الممارسات التجارية، جريدة رسمية رقم ٤١ لسنة ٢٠٠٤. المعدل والمتمم بالقانون ٠٦/١٠ مؤرخ في ٥ رمضان عام ١٤٣١ الموافق ١٥ غشت ٢٠١٠، يعدل ويتمم القانون رقم ٠٤-٠٢ الذي يحدد القواعد المطبقة على الممارسات التجارية، جريدة رسمية العدد ٤٦ مؤرخة في ٨ رمضان عام ١٤٣١ الموافق ١٨ غشت ٢٠١٠.

٣١- صورية قابة، مجلس المنافسة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الحقوق، فرع قانون الأعمال، معهد الحقوق، جامعة الجزائر ٢٠٠٠/٢٠٠١، ص ١٣٦.

٣٢- الدكتور أحمد ملحم، التقييد الفقي للمنافسة مع التركيز على اتفاقات تحديد الأسعار، دراسة مقارنة، مجلة الحقوق، الكويت، العدد الرابع، السنة التاسعة عشر، ١٩٩٠، ص ٣٨.

٣٣- معين فندي نهار الشناق، الاحتكار والممارسات المنافية للمنافسة في ضوء قانون المنافسة الأردني والأمريكي والاتفاقيات الدولية، أطروحة دكتوراه، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، كلية الدراسات العليا القانونية، الأردن، ٢٠٠٧، ص ١٤٣.

٣٤- نوال براهيمي، الاتفاقات المحظورة في قانون المنافسة في الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الحقوق، فرع قانون الأعمال، كلية الحقوق بن عكنون، جامعة الجزائر، ٢٠٠٣/٢٠٠٤، ص ١٥.

٣٥- د أحمد ملحم، مرجع سابق، ص ٣٨.

٣٦- معين فندي نهار الشناق، مرجع سابق، ص ١٦٠.

٣٧- دعبد العظيم مرسي وزير، حماية المستهلك في ظل قانون العقوبات الاقتصادي في مصر، مجلة القانون والاقتصاد للبحوث القانونية والاقتصادية، السنة الثالثة والخمسون، ١٩٨٣، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٣، ص١١.

38- Christian Babusiaux. Article pour 10 e anniversaire de l.ordonnance du 1er décembre 1986 .Gaz.Pal.13 fév.1997.p6.

٣٩- د جمال محمود عبد العزيز، قانون التسعير الجبري وتحديد الأرباح رقم ١٢ لسنة ١٩٧١ وتعديلاته فراق أم تلاق لحماية المستهلك، المجلة القانونية والقضائية، وزارة العدل، مركز الدراسات القانونية والقضائية، قطر، السنة الثانية، العدد الأول، ٢٠٠٨، ص ٣٤٣.

٤٠- هذه صياغة المادة وفقا للتعديل الذي تم بموجب القانون ٠٨-١٢.

٤١- وفقا للتعديل الذي تم بموجب القانون ١٠-٠٦.

٤٢. وفقا للتعديل الذي تم بموجب القانون ١٠-٠٦.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

١٩- أخلاقيات القيادة الإدارية من منظور إسلامي

Administrative leadership ethics from An Islamic perspective

• د.أبوعجيلة حاجي أبوعجيلة حنيش

••د.محمد راضي إبراهيم

ملخص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أخلاقيات القيادة الإدارية من منظور إسلامي وذلك بدراسة كل من ماهية القيادة الإدارية، ومفهومها في الإسلام، وكذلك ماهية الأخلاق، ومفهومها في الإسلام، والشروط الواجب توفرها في القائد الإداري المسلم، وقد توصلت هذه الدراسة التي اعتمد الباحث فيها على المنهج الوصفي إلى مجموعة من النتائج منها: إن القائد الإداري المسلم لا بد أن يكون ملم بأخلاقيات الدين الإسلامي لأن ما يحمله هذا الدين من مضامين إنسانية وخلقية، ترقي بالإنسان، وتدعوه إلى حياة مشرقة ملأ بالفضائل والآداب، وكذلك إن تحقيق القائد الإداري المسلم لأهدافه مرتبط بمدى التزامه بالأخلاق التي أوجبها الإسلام، بغض النظر عن الوظيفة التي يشغلها سواء أكانت عليا أو ذات مرتبة دنيا.

• **أبوعجيلة حاجي أبوعجيلة حنيش:** طالب دكتوراة بكلية القيادة والإدارة بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية
البريد الإلكتروني: *henesh73@yahoo. com*

•• أ. د. **محمد راضي إبراهيم:** محاضر ونائب عميد كلية القيادة والإدارة بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية.

مقدمة

الحمد لله الهادي لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا هو، ولا يصرف سيئها إلا هو، أحمده تعالى وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث بالخلق القويم، والداعي إلى الصراط المستقيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، الذين تخلقوا بأخلاق القرآن، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، ونفذوا أوامره، واجتنبوا زواجره، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. إن الأخلاق في كل أمة عنوان مجدها، ورمز سعادتها، وتاج كرامتها، وشعار عزها وسيادتها، وسر نصرها وقوته. لقد بلغ من عِظَم مكانة الأخلاق في الإسلام أن حصر رسول الإسلام ﷺ مهمة بعثته، وغاية دعوته، بكلمة عظيمة جامعة، فقال فيما رواه البخاري في التاريخ وغيره: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ﴾، وفي هذا أكبر دليل وأنصع حُجة على أن رسالة الإسلام حققت ذروة الكمال، وقمة الخير والفضيلة والأخلاق.

مفهوم القيادة الإدارية وتعريفاتها

وعند محاولة تعريف القيادة نكتشف في الحال أن هذا المصطلح له معانٍ مختلفة. فقد وجد خلال الخمسين عاماً الماضية ما يقارب خمسة وستين نظاماً تصنيفياً تم تطويرها لتعريف أبعاد القيادة. فقد نظرت بعض التعريفات إلى القيادة على أنها التركيز على عمليات الجماعة، ومجموعة أخرى من التعريفات نظرت إلى مفهوم القيادة من خلال المنظور الشخصي، كما نظرت إليها مداخل أخري بأنها فعل أو سلوك القائد والذي يحدث تغييراً داخل الجماعة (Fieishma,1991).

وقد تطرق العديد من المفكرين والباحثين لموضوع القيادة وتنوعت التعريفات التي تناولت مفهومها، ومن أبرز هذه التعريفات ما يلي:

في حين عرفها (العجمي) بأنها «فن التعامل مع الطبيعة البشرية أو فن التأثير في السلوك البشري لتوجيه جماعة من الناس نحو هدف معين بطريقة تضمن طاعتهم وثقتهم واحترامهم وتعاونهم» (العجمي، ٢٠٠٨، ص٣٠).

في حين وعرفها (Elmore) بأنها «كل نشاط اجتماعي هادف يدرك فيه القائد انه مشترك مع جماعة يرعى مصالحها ويقدر عطاء أفرادها ويسعى إلى تحقيق المصالح العامة للمنظمة» (Elmore, 2002).

وعرف أيضاً (الطويل) القيادة بأنها «مجموعة من المفاهيم المتكاملة المتناغمة والمهارات الفنية والإنسانية والإدراكية التي لا بد من توافرها، إضافة إلى عوامل متداخلة تتصل بالبعد البنيوي للفرد المتعلق بشخصيته وقيمه واتجاهاته ودوافعه، التي تسهم في مجملها في بناء القائد الإداري» (الطويل، ٢٠٠٦، ص٢٤٧).

مفهوم القيادة في الإسلام

في الدين الإسلامي القيادة لا تختلف كثيراً عن مفهومها في الفكر الإداري المعاصر، فهي تحمل إحدى هذه المعاني:

١- الإمامة

تعني الإمامة (الإمام) بأنها القيادة والأهلية لأن يكون المرء قدوة، وتعني كذلك تنصيب الحاكم الأعلى للدولة إماماً لها أو رئيساً (الريس، ١٩٧٦، ص١٠٩). لكن ما يعنينا هنا المعنى القيادي للإمامة، إذ أنه لا بد لكل تجمع بشري، يريد أن يصل إلى هدف معين لا بد من وجود قيادة أو قائد.

والقيادة الشاملة هي قيادة الإمام: أي زعيم جماعة المسلمين والمشرف على إدارة هذا النظام القائم على دعامة الإسلام بكل ما ينطوي عليه (الريس، ١٩٧٦، ص١١٢).

قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٢٤)

٢- الولاية والرعاية

وتعني الولاية (القيادة) أيضاً في بعض معانيها قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً

بَصِيرًا*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..﴾(سورة النساء: ٥٨-٥٩)

وتعني القيادة في الإسلام في بعض معانيها ولاية أمر الرعية، عن ابن عمر عن أبيه- رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، والإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها...)) (أخرجه البخاري، في كتابه الوصايا، مج ٢، ص١٨٩).

٣- الإمارة

وتعني الإمارة (القيادة) بدليل قول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ..﴾ (سورة النساء: ٥٩).

(وكان رسول الله محمد ﷺ يبعث أمراءه في السرايا إلى الأقاليم ليعلموا الناس الإسلام في ديارهم ويفقهوهم دينهم، فالأمير كان بمنزلة القائد، حيث كانت كلمة (الأمير) متداولة للاستدلال بها على من يقع عليه الاختيار لهذا الأمر الذي اجتمعوا له) (الخطيب، د، ت، ص ٣٣٨).

إذاً القيادة في الإسلام، تحمل معاني الإمامة والولاية والرعاية، وتكون هذه في مجموعة أو تجمع من البشر، يقوم بها فرد يكون أكثرهم قدرة على تحمل المسؤولية في العمل، وهذا الجمع لا ينساق بشكل أعمى للقائد أو الإمام، ولكنه يتفاعل تفاعلاً إيجابياً مع إمامه أو واليه وراعيه أو أميره، فالقيادة: هي ذلك الموقع الذي يتحمل فيه امرؤ مشقته وتصريف الأمور لمجموعه من الناس، ويتحمل مسؤولية ذلك كله، بكامل الإخلاص والأمانة، للوصول بهم والتفاعل معهم إلى الأهداف المنشودة.

الأخلاقيات

مقدمة

يتميز العصر الذي يعيشه الإنسان اليوم، بصفات وخصائص تميزه عما سبق من عصور، إذ تشيع في هذا العصر غلبة النزاعات المادية، وسيطرتها على كثير من مجالات الحياة وأنشطتها، دون مراعاة لأي قيم روحية أو أخلاقية، مما ترتب عليه تضاؤل أهمية القيم الخلقية، في العالم أجمع (السيد، ١٩٨٥، ص٣٢٥).

وعليه فقد تزايد الاهتمام بالأخلاقيات خلال العقود الثلاث الأخيرة من القرن الماضي وذلك بسبب الممارسات الغير أخلاقية التي يمارسها بعض من القادة والعاملين، مثل قضايا الاستهتار بالقوانين، انعدام الضمير، الرشوة والمحسوبية، الفضائح الأخلاقية، إساءة استخدام السلطة وغيرها من الممارسات، كل هذه الممارسات الغير أخلاقية ما كانت لتظهر لو لم نبتعد عن مكارم الأخلاق التي وردت في ديننا الإسلامي (العتيمين، ١٩٩٤، ص٤٢).

ومن هنا فالأخلاق أمر لاغني عنه، لأنها ضرورية لتحقيق السعادة للإنسان وبدونها لا يمكن أن تسير الحياة السير الصحيح. فالأخلاق تزكي النفس وتطهرها. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (سورة الشمس: ٩).

مفهوم الأخلاق

تعددت مصادر الأخلاق ومفهومها لدى الناس، في حين اهتم الباحثون اهتماماً كبيراً بها لما لها من أهمية في وصف حالة النفس الخيرة، ودورها الكبير في المحافظة على التوازن لدى الإنسان، وحماية نفسه من الآخرين ومن نفسه، وما زالت الدراسات والأبحاث تتوالى عن موضوع الأخلاق قديماً وحديثاً، وقد نبهت كل الأديان السماوية على أهميتها، وحرصت الأنظمة الوضعية على ذكرها في بنود دساتيرها وأنظمتها في كل مجالات الحياة والعمل، لأهميتها وضرورتها للأفراد والجماعات.

أما فيما يتعلق بمفهوم الأخلاق في الأدب الإداري فهناك عدة تعريفات يمكن إجمالها بالنقاط التالية:

١- الأخلاق هي عبارة عن سلوك يستند إلى مجموعة من القيم والأعراف والتقاليد التي يتفق أو يتعارف عليها مجتمع ما حول ما هو خير وعدل في تنظيم أمورهم (ياغي، ١٩٩٥).

٢- ضرورة التزام القائد الإداري أو الموظف بواجباته كما حددها القانون وتتمثل في: احترام الأنظمة والقوانين، القيم والعادات، العدالة وعدم التحيز، احترام الوقت والتقيد بالدوام، والعمل من أجل المصلحة العامة (غوشة، ١٩٨٣).

٣- هي مجموعة القواعد والأسس التي يجب على القائد الإداري أو الموظف التمسك بها والعمل بمقتضاها، ليكون ناجحاً في تعامله مع الناس(ناجي، ١٩٩٤). ومن وجهة نظر الباحث هي المسؤولية والأمانة التي تحكمها وتوجه مسيرتها مصادر القيم الدينية والوطنية والقومية.

الأخلاق من منظور إسلامي

مقدمة

إن الضوابط التي وضعت للسيطرة على سلوك الفرد (القائد الإداري) أو الموظف العام، لا تختلف عن تلك التي سيحاسب عليها في سلوكه الخاص، وذلك لأن الفرد المسلم في حياته العامة أو الخاصة أو الوظيفية، يهدف إلى تحقيق هدف نهائي أسمي هو مرضاة الله سبحانه وتعالى ومن جهة أخرى، فإن تحقيق الأهداف وفق مبادئ القيادة في الإسلام، يرتبط بمدى الالتزام بالأخلاق التي أوجبها الإسلام، بغض النظر عن هذه الوظيفة التي يشغلها الموظف سواء كانا وظيفة عليا أو ذات مرتبة دنيا (ياغي، ٢٠٠١، ص١٥).

مفهوم الأخلاق من منظور إسلامي

إن مفهوم الأخلاق في الإسلام كان أشمل وأعم من كل التعاريف السابقة، سواء لدى علما النفس أو الاجتماع، أو في المعنى الإداري، فالأخلاق في الإسلام منهج عملي وليس نظرية فلسفية، فعندما سئلت السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن خلق النبي ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن (أخرجه الشيباني، كتابه المسند، ١٩٨، ص٩١). أما تقرأ في القرآن قول الله عز وجل ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(سورة القلم: ٤).

ويعامل الإسلام مفهوم الأخلاق على أنها أمر فردي واجتماعي، يعمل على ضبطه وتنظيمه، فلا تطغى مصلحة الفرد على الجماعة، بل يتم التوفيق بينهما، قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(سورة التوبة: ٧١). كما إن الإسلام لا يقر نظرة علم الاجتماع للأخلاق، وأن الفرد لا بد أن يعكس المبادئ الأخلاقية في مجتمعه بغض النظر عن مدى صحتها، بل إن الإسلام يأمره برفض هذا الوضع، والسعي لتغييره، قال عليه الصلاة والسلام: **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان** (أخرجه النيسابوري، كتابه صحيح مسلم، ٢٦١هـ، ص٦٩).

ويجعل النبي ﷺ مقياس بين المؤمنين في تفاضل اختلاقهم، حيث يقول: «إن خياركم أحسنكم أخلاقاً» (أخرجه البخاري، كتابه الجامع الصحيح، ١٩٨٧، ص٢٢٤٥).

ولذلك يحض النبي محمد ﷺ المسلمين على التحلي بالخلق الحسن قارناً إياه بالإيمان، فقد قال عليه الصلاة والسلام حين سئل: **أي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: «أحسنهم خلقاً»**(أخرجه البستي، كتابه صحيح ابن حيان، ٢٧٠هـ، ص٢٢٧).

الأخلاق الواجب توفرها في القائد الإسلامي

من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية، وأقوال العلماء في الأخلاق وفي علم تهذيب النفس، فقد لخص الباحث مجموعه من النقاط التي يمكن أو الواجب أن تصلح لتكون أخلاقا للقيادة الادارية المسلمة، وهي أيضاً صالحة لغير القيادة الإدارية وهي:

١- **الإخلاص لله تعالى**: قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(سورة الزمر: ٦٥). وقال عليه الصلاة والسلام- فيما يرويه عن رب العزة سبحانه وتعالى: (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**)(أخرجه النيسابوري، كتابه صحيح مسلم، ٥٢٦١، ص٢٢٨٩).

٢- **احترام دين الله والالتزام بالسنه النبوية**: قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ**﴾(سورة الحج: ٣٠). وقال عليه الصلاة والسلام: (**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي**)(أخرجه البخاري، كتابه الجامع الصحيح، ١٩٨٧، ص٢٦٥٥).

٣- الأمانة والقوة

أ - **الأمانة**: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(سورة الأنفال: ٢٧). وقال رسول الله ﷺ، فيما جاء في صفات المنافقين قائلاً: (**آية المنافق ثلاث، إذا حدث كدب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد خلف**)(أخرجه البخاري، كتابه الجامع الصحيح، ١٩٨٧، ص٢١).

ب- **القوة**: قال تعالى: ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾(سورة القصص: ٢٦). وحيث جاء أبو ذر إلى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يستعلمه على أمر من أمور المسلمين، فضرب بيده على منكبه، ثم قال: (**يا أبا ذر إنك ضعيف إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخدها بحقها وأدى الذي عليه فيها**)(أخرجه النيسابوري، مرجع سابق، ٥٢٦١، ص١٤٥٧).

٤- **العدل والمساواة:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾(سورة النحل: ٩٠). وقال الرسول ﷺ: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما ولوا) (أخرجه النيسابوري، مرجع سابق، ٥٢٦١، ص١٤٥٨).

٥- **التواضع وعدم التكبر:** قال تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾(سورة الأعراف: ١٤٦). وقال رسول الله ﷺ: (**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد**) (أخرجه النيسابوري، مرجع سابق، ٥٢٦١، ص٢١٩٨).

٦- **الإستقامة:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾(سورة فصلت: ٣٠). وقال رسول الله ﷺ لرجل جاء يسأله قائلاً: يا رسول الله قلي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: (**قل آمنت بالله ثم استقم**) (أخرجه النيسابوري، مرجع سابق، ٥٢٦١، ص٦٥).

٧- **المشاورة والمشاركة في الأمور:** قال تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾(سورة الشورى: ٣٨). قال تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾(سورة آل عمران: ١٥٩). وقال رسول الله ﷺ: (المستشار مؤتمن) (أخرجه الحاكم، كتابه المستدرك على الصحيحين، ١٩٩٠، ص ١٤٥).

٨- **تحمل المسؤولية:** قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(سورة البقرة: ٦٣). وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته. قال: وحسبت أن قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته**) (أخرجه البخاري، مرجع سابق، ١٩٨٧، ص٣٠٤).

٩- **الصبر وتحمل الصعوبات:** قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾(سورة البقرة: ١٥٣). وعن أبي سعد الخدري أن وناساً من الأنصار سألوا رسول الله عليه الصلاة والسلام، فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفد ما عنده قال: (**ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنيه الله، ومن يصبر يصبره الله**) (أخرجه البخاري، مرجع سابق، ١٩٨٧، ص٢٣٧٥).

١٠- **حسن الخطاب والتعامل:** قال تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً**﴾(سورة الإسراء: ٥٣). وعندما سئل الرسول ﷺ، أي الإسلام خير؟ قال: (**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**) (أخرجه البخاري، مرجع سابق، ١٣، ص٢٣٧٥).

١١- **احترام الآخرين وعدم انتقاصهم:** قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(سورة الحجرات: ١١). عن أبي هريرة رضي الله عنه واصفاً الرسول عليه الصلاة والسلام، قال: **لم يكن أحد يأخذ بيده فينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو يرسله، ولم يكن يرى ركبته خارجة ركبة جلسته، ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه، ثم لم يصرفه حتى يفرغ من كلامه** (أخرجه الطبراني، كتابه المعجم الأوسط، ١٤١٥هـ، ص ٢٩٨).

١٢- **الرحمة وبشاشة الوجه:** قال تعالى: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾(سورة المائدة: ٥٤). وقال رسول الله ﷺ: (**تبسمك في وجه أخيك صدقة**) (أخرجه البستي، مرجع سابق، ٢٧٠هـ، ص٢٢١).

١٣- **الرفق وترك الغلظة والشدة:** قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾(سورة آل عمران: ١٥٩). وقال الرسول ﷺ: (**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فأشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به**) (أخرجه النيسابوري، ٥٢٦١، مرجع سابق، ص١٤٥٨).

١٤- **الصفح عن السيئات:** قال تعالى: ﴿**وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى**

اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الشورى: ٤٠). وقال رسول الله ﷺ: (**ثلاث من كن حسابه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته. قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: تعطي من حرمك، وتعفوا عمن ظلمك، وتصل من قطعك. قال: فإذا فعلت ذلك فما لي يا رسول الله؟ قال: أن تحاسب حساباً يسيراً ويدخلك الله الجنة برحمته**) (الحاكم، ١٩٩٠، مرجع سابق، ص ٥٦٣).

١٥- **النصح في التعامل والتوجيه:** قال تعالى: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾(سورة الأعراف: ٦٨). وقال الرسول ﷺ: (**الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**) (أخرجه النيسابوري، ٥٢٦١، مرجع سابق، ص٧٤).

١٦- **الصلح بين الناس:** قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾(سورة الحجرات: ١٠). وقال رسول الله ﷺ: (**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا بلى. قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة**) (أخرجه الشيباني، كتابه المسند، ٧١٩٨، ص٤٤٤).

١٧- **الوفاء بالعهد:** قال تعالى: ﴿**وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً**﴾(سورة الإسراء: ٣٤). وقال رسول الله ﷺ: (**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**) (أخرجه البخاري، ١٩٨٧، مرجع سابق، ص٢١).

١٨- **الابتعاد عن ظن السوء والتجسس:** قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾(سورة الحجرات:١٢). وقال رسول الله ﷺ: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسبوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً) (أخرجه البخاري، ١٩٨٧، مرجع سابق، ص١٠٠٩).

وبناء على ما ذكر سابقاً من الأخلاقيات الإسلامية الواجب توفرها في القيادة الادارية والتي يمكن أن تعتمد للقيادة الادارية، مما يرتقي بأسلوب التعامل فيها، ويجعل القائد أكثر تأثيراً وأفضل أداء.

نتائج الدراسة

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج ومنها ما يلي:

١- إن القائد الإداري المسلم لا بد أن يكون ملم بأخلاقيات الدين الإسلامي لان ما يحمله هذا الدين من مضامين إنسانية وخلقية، ترقي بالإنسان، وتدعوه إلى حياة مشرقة ملأ بالفضائل والآداب.

٢- إن تحقيق القائد الإداري المسلم لأهدافه مرتبط بمدى التزامه بالأخلاق التي أوجبها الإسلام، بغض النظر عن الوظيفة التي يشغلها سواء أكانت عليا أو ذات مرتبة دنيا.

٣- إن الأخلاق في الإسلام منهج عملي وليس نظرية فلسفية، فعندما سئلت السيدة عائشة - رضي الله عنها- عن خلق الرسول ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن).

٤- إن القيادة في الإسلام هي السلوك الذي يمارسه القيادي لفهم الأفراد، والتعامل معهم في ضوء قدراتهم وإمكانياتهم وطاقاتهم، وهي عملية ديمقراطية إنسانية تقوم على التعاون، والمحبة، والعدل. وكذلك هي القدرة على وضع إطار لعمل الأفراد والجماعات وبناء الثقة وتعظيم الروح المعنوية لمجموعة العمل لتحقيق الأهداف المنشودة.

وقد توصل البحث إلى بعض من التوصيات وهي:

١- ضرورة عمل أو تطوير ميثاق أخلاقي أو دليل أخلاقي للقادة الإدارين يشرك في صياغته الاختصاصيون في دوائر الدول، ومن لهم خبرات طويلة في الحقل الإداري تكون منسجمة مع قيم، وعادات، وتقاليد مجتمعنا، ومبادئ ديننا الإسلامي.

٢- أن يُقبِل واضعو السياسات الإدارية في المجتمعات العربية والإسلامية على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تمعناً وتحميضاً لبيان ماهية الأخلاقيات القيادية ومدى إمكانية الاستفادة منها في تطوير وتطبيق الأساليب القيادية العامة، والقيادية الإدارية بصورة خاصة.

٣- تدريس مساق بعنوان «أخلاقيات القيادة في الإسلام» في الأقسام الإدارية في المدارس والجامعات العربية والإسلامية.

المراجع

- القرآن الكريم.
- الحديث الشريف.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٩٨٧، **الجامع الصحيح**، ط٣، تحقيق: مصطفى ذيب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ودار اليمامة.
- البستي، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، (٢٧٠هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ١٩٩٣، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، ١٩٩٠، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الخطيب، عبد الكريم، **الخلافة والإمامة**، القاهرة، مطابع دار الكتاب العربي مصر، د، ت.
- الريس، محمد ضياء الدين، (١٩٧٦)، **النظريات السياسية الإسلامية**، ط ٦، القاهرة، مكتبة دار التراث.
- السيد، فؤاد البهي، (١٩٨٥)، **علم النفس الاجتماعي**، القاهرة، ط٢، دار الفكر العربي.
- الشيباني، احمد بن حنبل ١٦٤- ٢٤١هـ، ١٩٨٧، **المسند**، القاهرة، مؤسسة قرطبة.
- صحيح البخاري، **كتاب الوصايا**، مجلد ٢، ح٣، باب ٩.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن احمد، (١٤١٥هـ)، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين.
- الطويل، هاني عبد الرحمن، (٢٠٠٦). **أبدال في إدارة النظم التربوية وقيادتها: الإدارة بالإيمان**، عمان: الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي.
- العتيمين، فهد بن عبد العزيز، (١٩٩٤)، **أخلاقيات الإدارة في الوظيفة وتطبيقها في المملكة العربية السعودية**، ط٢، لبنان، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- العجمي، محمد حسنين، (٢٠٠٨). **الإدارة والتخطيط التربوي النظرية والتطبيق**، ط١، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- غوشة، زكي راتب، (١٩٨٣)، **أخلاقيات الوظيفة في الإدارة العامة**، الأردن، عمان، المؤلف.
- ناجي، غسان، (١٩٩٤) **مدى التزام موظفي الخدمة المدنية في الوزارات الأردنية بأخلاقيات الوظيفة العامة**، عمان، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، ٢٦١هـ، **صحيح مسلم**، لبنان، بيروت، دار ابن حزم.
- ياغي، محمد عبد الفتاح، (٢٠٠١)، **الأخلاقيات في الإدارة**، الأردن، عمان، مكتبة اليقظة للنشر والتوزيع.
- ياغي، محمد عبد الفتاح، (١٩٩٥)، **الأخلاقيات في الإدارة**، الأردن، عمان، مركز أحمد ياسين.
- Fieishman, E, A, Mumford, M, D, Zaccaro, S, l, Levin, K, Y, Korotkin, A, L & Hein, M, B,. (1991). Taxonomic efforts in the description of leader behavior: A synthesis and functional interpretation. Leadership Quarterly, 2(4), 245-287.
- Elmor, R. (2002). Hard Questions about Practice, Educational Leadership, 8, 22-25.

SCR LONDON
Social Consultancy & Research London

٢٠- الهدي النبوي في التعامل مع الشباب
Prophet counseling in dealing with youths

• د. أسماء خليفة الشبول

ملخص البحث

هدف هذا البحث إلى بيان جوانب الهدي النبوي في التعامل مع الشباب، ولتحقيق هدف البحث استخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يُعنى بتتبع الأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع البحث ثم تحليلها إلى جوانب متعددة تعبر عن الموضوع، وعليه تم تقسيم البحث إلى محورين رئيسيين: الأول إشباع الحاجات النفسية للشباب، ويشمل: الحاجة إلى الحب والعطف، والحاجة إلى التقدير والاحترام، والحاجة إلى الأمن والطمأنينة. والثاني: فن توجيه طاقات الشباب ويشمل: تنمية مواهب الشباب، وإرشاد الشباب إلى ما ينفهم، وتولية الشباب المسؤوليات. ومن أبرز استنتاجات البحث أن النبي عليه السلام قدم منهجاً فريداً في التعامل الحكيم مع الشباب بما يكفل حسن توجيههم واستثمار طاقاتهم.

Abstract

This research aimed at revealing the aspects of prophet counseling in dealing with youth, In order to achieve this purpose, the researcher used the readable analytical method which traces the matter then, analyzing them so, this research was divided in to two primary parts: the first one is meeting the psychological needs for youth, which includes: the need for love, the need of estimate and honor, the need for safety. The second one is guiding and directing the youth abilities, which include: developing the youth interests, guiding the youth to what they need, and giving them responsibilities. The research concludes that our prophet presented a unique method in wise dealing with youth that result in a good manner of guiding them and investing their abilities.

• جامعة اليرموك/الأردن، البريد الإلكتروني: *asmashboul@yahoo.com*

المقدمة

كرَّم الله ﷻ الإنسان، وفضله على سائر مخلوقاته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[الإسراء: ٧٠]، ولقد شمل هذا التكريم الإلهي الاهتمام بالإنسان في جميع مراحل حياته.

ومرحلة الشباب هي أهم مرحلة في حياة الإنسان، فهي مرحلة القوة والصحة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، وقد أشار القرآن الحكيم إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]

والشباب في الحقيقة يمثلون أمل الأمة ومستقبلها، وهم رجال الغد الذين سيحملون مسؤولية النهوض بالوطن في شتى الميادين، فأكثر من كان بين ظهراني النبي ﷺ هم فئة الشباب، ولذلك استطاع النبي ﷺ أن يصنع من ذلك الجيل جيلاً قيادياً فريدًا. وعليه يجب استثمار هذه المرحلة الحاسمة من عمر الإنسان بأفضل صورة، وأحسن طريقة لتحقيق الأهداف والغايات في الدنيا والآخرة. وتزداد هذه المسؤولية عندما نعلم بما يواجهه شباب اليوم من حملات موجهة ومخططة من قبل وسائل الإعلام الفاسد... وكلها تهدف إلى إفساد الشباب المسلم، وإبعاده عن دينه وقيمه وأخلاقه، ونشر التحلل الأخلاقي، والميوعة السلوكية لدى جيل الشباب.

وقد قدم النبي عليه الصلاة والسلام في اهتمامه بالشباب أنموذجاً فريداً لا يمكن للباحثة أن توفي به في هذه العُجالة، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جُله. وعليه جاء هذا البحث لتناول محورين أساسيين من الهدي النبوي في التعامل مع الشباب هما: الأول: إشباع الحاجات النفسية للشباب، والثاني: فن توجيه طاقات الشباب، إذ عمد النبي عليه السلام إلى إشباع حاجات الشباب النفسية بما يكفل لهم شخصية إيجابية مرنة قادرة على الإنجاز والإبداع، ثم قدم لهم برامج عملية تتناسب مع الطاقة المفعمة عندهم، وبما يكفل توظيفها واستثمارها.

ويشير ذلك إلى دلالة تربوية عظيمة تتجلى في أن إشباع حاجات الإنسان شرط سابق على توجيهه وإرشاده، كما يفسر أيضاً سبب هجرة العقول من البلاد غير المحتضنة للمواهب والإبداع إلى البلاد المتحتضنة لها.

المحور الأول: إشباع الحاجات النفسية للشباب

لا شك أن الفرد يولد مزوداً بحاجات فطرية كالحاجة إلى الطعام والنوم والجنس وغيرها، وحاجات نفسية كالحاجة إلى الحب والانتماء والأمن والتقدير وغيرها. ويعتمد إشباع هذه الحاجات على البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد، والثقافة التي يتفاعل معها (يونس وآخرون، ١٩٩٦).

وتعد هذه الحاجات ضرورة إنسانية من أجل تحقيق عملية التنشئة الاجتماعية والإندماج الإجتماعي، والتكيف في سبيل تحقيق الشخصية السوية غير المضربة.

وأن إشباع الحاجات النفسية هو المدخل الرئيسي لإحداث التوازن لدى الشاب من الناحية الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية فهي تقود الشاب للتوافق مع نفسه ومع البيئة من حوله، كما تمده بالطاقة والحيوية وتجعل له هدفًا. وإن عدم إشباعها يؤدي إلى مشكلات سلوكية واضطرابات نفسية تعيق عملية توجيهه واستثمار طاقاته.

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في اشباع حاجات الشباب النفسية، مما حبب الشباب إليه وألفهم عليه، ومن الأمثلة على تلك الحاجات النفسية:

- الحاجة إلى الحب والعطف:

وهي من أهم الحاجات النفسية لبناء شخصية سوية للشاب، وعدم إشباع هذه الحاجة يؤدي إلى انعدام الأمن وعدم الثقة بالنفس، فيصعب على الشاب التكيف مع الآخرين ويصاب بالقلق والانطواء والتوتر، بل يعدّ الحرمان من الحب أهم أسباب الإصابة بمرض الاكتئاب في المستقبل وقد يصبح عنده فراغ عاطفي (عبد الباقي، ١٩٨٠) يجعله مستعداً للتعلق بالآخرين، والتعلق يتخذ صوراً كالإعجاب والحب المفرط المؤدي إلى العشق المحرم والشذوذ الجنسي.

فقد كان ﷺ كثيراً ما يلامس عواطف الشباب، ويستقصي أحوالهم، يجدونه بجوارهم عند أفراحهم مهنئًا، وعند أحزانهم مواسيًا، يمد يده بالمساعدة، لا يبخل عليهم بوقت ولا جهد ولا مال، يستمع إلى مشاكلهم، ويسعى في حلها.

فهذا رسول الله يرى جابر بن عبد الله مهموماً حزيناً على قتل والده يوم أحد، فقال له: «يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا، قَالَ: أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟ قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَداً قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لاَ يَرْجِعُونَ، قَا لَ: يَا رَبِّ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾»(الترمذي، رقم الحديث ٣٠١٠). وفي هذا دلالة على ضرورة تفهم أحوال الشباب، وأهمية رصد أي تغير في أحوالهم.

كما اتخذ النبي عليه السلام حبّ له من الشباب وهو زيد بن ثابت حتى عُرف بحبّ النبي عليه السلام، في هذا يقول عليه السلام في زيد بن ثابت: (وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لأَحَبَّهُمْ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوصِيكُمْ بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ) (مسلم، رقم الحديث ٦٤١٨).

- الحاجة إلى التقدير والاحترام:

وإشباع هذه الحاجة يعني قَبوله اجتماعياً وزرع الثقة به واكتساب ثقته، وتثبيته في مواقف الشدائد كما فعلت خديجة رضي الله عنها عندما رجع إليها الرسول ﷺ حينما نزل عليه جبريل أول مرة فقال لها: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي). فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) (البخاري، رقم الحديث ٣)، إنها كلمات من التقدير من السيدة خديجة إلى زوجها ﷺ ثبتت بها قلبه وطمأنته وثبتت فيه الثقة بالنفس في هذا الموقف الشديد الجديد.

وكذلك الحال بالنسبة للشاب، إن شعوره بالتقدير والاحترام من قبل بيئته الاجتماعية يدفعه إلى استثمار طاقاته لصالح مجتمعه (الزعبلاوي، ١٩٩٦).

ولقد علمنا النبي ﷺ احترام الشباب وتقديرهم، وغرس الثقة فيهم، فقد أُتِيَ النَّبِيَّ ﷺ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، فَقَالَ لِلْغُلامُ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاءِ». فَقَالَ الْغُلامُ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا. قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي يَدِهِ (مسلم، رقم الحديث ٥٤١٢).

فلننظر كيف استطاع النبي ﷺ باحترامه وتقديره للغلام أن جعل منه نجماً من نجوم الأمة، وهذا الغلام هو عبدالله ابن عباس - حبر الأمة-.

- الحاجة إلى الأمن والطمأنينة:

الحاجة إلى الأمن والطمأنينة من الحاجات النفسية الأساسية اللازمة للنمو النفسي السوي للشاب، إذ أن اشباعها يساعد على تنمية شخصية الشاب ويجعله قادراً على تحمل المسؤولية والاعتماد على الذات في مواجهة الموقف.

فقد تبين من دراسات عديدة أن الشباب الآمنين متفائلون سعداء متوافقون مع مجتمعهم مبدعون في أعمالهم ناجحون في حياتهم، في حين كان الشباب غير الآمنين قلقين متشائمين، معرضين للانحرافات والأمراض النفسية (جودة، ١٩٩٨).

فقد عني النبي عليه السلام بإشباع هذه الحاجة لدى الشباب عناية فائقة من خلال حرصه على تربية التربية الإيمانية الصحيحة؛ لأن الدين «له أثره الواضح على النمو النفسي والصحة النفسية، والعقيدة حين تتغلغل في النفس تدفعها إلى سلوك إيجابي، والدين يساعد الفرد على الاستقرار، والإيمان يؤدي إلى الأمان، وينير الطريق أمام الفرد في طفولته، عبر مراهقته إلى رشده، ثم شيخوخته» (محمد، ١٤٢٥هـ).

ونستشهد على ذلك قوله عليه السلام لابن عباس: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) (الترمذي، رقم الحديث ٢٥١٦).

والمتأمل في هذا الحديث يخرج بالقاعدة الذهبية التي ينطلق من خلالها الشاب حراً منعتقًا، واثقاً مطمئنًا، فكان التوجه إلى الداخل النفسي إصلاحاً وبناءً، وسيكون صداه بناءً خارجيًا، متيناً وقوياً وصالحًا.

وهذا التوجه، وهذه المعرفة اليقينية، تبني في شخصية الشاب: الثقة، والحرية، والاستقلال، والقوة، فالعبودية لله وحده، تخرجه من عبودية البشر، وتجعله ذا نفس قانعة راضية، حرَّة أبية، لا تستكين لظلمٍ، أو تخضع لظالم.

المحور الثاني: فن توجيه طاقات الشباب

بعد إشباع النبي عليه السلام الحاجات النفسية للشباب عمد إلى إخراج تلك الطاقات الكامنة في نفوسهم وتوظيفها فيما يخدم المجتمع والأمة، واستثمار مواهبهم الإبداعية في التطوير والتقدم، لأنهم عماد أي تقدم، وسر نهضة الأمم، وقوة أي مجتمع، وحقق ذلك من خلال:

- **تنمية مواهب الشباب:**

الموهبة نعمة من الله وفضل ويكتمل نضجها بعوامل مكتسبة من أهمها البيئة الصالحة، والعناية بأسباب صَقْلها كالتعليم والتدريب.

ومن صور اكتشاف النبي عليه السلام لمواهب الشباب وتنميتها اكتشافه لموهبة عبد الله بن رواحة في الشعر، فقال له في مجلس يوماً متسائلاً في تعجب: «يا عبد الله، كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول؟»، ولم يكتفي بهذا بل نمّى هذه الموهبة بجعله ﷺ الإعلاميّ الذي يحمِّس الناس بشعره (الشويعر، ١٤٠٦هـ).

ومما يدل على حرصه عليه السلام على اكتشاف المواهب وتنميتها بطريقة صحيحة، بعد فتح مكة أمر الرسول ﷺ بلالاً أن يصعد فوق الكعبة ويؤذن، فأذن بلال أول أذان، وفي أثناء ذلك أخذ بعض مشركي قريش يستهزئون ويقلدون صوت بلال غليظاً، وكان من جملتهم [أبو محذورة] الجمحي [سلمة بن معير] وكان أحسنهم صوتًا، فلما رفع صوته الأذان مستهزئًا، سمعه رسول الله ﷺ فأمر به فمثل بين يديه، وهو يظن أنه مقتول، فمسح على

ناصيته – مقدمة رأسه – وصدره بيده الشريفة، قال أبو محذورة: فامتلأ قلبي ايماناً ويقيناً فعلمن أنه رسول الله – ﷺ – فألقى عليه الرسول – ﷺ – الأذان وعلمه إياه، وأمره أن يؤذن لأهل مكة وكان عمره ١٦ عاماً (ابن حنبل، رقم الحديث ١٥٤١٣). وتبين كيف أن النبي عليه السلام نمّى موهبة ابي محذورة – وهي جمال الصوت – بعد اكتشافها بأن أدخله في دورة تدريبية مكثفة تعلم فيها كيف يؤدي الأذان بطريقة صحيحة ثم بعد أن علمه الأذان وجهه وبشكل سريع في وظيفة تحافظ وتنمي هذه الموهبة أن عيّنه مؤذن أهل مكة.

- إرشاد الشباب إلى ما ينفهم:

لا شك في أن الشباب بحاجة مستمرة إلى تربية وتوجيه وإرشاد إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة؛ لما في مرحلة الشباب من ميل للشهوة، وإظهار للفتوة، وكسل عن الطاعة.

ولقد كان للنبي ﷺ منهج فريد في القرب من الشباب، ومحاكاة عقولهم، وتوجيههم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، وذلك بتقريبهم من الطاعات، وإبعادهم عن المحرمات، بخطاب يناسب أحوالهم، ويراعي الفوارق بينهم.

فكان النبي عليه السلام يغرس في قلوب الشباب الإيمان، ويربيهم على العلم مع العمل، ويتعاهدهم عند بلوغهم؛ لأنه سن التكليف، وكأن هذا الفعل منه عليه السلام كان عاما مع الشباب؛ يؤكد ذلك حديث جُنْدُب بن عبد اللَّه قال: «كنا مع النبي ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قبل أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»(ابن ماجه، رقم الحديث٦١).

وأثمرت هذه التربية الإيمانية في المدينة النبوية شبابا متطلعا للآخرة، عاملاً لها، نافعاً لنفسه ولأمته، يقوم بواجبه تجاه أهله، ويتفانى في خدمة غيره، يدل على ذلك حديث أَنَس بن مَالك ﷺ قال: (كان شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سَبْعِينَ رَجُلاً يقال لهم الْقُرَّاءَ، كَانُوا يَكُونُونَ فِي الْمَسْجِدِ فإذا أَمْسَوْا انْتَحَوْا نَاحِيَةً مِنَ الْمَدِينَةِ فَيَتَدَارَسُونَ وَيُصَلُّونَ، يَحْسِبُ أَهْلُوهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْسِبُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ أَنَّهُمْ فِي أَهْلِيهِمْ حتى إذا كَانُوا فِي وَجْهِ الصُّبْحِ اسْتَعْذَبُوا مِنَ الْمَاءِ وَاحْتَطَبُوا مِنَ الْحَطَبِ فجاؤوا بِهِ فَأَسْنَدُوهُ إلى حُجْرَةِ رسول اللَّهِ ﷺ فَبَعَثَهُمُ النبي ﷺ

جَمِيعاً فأصيبوا يوم بِئْرِ مَعُونَةَ فَدَعَا النبي ﷺ على قَتَلَتِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً في صَلاَةِ الْغَدَاةِ) (بن حنبل، رقم الحديث ١٣٤٨٧)

وفي إطار حرص النبي عليه السلام على تأديب الشباب، ولعلمه عليه السلام أن الشباب في هذه المرحلة أحوج ما يكون إلى النصيحة والإرشاد فإنه يوصيهمبا بإستغلال شبابهم في العمل الصالح الذي يقربهم من الله سبحانه وتعالى؛ لأنه يجتمع لهم من النشاط والقوة وصفاء الذهن والصحة والفراغ ما لا يجتمع لغيرهم.

عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته فقال: ((سل)) فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: ((أو غير ذالك؟)) قلت: هو ذاك. قال: ((فأعني على نفسك بكثرة السجود)) (مسلم، رقم الحديث ١١٢٢).

- **تولية الشباب المسؤوليات:**

إن تكليف الشباب بالقيام بأعمال ومسؤوليات، والاعتماد على قدراتهم وإمكاناتهم ومواهبهم، وسيلة مهمة لاستيعابهم، والاستفادة مما لديهم من مواهب وطاقات وإمكانات كبيرة في خدمة المجتمع والأمة.

وهذا الأسلوب انتهجه الرسول الأكرم مع الشباب، فأعطاهم مسؤوليات كبيرة، واعتمد على قدراتهم في تثبيت دعائهم الإسلام؛ لما كانوا يتمتعون به من الكفاءة واللياقة المطلوبة من حيث العقل والفكر والذكاء والإيمان والعلم والأخلاق والتدبير، ومن الأمثلة على ذلك:

- إن أول مبلغ بعثه النبي عليه السلام لنشر الإسلام في المدينة المنورة كان مصعب بن عمير، وكان عندئذٍ في ريعان شبابه. وقد استطاع مصعب بالرغم من حداثة سنه أن يقنع الكثير من الناس في المدينة المنورة بالإسلام.

- بعد فتح مكة بفترة زمنية قليلة، اضطر الرسول عليه السلام للخروج منها بجيشه، والتوجه نحو جبهة القتال، وكان لا بد من تعيين قائد لمكة لإدارة شؤونها، وقد اختار النبي عليه السلام، من بين جميع المسلمين شاباً لم يتجاوز الواحد والعشرين عامًا، وهو (عتاب بن أسيد) كقائد لمكة المكرمة في ظل غيابه عليه السلام.

- في أواخر حياة النبي ﷺ، جهز المسلمين لقتال الروم، وضم جيشه كبار الضباط وأمراء الجيش ورجال المهاجرين والأنصار وشيوخ العرب والشخصيات البارزة آنذاك، وعيّن الرسول الأعظم أسامة بن زيد قائداً للجيش وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عامًا، بالرغم من وجود كبار القوم في هذا الجيش.

استنتاجات البحث وتوصياته

- قدم النبي ﷺ منهجا فريداً في التعامل الحكيم مع الشباب، وبهذا استطاع عليه السلام أن يربي جيلاً مؤمناً وملتزماً بتعاليم وقيم الإسلام، وصاحب إرادة قوية، وعزيمة فولاذية؛ فكان لهم الفضل الأكبر في نشر راية الإسلام خفاقة في بقاع الدنيا.
- من هدي النبي ﷺ في التعامل مع الشباب إشباع حاجاتهم النفسية: الحاجة إلى الحب والعطف، والاحترام والتقدير، والأمن والطمأنينة.
- من هدي النبي ﷺ في التعامل مع الشباب توجيه طاقاتهم الخلاقة من خلال: تنمية مواهبهم، وإرشادهم إلى ما ينفعهم، وتوليتهم المسؤوليات.
- يوصي البحث كل قائد ومربي العمل بجد وإخلاص من أجل كسب الشباب، وتوظيف طاقاتهم الخلاقة فيما يخدم المجتمع والأمة، واستثمار مواهبهم الإبداعية في التطوير والتقدم.

قائمة المراجع

١) البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٠٠٠)، **صحيح البخاري**، بيروت، دار الفكر.

٢) الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى (١٩٩٨)، **سنن الترمذي**، المحقق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

٣) جودة، أمال عبد القادر (١٩٩٨)، **مستوى التوتر النفسي وعلاقته ببعض المتغيرات**، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة، كلية التربية.

٤) ابن حنبل، أحمد بن حنبل (د. ت)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، القاهرة، مؤسسة قرطبة.

٥) زعبلاوي، محمد سيد محمد (١٩٩٦)، **تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس**، ط٢، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.

٦) عبد الباقي، زيدان (١٩٨٠)، **الأسرة والطفولة**، القاهرة، مكتبة النهضة.

٧) الشويعر، محمد بن سعد (١٤٠٦هـ). **عبدالله بن رواحة حياته ودراسة شعره**، الرياض، دار الرفاعي، ط١.

٨) ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد (د. ت)، **سنن ابن ماجه**، مكتبة أبي المعاطي.

٩) محمد، ادريس بن حامد (١٤٢٥هـ)، **دور الأسرة في أمن المجتمع**، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من ٢/٢١ حتى ٢/٢٤ من عام ١٤٢٥هـ.

١٠) مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٠٠)، **صحيح مسلم**، بيروت، دار الجيل.

١١) يونس وآخرون (١٩٩٦)، **المنهج المدرسي الحديث**، جامعة عين شمس، كلية التربية، قسم المناهج.

SCR LONDON

Social Consultancy & Research London

المؤتمر الدولي الثاني

لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية (لندن)

حول موضوعات العلوم الاجتماعية والإنسانية في العالم الإسلامي

أبحاث مُحكمة

من ٢٥ - ٢٧ شباط/فبراير ٢٠١٣ - دبي - جامعة زايد

Social Consultancy & Research LTD.
London, United Kingdom
Http://scrlondon.com
E-mails: *info@scrlondon.com*

9 789957 481087